

الحرب الأفغانية الأولى

١٨٣٨ - ١٨٤٢

هزيمة بريطانيا العظمى وانتصار الافغان

تأليف :
الدكتور محمد حسن العيلة

الدوحة
دار الثقافة

الحرب الأفغانية الأولى

الحرب الأفغانية الأولى

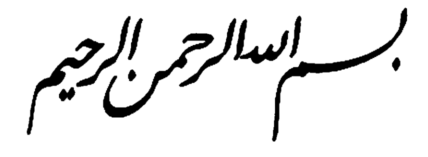
١٨٣٨ - ١٨٤٢

هزيمة بريطانيا العظمى
وانتصار الافغان

تأليف

الدكتور محمد حسن العيلة





مقدمة :

لقد وجدت مدرسة التاريخ الحديث بكلية الآداب جامعة عين شمس بعمادة الاستاذ الكبير / الدكتور احمد عزت عبد الكريم يرحمه الله، وانطلاقاً من مسؤوليتها كحركة علمية نشطة ، رائدة ، أن تدفع ببحوث علم التاريخ الى مجالات تفتقدها المكتبة العربية لتحقيق أهم هدف من أهداف التاريخ (وهو خلق العقلية العالمية) لقارىء العربية .

فكان هذا البحث والذي يعتبر أول دراسة أكاديمية تتطرق الى دراسة مثل . . هذا الموضوع خاصة وأنه قد تم انجاز هذا البحث عام ١٩٧١ ?

وترجع أهمية هذا البحث الى أنه يتناول دراسة بداية التنافس الروسي الانجليزي في منطقة وسط آسيا ، وفشل بريطانيا العظمى في تحقيق سياستها في افغانستان بالرغم من قوتها العظيمة في ذلك الوقت ، فضلاً عن أن هذا البحث أول دراسة علمية متخصصة باللغة العربية في هذا المجال .

يعالج البحث سياسة الحكومة البريطانية لاقامة منطقة حاجزة في أفغانستان لحماية وجودها في الهند ، وكيف آثرت الوسائل العسكرية على الطرق الدبلوماسية لمد سيطرتها على افغانستان والتصدي للتغلغل الروسي في منطقة وسط آسيا معتقدة في ذلك أنها تستطيع أن تفرض على الشعب الأفغاني بالقوة ملكاً يمقته .

فدفعت بريطانيا بقواتها الى أفغانستان ولكنها فشلت في تحقيق هدفها ورغم سيطرتها على معظم الأراضي الأفغانية ووضع حليفها شجاع الملك على العرش الأفغاني ، وأجبرت على التخلي نهائياً عن فكرة احتلال افغانستان ، ولذلك لجأت الى الطرق الدبلوماسية ، وظلت افغانستان دولة مستقلة بعيدة عن السيطرة البريطانية .

ولقد قسمت هذا البحث الى تسع فصول ، تناولت الفصول الثلاثة الأولى منه الظروف التي مهدت لإحداث الحرب الأفغانية الأولى ، وعالجت الأوضاع الداخلية وما ميزها من تفتت وصراع قبلي ومذهبي وأثرها في علاقة أفغانستان بالدول المجاورة لها كما أظهرت بداية التنافس الروسي الإنجليزي في منطقة وسط آسيا ، ورغبة روسيا في مد سيطرتها ونفوذها الى الهند ، وسياسة بريطانيا لدرء العدوان الروسي الذي كان سيهدد استقرارها في الهند .

وتعرض الفصل الرابع الى أسباب ومقدمات الحرب الأفغانية الأولى ، والتحرك السياسي والعسكري . وتناول الفصل الخامس الغزو البريطاني لأفغانستان وسيطرت بريطانيا على قندهار وغزنته وكابول ثم فرار دست محمد الى هندوكوش لتخلي الأفغان عنه . وعالج الفصل السادس الأوضاع الداخلية في أفغانستان في ظل الاحتلال البريطاني ، وتوزيع القوات البريطانية في المقاطعات الأفغانية ، واستبداد الموظفين الانجليز بالشعب الأفغاني الأمر الذي دفعه للثورة القومية التي اشتعلت في معظم الأراضي الأفغانية ، وكيف استطاعت بريطانيا إخمادها ، إلا أنه لم يكن في مقدورها استئصالها . ولقد بين الفصل السابع ثورة الشعب الأفغاني بأكمله ولم يكن في مقدور قوات الاحتلال غير مفاوضة الثوار . وتناول الفصل الثامن الانسحاب البريطاني من كابول وكيف تمكن الثوار الأفغان من تدمير القوات البريطانية بانتقال المد الثوري الى جلال أباد وقندهار وغزنته . ويحتوي الفصل التاسع على حملة الانقاذ بقيادة بولاك وإطلاق سراح الأسرى البريطانيين ، ثم الانسحاب البريطاني النهائي من أفغانستان ولقد ختمت هذا

الفصـل بأسبـاب فشل الحـرب الأفغانيـة ونتائجهـا والتي وضحت لي من خـلال متابعتي للبحث .

ولقـد اعتمـدت في اعـداد هـذا البحث عـلى الـوثـائق غـير المنشـورة التي أحضرتها من المتحف البريطاني في لندن بالـرغم من تكاليفهـا الباهـظة والوثـائق المنشورة التي تتعلق بأفغانستان وإيران . وحينما لم اجـد الا الندر اليسـير جداً من المراجع هنا في القاهـرة ، انتقلت الى الجامعـة الأمريكيـة في بيروت حيث مكثت بها طويلاً ، ولقد وجدت بها قسماً مستقلاً لدراسات آسيـا أسعفني بالقـدر الكافي من المراجع لإعداد هذا البحث .

ولقد أوليت مذكرات بعض من الذين اشتبكوا في الحرب اهتمـامـاً خـاصـاً كما اعتنيت عناية خاصة بكتاب. Kaye, John William: The First Alghan War

فهـو يعتبر في قـائمة مصـادر الدرجـة الأولى للحرب الأفغـانية فقـد نشر في اجـزائه الثـلاثة الكثـير الكثير من الـوثائق والأوراق حيث سمحت لـه الـظروف بحكم عملـه فـي حكـومة شـركة الهنـد الشرقيـة من الاطـلاع عليهـا ، وان أي بحث عن الحرب الأفغانية لا يكون جون كي احد مصادره يعتبر بحثـاً ناقصـاً . كـما اهتمـت بكتاب خـوزد احمـد عـلي فقـد تضمن هـذا الكتـاب العـديـد من النصوص والوثائق الموجودة في متحف كابـل بعد ان تـرجمها اقبـال علي شـاه من الفارسية الى اللغـة الانجليزيـة . وهناك الكثـير من الكتب والمراجـع المدونـة في قائمة المصادر .

وأقـدم شكري الى الاستـاذ الدكتـور أحمد عـزت عبد الكـريم يرحمـه الله الذي أشرف على هذا الموضوع ، كذلك أشكر الاستاذ . عبد العزيز نوار الـذي دفعني الى البحث في تاريخ آسيا ، وقد كلفني في دبلوم الدراسات العليـا باعـداد بحث عن حزب المؤتمر الوطني الهندي ونشـاطه ، كـما اقدم عـرفاني بـالجميل الى الأستاذ الفاضل محمد رشاد عبد المطلب (يرحمه الله) الذي تقدم شاكـراً بتقديم بعض الكتب من مكتبته الخاصة. كما اشكر الاستاذ الدكتور / طلعت ابو فرحة الذي لم يبخل عليّ بوقته وبجهده لتعليمي قواعد وأصول اللغة الفارسية .

والله ولي التوفيق.

الفصل الأول

الأوضاع الداخلية في أفغانستان

١ ـ موقع أفغانستان الجغرافي .
٢ ـ العناصر التي يتكون منها الشعب الأفغاني .
٣ ـ الصراع المغولي والصفوي على أفغانستان .
٤ ـ استيلاء الأفغان على عرش ايران .
٥ ـ نادر قولي يعيد بناء الامبراطورية الإيرانية .
٦ ـ قيام المملكة الأفغانية .
٧ ـ الصراع على العـرش .
٨ ـ الصراع القبلـي .

موقع أفغانستان الجغرافي :

تقع أفغانستان في وسط قارة آسيا وهي من الدول القارية التي لا سواحل لها وتحيط بها باكستان وإيران من جهات ثلاث ، الشرق ، والجنوب والغرب وتحيط بها من الشمال جمهورية التركستان ـ احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي وتغلب المرتفعات على تضاريس أفغانستان الجغرافية ففي الشرق توجد مرتفعات هندوكوش التي تمثل الحد الغربي لجبال الهملايا وتمتد في شكل سلسلة من الجبال نحو الجنوب الغربي الى الشمال من كابول ، وتسير في الاتجاه الغربي نحو حيرات وتتخذ أسماء جبل سفيد ، والى ، بابا ، سياه وسليمان . وتتلاشى تدريجياً مع الجنوب . ويفصل تلك المرتفعات ممرات ضيقة مثل بوتخاك وخرد كابول وكوجيك . تمتاز المنطقة الشمالية من أفغانستان بأراضيها الخصبة كسهول حيرات وكابول والأنهار الجديدة مثل نهر هلمند وكابول .

العناصر التي يتكون منها الشعب الأفغاني :

يتكون الشعب الأفغاني في مجموعة من العناصر الآتية : **الأفغان**: ويضم العديد من القبائل مثل العبدلي[١] والغليزاي[٢]وأفريدي[٣]وغيرها . وينتشر هذا العنصر في الجنوب والجنوب الشرقي من البلاد ويعمل غالبيتهم بالرعي ما عدا القليل بالتجارة **التاجيك** : وهم من أصل فارسي انتشروا في حيرات وحول غزنه وقندهار وفي كابول وبلخ وعاشوا في القرى وعملوا بالزراعة الا أن النزعة القبلية كانت سائدة بين القبائل التي تقطن المرتفعات[٤]. الترك : ويضم هذا

(١) تضم العبدلي عدة عشائر أهمها السادوزاي والباركزاي . وتعتبر مدينة قندهار مركز الباركزاي أما السادوزاي فينتشرون في الأودية السفلى لأنهار هلمند ، وترنك أرغنداب ، وفي مناطق أرغان وزمندار وفي البلاد التي تقع جنوب قندهار حتى بلوخستان أنظر دائرة المعارف الاسلامية : الترجمة العربية الأزهر ١٩٣٥ . مادة أفغانستان المجلد الثاني ص ٣٦٩ .

(٢) ينتشر الغيلزاي في أودية الأنهار السابقة التي يقطنها السادوزاي ، وفي شرق غزنة خوست دوزيد ستان المرجع السابق . ص ٣٧٠ .

(٣) تقيم قبائل الفريد جنوب ممر خيبر : نفس المرجع . ص ٣٧١ .

(4) Ali shah . Kbal ; Alghnnistan of the Alghans. london: the Diamend Press. First Edit. 1928 p. 13.

العنصر قبائل الأزبك التي تعيش في شمال هندوكوش وهم يقومون بأعمال الرعي والزراعة . المغول : تنتمي قبائل هزارة الى العنصر المغولي وتنتشر من شمال غزنة الى شمال حيرات وتقوم الى شمال حيرات وتقوم الى جانب الزراعة والرعي ببعض الصناعات اليدوية وتعتنق غالبيتها المذهب الشيعي . الهنود : تنتشر القبائل الهندية في شرق أفغانستان(١).

الصراع المغولي والصفوي على أفغانستان :

تعرضت بلاد الأفغان في تاريخها الطويل للغزو سواء في العصور القديمة أو في العصور الوسطى وفي مطلع العصر الحديث شهد الشرق الاسلامي صراعاً بين ثلاث قوى اسلامية وهي الدولة العثمانية ، الدولة الصفوية ، الدولة المغولية - بسبب الاختلاف المذهبي والرغبة في السيطرة والسيادة ، ومن سوء حظ أفغانستان أنها وقعت بين اثنتين من القوى الثلاث المتصارعة امبراطورية المغول في الهند والتي أرسى دعائمها بابر ١٥٢٦ ، واتسعت خلال المئة والثلاثين عاماً التالية وعظمت في قوتها وعتادها فسيطرت على كل هندوستان ومعظم الدكن(٢)وامتد نفوذها حتى شمل كل من كابول وقندهار(٣)الثانية هي الدولة الصفوية والتي أرسى دعائمها اسماعيل الصفوي ١٥٠٠ - ١٥٢٤ في خراسان ، ودفعت بحدودها الى الأراضي العثمانية في الغرب . استطاع الشاه الصفوي عباس الكبير ١٥٨٥ - ١٦٢٨ أن ينتزع قندهار من أيدي المغول ١٦٢٤(٤).

وقف الشعب الأفغاني بين هاتين القوتين . وقف الضعيف الذي لا يقوى

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية : الترجمة العربية . الأزهر ١٩٣٥ . مادة أفغانستان المجلد الثاني ص ٣٧٢ .

(2) Clodius , J : A i ist . of the Afghan Wars Withe Persia . London : James Ridgway , Piceadilly . 1840 .

(3) Ibid . P 6 .

(4) Sarkar , Jabunath : Fall of the Moghul Empire . Calcuta : M . C . Qarkae and Sons L T D 2 Edit . 1949 Vol . 1 .P . 2.

عن درء الأخطار عن نفسه فكانت قبائله وأصوله العديدة تتفقد أسس الرباط القومي والشعور الوطني الأمر الذي اضطرهم الى تقديم فروض الطاعة والولاء لقاهر أرضهم . انتهز المغول الضربات العديدة التي كالها السلطان العثماني مراد للدولة الصفوية بعد وفاة عباس الكبير واستولوا على قندهار[١] الا أن عباس الثاني استطاع ان يهزم المغول هزيمة منكرة ١٦٥٠ وأن يستولي على قندهار[٢] ومنذ ذلك الوقت ظلت كل من كابول وغزنة في أيدي المغول وحيرات وقندهار تحت سيطرة الايرانيين . ونظراً لاختلاف المذهب الديني بدأ سكان قندهار السنة يشعرون بكراهية شديدة نحو الشيعة الايرانيين فقام مير واعظ على رأس قبائل الغيلزاي بالتمرد عام ١٧٠٧ في قندهار[٣] وقتلوا الحاكم الايراني وطردوا جنوده خارج المدينة . أرسل الشاه الايراني حاكم كرجستان لاخماد الأفغان في قندهار ، وعامل سكان المدينة بالشدة والعنف الأمر الذي دفع بهم الى الثورة ثانية وهزموا الايرانيين . تقلد مير واعظ ادارة قندهار بعيداً عن التبعية الايرانية ، وبعد وفاته تولى الادارة من بعده أخوه عبد الله الا أن محمود بن مير واعظ ثار ضد عمه نظراً لممالأته الفرس[٤] .

شجعت أحداث قندهار سكان حيرات وأعلنوا الانفصال عن الحكم الايراني بقيادة أسد الله خان زعيم قبيلة العبدلي[٥].

---

(1) Clodius , J . : A Hist . of Afghan Wars With Per . P . 6

(2) Ibid . P 7 .

(3) Bellow , Surgeon Major H . W . : The Races of Afghan . Calcutta : Thacker , Spink and Co . 1880 p . 29 .

(٤) جمال الدين الأفغاني : تتمة البيان في تاريخ الأفغان . اعتنى بطبعه وتصحيحه علي يوسف الكرديلي الطبعة الأولى ـ مطبعة الموسوعات بباب الخلق بمصر ١٩٠١ . عثرت على الطبعة التي أصدرتها الصحف المصرية والتي كتبها السيد جمال الدين الأفغاني ابان أحداث الحرب الأفغانية الثانية ١٨٧٨ الا أن طبعتها لم تكن نظيفة ومرتبة .

(5) Bellow , S . Mag . H W . : The Races of the Afghan . p . 29 .

استيلاء الأفغان على عرش ايران :

في هذا الوقت بدأت الدولة الصفوية تتعرض لضربات عديدة الأمر الذي جعلها مطمعاً للأمير الأفغاني محمود حاكم قندهار ، فأسد الله خان اتفق مع بعض القبائل من الأزبك على نهب ثروات خراسان وفتك بالقوات الايرانية التي زحفت لصده كذلك قام الأكراد السنيون بأعمال السلب والاغارة حتى وصلوا أصفهان . كما ثار أعراب مسقط واستولوا على بعض جزائر الخليج العربي[1] تقدم محمود خان حاكم قندهار وسار نحو العاصمة الايرانية أصفهان وقهر جميع محاولات حسين شاه ـ ملك ايران ـ لعرقلة سيره ولم يجد الشاه بديلاً عن تقديم الولاء للأمير الأفغاني في ٢٣ أكتوبر ١٧٢٢[2] وتولى الأفغان العرش الايراني . وبذلك استطاعوا أن يثبتوا أنفسهم كقوة مؤثرة في المنطقة وتمكنوا من أن يقيموا لأنفسهم عرشاً على أنقاض الدولة التي كانت تسلبهم حريتهم . الا أن دعائم العرش الأفغاني لم تكن قوية في ايران ، فالأمير طهماسب بن حسين شاه رفض ما أقره أبوه وأعلن نفسه ملكاً في كاسبين احدى مقاطعات قزوين[3] كما أنه كان من الصعب على العرش الأفغاني السني المذهب أن يحكم على شعب أغلبيته من الشيعة الى جانب تدهور علاقاته مع وطنه الأم الذي كان يمده بالسلاح والرجال . كل ذلك جعله يقف وحيداً أمام الانتفاضة الوطنية التي انفجرت في ايران في نوفمبر ١٧٢٨ بقيادة نادر قولي[4] اضطر الأفغان الى التخلي عن العرش الايراني الذي تقلدوه فترة لم تتجاوز ٦ سنوات وخلفهم الأمير طهماسب الا أن السلطة الحقيقية كانت في يد القائد.

نادرشه قولي يعيد بناء الأمبراطورية الايرانية :

تحرك نادر سريعاً لمواجهة الأخطار المحدقة به في الجبهة الغربية ، فهزم

(١) جمال الدين الأفغاني : تتمة البيان في تاريخ الأفغان ص ٣٧ .

(2) Ferrier. John Philip: Afghanistan London : John Murray . 1858 p . 49 .

(3) Ibid . p . 51 .

(4) Ibid . p . 54 .

العثمانيين واستولى على كمرنشاه وتبريز . في تلك الأثناء حاصرت قبيلة العبدلي مدينة مشهد الأمر الذي دفع بنادر السيد نحو الجبهة الشرقية ، واستطاعت قبيلة العبدلي في حيرات بمساعدة قبيلة الغيلز أي في قندهار ضد نادر الذي طلب تعزيزات من ايران مكنته من الاستيلاء على حيرات . ولكن نادر عاد سريعاً الى أصفهان ذلك أن اشراف أصفهان قد حرضوا الشاه طهماسب على محاربة الدولة العثمانية وفقد في شهر واحد كل انتصارات نادر في الجبهة الغربية . وجد نادر في ذلك فرصة ذهبية له فخلع طهماسب وعين ابنه عباس واستعاد انتصاراته المفقودة ثم خلع عباس واتخذ لنفسه لقب شاه ؟ ١٧٣٣ [1] .

تحرك نادر شاه سريعاً في الجبهة الشرقية فعبر خراسان وسستان نحو قندهار وأظهر الأفغان مقاومة شجاعة ضد نادر شاه الذي اضطر الى محاصرتها لمدة عام وبنى بالقرب منها مدينة جديدة قاعدة لجنوده سماها نادر أباد . سقطت قندهار في قبضته في ٨ مارس ١٧٣٨ ولم يبطش نادر شاه بالغيلز اي ولكنه نقلهم الى حيرات مكان العبدلي [2] حتى يكونوا بالقرب من عاصمته وبالتالي الحد من تمردهم ضده في المستقبل . كما أنه وضع عدداً من أفراد قبيلة العبدلي في بلاطة وبذلك استطاع كسب هاتان القبيلتان بل أنهما أمدتاه بقوات عززت سيره نحو دلهي عاصمة المغول [3] وتمكن نادر شاه من هزيمة الامبراطور المغولي محمود شاه في معركة كارنال في ٢٤ فبراير ١٧٣٩ [1] مما اضطر محمود الى مفاوضة ودخل دلهي منتصراً في ٢١ مارس وصادر أموال ومجوهرات التجار والأشراف [4] بعد أن دانت تلك الجهات بالولاء له عاد الى بلاده وفي ١٦ مايو ١٧٣٩ محملا بالثروات والغنائم . وتعرض للكثير من المضايقات من قبل القبائل الأفغانية مما اضطره الى شراء ولائهم نظير جزء من غنائمه واختار مدينة مشهد عاصمة لامبراطوريته .

---

(1) Ali , Mohamed : Afghanistan . Lahore : The Punjab Educational Press . 1958 . P 44,6 .

(2) Clodius , J . : A Hist of Afghan wass with Per . p . 28 .

(3) Watkins , M . : Afghanistan Land and Transition . U.S.A. : Iancaster Press 1963 p. 23 .

(4) Ali , Mohamed : Afghanistan . p . 50 - 1 . 3 . Ibid . p 54 .

في أربعينيات القرن الثامن عشر بدأت شخصية نادر شاه العسكرية تتلاشى تدريجياً بعد الهزيمة التي لاقاها في مقاطعة داغستان ٤٢ ـ ١٧٤٤ ، وانتشار الفوضى في أنحاء مختلفة من امبراطوريته توجه نادر شاه نحو خراسان وكان ينكل بالعامة والأشراف على السواء[1] وبدأ يتشكك في اخلاص(*) التزلباش، وأخذ يخطط مع الأفغان والأزبك ضدهم فاستدعى قادة القزلباشي الى معسكره في حين هاجمت قواته معسكرات القزلباشي التي كانت بدون قيادة وأبادت الكثير منهم . أدى ذلك الى سخط القادة الذين تآمروا بزعامة محمد قاجار ضده وهجموا على المعسكر الملكي في قاشان شمال شرقي خراسان واغتالوا نادر شاه في ٩ يونيو ١٧٤٧[2] .

فيام المملكة الأفغانية :

بعد موت نادر شاه أدرك الزعماء الأفغان ان الأخطار التي تواجهها بلادهم إنما ترجع الى تفرقهم وعدم وحدتهم ، ويجب ان يختاروا زعيماً من بينهم له الدعم والطاعة من أجل خلق وحدة وطنية تضم مختلف القبائل الأفغانية . وعلى ذلك اجتمع الزعماء الأفغان في قرية « نور أباد » على بعد ٧٥ ميلاً من قندهار ـ العاصمة في ذلك الوقت ـ ودارت بينهم مناقشات حادة قاطعهم احمد صبري خان ـ أحد علماء الدينِ قائلاً « أيها السادة أوقفوا هذه المناقشات العقيمة لقد اختارنا بمشيئة الله سبحانه وتعالى احمد خان للقيام بهذا العبء التفوا من حوله لتتجنبوا مخاطر جساماً »[3] لم يعترض أحد منهم على ذلك نظراً للمكانة الحربية المرموقة التي يتمتع بها أحمد خان والاحترام الذي يكنه الأفغان لعشيرته السادوزاي واحتفل الأفغان بتنصيبه ملكاً عليهم في المسجد الكبير في قندهار وسكب الشيخ أحمد صبري كمية من القمح عليه معلناً عن إختيارهم له ملكاً

(*) قام الشاه اسماعيل الصفوي بمد حدود بلاده الى الشمال في الأراضي العثمانية والحق القبائل التركية التي تسكن تلك الجهات بخدمته وميزها بالباسها القلنسوات الحمر ـ أي القزلباشي باللغة الفارسية وفي عهد نادر شاه وضع عدة مجموعات من القزلباشي في كابول .

(1) Sarkar , Jadunath : Fall of the Mughul Empir . Vol . 1 . p . 110 .

(2) Ferrier , John Philip : Afghanistan . p . 68 .

عليهم[1] وقدم له الزعماء الأفغان فروض الطاعة والولاء وكان من بينهم الحاج جمال الدين زعيم عشيرة الباركزاي[2] وكان هذا اليوم بمثابة اعلان قيام مملكة أفغانستان عام ١٧٤٧ .

أدرك أحمد شاه - ١٧٤٧ - ١٧٧٣ - منذ اللحظة التي تولى فيها مراسم الحكم طبيعة شعبه المضطربة والتنافس القبلي الذي يمزق وحدته فأيقن بالضرورة أن الحرب هي العلاج لأصحاب العصبيات من القبائل حتى لا يكونوا مصدر خطر لقوته النامية اذا ما تركوا دون ممارسة نشاطات عسكرية[3] ولكن جزءاً كبيراً من البلاد لا يزال تحت الاحتلال الإيراني وكان لا بد من تخليصها حتى تتم وحدة البلاد القومية بل انه سرعان ما وقع تحت تأثير اغراء التوسع على حساب امبراطورية المغول في الشرق والصفويين في الغرب .

توجه أحمد شاه الى كابول وكان يحكمها حاكماً ايرانياً قدم ولائه الى المغول بعد وفاة نادر شاه ، ولما كان هذا الحاكم لم يكن في مقدوره مواجهة أحمد شاه اضطر الى الاعتراف بسيادة الملك الأفغاني عليه . واصل أحمد شاه زحفه نحو حيرات وأخضع رخ شاه حفيد نادر شاه لسلطانه[4] وقضى على محاولة الشعب

(*) حينما استولى الشاه الصفوي عباس الكبير على قندهار وضع حاكماً عليها من طرفه عامل سكانها بالشدة والعنف فأرسل سكانها رجلاً من قبيلة العبدلي يسمى « سدو » لدفع تظلمهم الى الشاه الصفوي . تعجب عباس الكبير من فصاحة سدو وبلاغته فعينه حاكماً على قندهار ، فأقام في منصبه بالحكمة والعدل الأمر الذي حبب الأفغان فيه بل ان حبهم وتقديرهم شمل جميع ذريته من بعده .

أنظر جمال الدين الأفغاني تتمة البيان في تاريخ الأفغان ص ٢٣ .

(1) Wheeler, J. Talboys: A Short Hist. of British. India and the Foreign States of Afghanistan Nipal and burma. London: Malcolm and co . 1894 Frist Edit. 1880, Reprinted 1884, 1889 and 1894. p.543.

(2) Ali , Mohamed : Afghanistan P . 58.

(3) Ferrier , John Philip : Afghanistan p . 71 .

(4) Tytler , Fraser : Afghanistan . Astudy of Political Development in Central Asia , and south-

(5) ern Asia . London 2 Edit 1953 p . 64

التي قام بها حاكم ستان ، وكانت أستد أباد الحد الأقصى الذي وصلت اليه حملاته في ايران[1] .

أما في الجبهة الشرقية فقد تمكن أحمد شاه من الاستيلاء على دلهي ١٧٦١ عاصمة المغول وعزل الأمبراطور علمكير الثاني وأصبحت الخطبة تقرأ باسمه في المساجد . وخاض معركة بانيبات في ٢٤ فبراير ١٧٦١ ضد القبائل الهندية المتمردة رغم انهم كانوا أكثر منه قوة وعدداً[2] .

أصاب الضعف أحمد شاه ولم يلبث ان توفي مع بداية يونيه ١٧٧٣ بعد أن اشتد المرض به[3] وترك خلفه مملكة شاسعة تمتد من نهر جيحون وخاقير ستان في الشمال الى بحر عمان في الجنوب ، ومن جبال التبت ونهر ستولج والسند في الشرق الى خراسان وايران في الغرب[4] ويقول السيد جمال الدين الأفغاني عنه « كان أحمد شاه شجاعاً ذا حزم وعزم وتدبير محكم وسداد رأي وعلم وحكمة وسعة أخلاق وطيب نفس وعدل وأنصاف ورحمة بالضعاف وعناية بشأن الرعية واصلاحها . من أجل ذلك تمكنت محبته من قلوب راعياه عموماً مع اختلافهم في الأجناس والمشارب ومن قلوب رعاياه الأفغانيين خصوصاً حتى أنهم كانوا يعتقدونه أنه من المقربين الى الله ويعدونه أبا لعموم الأفغانيين ومن ثم لقبوه ببابا وهو الى الآن يعرف عندهم بهذا اللقب إذ يدعونه أحمد شاه بابا ، وأستقر عرش مملكته وسلطنته على دعائم الثبات والتمكن ، ولكن لما كانت العلة الحقيقية لثبات الملك والسلطنة هي حكمته وتدبيره لم يكن في عقبه من يكون على مثل حاله وقعت المملكة بعد موته في ارتباك واضطراب . . . »[5].

---

(1) Ali , Mohamed : Afghanistan . p . 62 .

(2) Wilson , Andrew : North From Cabul . London : George Allen and Unwin L T D 1961 - p - 39 .

(3) Ali Mohamed : Afghanistan p . 98 .

(4) Ferrier . John Philip : Afghanistan p . 94 .

(٥) جمال الدين الأفغاني : تتمة البيان في تاريخ الأفغان ص ٦٨ .

بعد وفاة أحمد شاه بدأت وحدة أفغانستان القومية تتفكك وأصبحت مسرحاً نشطاً للنزاع بسبب الأطماع الشخصية والسيادة على العرش والصراعات القبلية والمذهبية فتلاشت مكانتها كقوة مؤثرة في المنطقة وتشكلت على انقاضها وحدات سياسية مستقلة مما جعلها مطمعاً سهلاً لجيرانها وسنحاول هنا دراسة أسباب تفتت وحدة أفغانستان .

الصراع على العرش :

حقيقة أن تيمور شاه ١٧٧٣ - ١٧٩٣ « رغم عجزه عن ملء الفراغ الذي تركه موت أبيه أحمد شاه الا أنه استطاع الحفاظ على أفغانستان من الناحية الجغرافية وليس على وحدتها الموطنية فشخصيته الضعيفة أدت الى إحياء العصبيات القبلية من جديد وحاولت التنفيس عن ذاتها عن طريق محاولة وضع أخيه سليمان خان منافساً له على العرش الأفغاني بل ودبر بعض الزعماء الأفغان مؤامرة للقضاء عليه عام ١٧٩١ الا أنه تمكن من القبض على المتآمرين[1]. ودفع اهماله في ادارة المملكة وانصرافه الى ملذاته وشهواته الى تقلص السلطة المركزية على الولايات النائية[2]فرفض سكان مدينة بلخ دفع الضرائب ، وعارضوا تعيين أي حاكم من قبل تيمور شاه بل أنهم أجبروه شخصياً على التراجع حينما قدم اليهم لمعاقبتهم[3]. وحاول تيمور شاه أن يتخلص من زعماء العصبيات المتمركزة في قندهار بنقل العاصمة من قندهار الى كابل[4]بعد وفاة تيمور شاه ١٧٩٣ انفتح باب الاضطراب والفوضى على مصراعيه فنشأ نزاع بين أبنائه على العرش وسعى كل منهم الى الحصول على العرش لنفسه ولجأ كل طرف من الأطراف الى السلاح وسالت الدماء في شوارع كابول[5]الا ان بايندة خان زعيم الباركزاي

(1) Tytler , Frasser : Afghanistan : p . 66 .

(2) Bellow , S . Majer H . W . : The Races of theAfghan p . 29 .

(3) Wheeler , J . Talboys : A Short Hist . Of Brit . India and the foreign states of Afghanistan Nipal and Burma p . 544 .

(4) Ali , Mohamed : Afghanistan P . 92 .

(5) Hamed , Kohzad : Men and Events 6 Through 18 th and 19th . Century Afhanistan) Historical Sociaty of Afghanistan No . 44 Cabul p . 11 .

وضع حداً لذلك النزاع وقلد زمان خان بن تيمور شاه العرش (١٧٩٣ ـ ١٨٠١)[١]. كان هذا الوضع لا يرضى كل من همايون صاحب الحق الشرعي في العرش باعتباره الابن الأكبر لتيمور شاه ، ومحمود ميرزا حاكم حيرات . قام زمان شاه على رأس قواته لمحاربة أخيه همايون والحق به الهزيمة وسمل عينيه[٢]، ثم سار زمان شاه بعد ذلك لاخضاع محمود ميرزا لسلطانه وشهدت أفغانستان حروباً مريرة بين الأخوين طوال فترة حكم زمان شاه ، وحاول كل منهما استقطاب القبائل الأفغانية نحوه وكان الفشل الذريع نصيب زمان شاه في هذا المجال . فحرمانه الزعماء الأفغان من جميع السلطات التي كانوا يتمتعون بها في عهد أبيه تيمور شاه ، وبغض الشعب الأفغاني لوزيره رحمه الله خان[٣]وسخط أبناء عشيرته السادوزاي عليه لحرمانهم من الامتيازات التي كان من الممكن أن ينالوها باعتبارهم سلالة الأسرة المالكة[٤]إلى جانب زكاء فتح خان زعيم الباركزاي وحسن تدبيره كل ذلك كان من دواعي ترجيح كفة محمود ميرزا وانتهى المطاف بزمان بسمل عينيه وقتل وزيره[٥] وتولى العرش الأفغاني محمود ميرزا « فترة حكمه الأولى ١٨٠١ ـ ١٨٠٣ » ونال ترحيب جميع الأفغان الذين كانوا يتصورون فيه نهاية الحروب الأهلية وأن هناك غداً مشرقاً في انتظارهم[٦]ولكن سرعان ما جرفهم تيار الحرب ثانية حينما أعلن شجاع الملك ـ شقيق زمان ـ وأحد أبناء تيمور شاه نفسه ملكاً في بشاور وخاض قتالاً عنيفاً ضد أخيه محمود شاه واستطاع أن يسيطر على عرش كابول والقى القبض على محمود شاه[٧].

---

(1) Watkins , Mary : Afghanistan land and Transition p . 50 .

(2) Asiatic J . New Series Vol . 27 p . 300 .

(3) Kohzad , Ahmed Ali : In the Nighlight of Modern Afghanistan . Translated to English by Ikbal Ali Shah . London : 1952 p . 4.

(4) Asiatic J . : N . S . Vol . 27 P . 300.

(5) Hamed , Kozad : Men and Events p . 14 .

(6) Ali , Mohamed : Afghanistan p . 111 .

(7) Ali Shah . Ikbal : Afghanistan of the Afghan p . 48 .

على الرغم من أن شجاع الملك كان شاباً نشيطاً الا أنه لم تكن لديه القدرة لاعادة استتباب الأمن والنظام في بلاد مزقتها النزعات الداخلية فجميع زعماء البلاد أصبحوا أقوياء وعنيدي المراس، والولايات النائية بدأت تحاول تأكيد استقلالها وانفصالها عن المملكة(١)وظهر اكثر من منافس له على العرش فتارة قيصر بن زمان شاه(٢)وأخرى عباس بن تيمور شاه(٣)الا ان محمود شاه كان أخطر المنافسين بعد فراره من السجن ، وتمكن من تجنيد السادوزاي والباركزاي الى صفه ضد شجاع الملك وتمكن من العودة ثانية للعرش الأفغاني بعد انتصاره على شجاع الملك في ٩ يونيو ١٨٠٩(٤).

تميزت الفترة الثانية لحكم محمود شاه (١٨٠٩ = ـ ١٨١٨) بتمركز السلطة في يد فتح خان الذي لقب بأشرف الوزراء ووضع اخوانه وأشقائه في مراكز الادارة المختلفة(٥).

الصراع القبلي :

بعد فرار شجاع الملك الى الهند على اثر هزيمته عام ١٨٠٩ أصبح محمود شاه بدون منافس على العرش الأفغاني وعمد فتح خان الى توطيد الأمن والنظام في المملكة وكان من الممكن ان تنفض البلاد عن نفسها غبار الحرب الأهلية بعد أن هدأت حدة عواصفها بتولي محمود شاه العرش ثانية ومطاردة شجاع الملك خارج حدود أفغانستان الا ان البلاد شدت الى الحرب الأهلية ثانية حينما انفجر الصراع القبلي بين السادوزاي والباركزاي . ويمثل السادوزاي والباركزاي أهم عشيرتين من عشائر قبيلة العبدلي . وفي الوقت الذي قامت فيه المملكة الأفغانية

(1) Ali , Mohamed : Afghanistan p . 124 .

(2) Macrory , Patrick : The Story of the aisasterous Retreat From Cabul 1842 London : Hodder and Stoughton : 1966 p . 28 .

(3) Ali , Mohamed : Afhanistan p . 128 .

(4) Ibid p . 134 .

(5) Hamed . Kohzad : Men and Events p . 9٣

تقلد السادوزاي العرش في حين تقلد الباركزاي الوزارة، ورفع الباركـزاي زمان شاه الى العرش الأفغاني الا ان زمان تنكر لبايتده خان وطرد الباركزاي من بلاطة بل ان زمـان شـاه سفك دماء بايندده خان الأمر الذي تطلب من الباركزاي الثأر لأنفسهم فانضموا إلى محمود ميرزا ضده ، وكان فتح خان ـ أكبـر أبناء بـايندده ـ العقـل المفكر والسـاعد القـوي لمحمـود شـاه[١]. وفي فتـرة حكمـه الأولى تمتـع البـاركزاي بمـركز الصـدارة في المملكة الأفغـانيـة[٢]. ولكن شجـاع الملك تنكـر للباركزاي الأمر الذي دفع فتح خـان الى تحريض قيصر بن زمـان شاه ضـد عمه والمطالبة بالعرش الذي هو حق أبيه لنفسه[٣]لم تنجـح محاولـة فتح تلك ، فـأخذ يخطط لأجل إطلاق سراح محمود ميرزا وبـالفعل بعث أخـاه الى كابـول واستطاع بمساعدة القزلباشي فك أسر محمود شاه[٤]بدأا سوياً التفكير لاستعادة العرش ثانية لمحمود شاه . كان الباركزاي عدة وعتاد محمود شاه للوصول الى العرش ثانيـة ، فتقلد فتح شاه الوزارة ثانية وأظهر فطنة وحذقاً في ادارة المملكة[٥]وقد أثـار ذلك سخط كمران بن محمود شاه ، ولم يلبث أن قام بالتنكيل بفتح خن ١٨١٦ . أثار تصرف كمران خان غضب أخيه وأشقاء فتح خان[٦]فقدم الباركزاي هنرسواجها خـان حفيدُ محمـود شاه وحـاكم كابـول ، فشل محمـود شاه طـرد الباركـزاي من كابول بل انه وجد الأمان لنفسـه في الفرار الى هـزات حيث بقي فيها حتى مـوته عام ١٨٢٩ وانتقلت السلطة في هرات الى ابنه كمران ميرزا[٧].

تقلد الباركزاي العـرش الأفغاني ولم يلبث ان اشتعلت بينهم نيـران الحرب وأسفرت عن سيطرة درست محمد علي كـابول ١٨٢٦ واخـوانه الثـلاثة شيـرديل

---

(1) Kohzad , Ahmed Ali : In the Nighlight of Modern Afghanistan P . 5 .

(2) AZli Shah . Ikbal : Afhanistan of the Afhans p . 48 .

(3) Macrory : Patrick : The Story of the Disasterous Retreat from Cabul 1842 p . 28 .

(4) Ferrier · , John Philip : Afghanistan p . 140 .

(5) Kohzad . Ahmed Ali : In the Nighlight of Modern Afghanistan p . 5 .

(6) Atkinson , J . : The Expedition Into Afghanistan London : John Murray 1842 p . 4C .

(7) Ferrier : J . Philip : Afghanistan p . 163 - 4 .

خان ، بورديل خان كهنديل خان على قندهار[1] .

أثارت سيطرة الباركزاي على كابول وقندهار غيرة شجاع الملك الذي أخذ يلتمس تأييد السيخ له من أجل الوقوف معه ضد الباركزاي . وبالفعل تقدم شجاع الملك وعبر نهر السند في مايو ١٨٣٤ واستولى على مدينة شيكاربور التي كانت من ممتلكات امراء السند ثم سار بعد ذلك لقندهار على رأس ٢٢ ألف مقاتل من الأفغان والهندوس الذين درسوا على الطرق الحربية الحديثة وهذا يوضح اشتراك حكومة شركة الهند الشرقية البريطانية معه بطريق غير مباشر جمع كهنديل خان ما استطاع حشده من محاربين وتوجه بهم لردع شجاع الملك الا أنه أصيب بهزيمة بالقرب من وادي بيشين ولاحقه شجاع بضربة ثانية اضطر للتراجع الى قندهار وأخذ يرسل الرسول تلو الآخر لأخيه دست محمد . بعث دست محمد الى كلاوو وادي رئيس شركة الهند الشرقية لتوضيح موقف الشركة . نفى رئيس الشركة مسؤولية دعم الشركة بشجاع الملك وإن كانت ترغب في نجاح مشروع شجاع الملك وفي ٢٩ يونيو ١٨٣٤ قام شجاع الملك بهجوم عام من موقعه في قندهار بين المدينة القديمة والمدينة الجديدة على الباركزاي في الوقت الذي اقتربت فيه قوات دست محمد من ميدان المعركة . اضطر شجاع الملك الى تقسيم جيشه الى قسمين قسم لرد قوات كهنديل والآخر لصد دست محمد . استمرت تلك الاشتباكات ٥٦ يوماً قتل فيها ما يقارب ١٦ ألف من الأفغان . فر شجاع الملك بعد تلك الموقعة لانقاذ نفسه وباقي فصائله الى شكاربور ولكن الباركزاي لاحقوه بمطاردة ساخنة قطعوا عليه اتصالاته[2]، اتجه الى هرات ومنعه كمران شاه من دخول المدينة لأنه كان يخشى غدره[3]اضطر شجاع الملك بعد ذلك الى التراجع الى الهند للاعداد لجولة جديدة مع الباركزاي وسنرى ان حكومة شركة الهند الشرقية ساندته بقواتها وبأموالها .

---

(1) Kohzad , Ahmed : In the Nighlight of Modern Afghanistan p . 24 .

(2) Ferrier , J . Philip : Afghanistan p . 201 -

(3) Ibid . p . 202.

الى جانب الصراع بين الباركزاي والسادوزاي فقد دخلت قبائل الغيلزاي(*) في اشتباكات عنيفة ضد السادوزاي في مطلع القرن التاسع عشر بسبب رغبة الغيلزاي في تقلد السلطة في كابول واستمرت الاشتباكات فترة تزيد عن العام ١٨٠٢ ـ ١٨٠٣ . الا أن فتح خان وزير محمود شاه استطاع قهر محاولتهم بعد ان ألحق بهم هزائم جسيمة(١) .

شهدت بلاد الأفغان بالاضافة الى الصراعات القبلية صراعاً مذهبياً بين الشيعة والسنة وتعصب كل مذهب لبني طائفته ولم يندمج أبناء هذين المذهبين في قلب وروح الوطن الذي يلم شملهم بل أخذ كل منهم يتحين الفرص للتنكيل بالطرف الآخر . وزاد من حدة الصراع المكانة الممتازة التي يتمتع بها طائفة القزلباشي الشيعية المذهب بل أن محمود شاه ووزيره فتح خان من مكانة القزلباشي على غيرهما من بقية العناصر الأخرى الأفغانية بل وأعطاهم حرية ممارسة تقاليدهم الشيعية علناً بين السنيين وهم الأغلبية ، فبدأوا يخططون لطرد محمود شاه ووزيره فتح خان عام ١٨٠٣ وبالفعل نجحوا في ذلك (٢).

حفظ شجاع الملك في عهده الأول (١٨٠٣ ـ ١٨٠٩) ومحمود شاه في فترة حكمه الثانية ١٨٠٩ ـ ١٨١٨ مكانه القزلباشي الممتازة . وفي عهد الباركزاي ارتبط القزلباشي بعلاقة النسب مع الباركزاي فقد كان اسلام خان زعيم القزلباشي خال دست محمد(٣) .

كان السنة الأفغان ينظرون بغيرة شديدة نحو هذه المكانة المرموقة التي يتمتع بها القزلباشي الذين يعدونهم دخلاء ولم يتوانوا مطلقاً عن التنكيل بهم حينما تكون لديهم الفرصة المناسبة .

(*) احدى العصبيات القبلية الأفغانية الكبيرة ، وقد مارست خلال القرون الماضية قبل ظهور العبدلي دوراً قيادياً في افغانستان . أنظر :

Burnes , Alexander : Cabul . London : John Murray 1842 p . 193 .

(1) Ali , Mohamed : Afghanistan p . 119 - 21 .

(2) Ferrier , J . Philip : Afghanistan p . 133 .

(3) Ali , Mohamed : Afghanistan p . 123 .

من هذا كله نستطيع القول أن بلاد الأفغان ظلت لفترة طويلة تعاني من التفتت والانقسام السياسي ، وانقسم الأفغان الى وحدات صغيرة تتعصب الى أصولها ونسبها ، وكان موقعها بين دولتين كبيرتين المغول والصفويين وما تبعه من صراع بينهما للسيطرة عليها ، كل ذلك أفقدها أساس وحدتها وكيانها المستقل ولم تشهد تلك المنطقة البناء السياسي الواحد الا في أواسط القرن الثامن عشر حينما سار العنصر الأفغاني بقيادة احمد العبدلي على غيره وكون المملكة الأفغانية . الا أن هذه المملكة تعرضت بعد وفاته بعشرين عاماً - كما رأيت فيما سبق - الى نزعات داخلية على السلطة والعرش وكان من الممكن لو حافظ السادوزاي والباركزاي أكبر مجموعتين من الأفغان كما كان في عهد أحمد شاه على اتحادهما وتماسكهما لتلافت البلاد التفتت واستنزاف طاقاتها .

انتهى ذلك الصراع بسيادة الباركزاي على كابول وقندهار والسادوزاي على حيرات وفي ثلاثينات القرن التاسع عشر كانت أفغانستان عبارة عن وحدات سياسية منفصلة : قندهار وكابول وحيرات بالاضافة الى شجاع الملك الذي ارتمى في أحضان شركة الهند الشرقية البريطانية من أجل اعادته الى عرشه المسلوب على حد قوله .

أوقع هذا التفكك البلاد فريسة لأطماع السيخ وحكومة شركة الهند الشرقية البريطانية وإيران وهذا ما سنوضحه في الفصل التالي .

الفصل الثاني

علاقة أفغانستان مع الدول المجاورة

(السيخ ، شركة الهند الشرقية ، ايران)

١ ـ أفغانستان والسيخ .
٢ ـ توسع السيخ .
٣ ـ دست محمد والسيخ .
٤ ـ الاستقرار الانجليزي في الهند .
٥ ـ بعثة الفنستون الى كابل.
٦ ـ معاهدة كابل ١٧ يونيو ١٨٠٩ .
٧ ـ أفغانستان وإيران .
٨ ـأطماع ايران في حيرات .
٩ ـ مقترحات يار محمد خان لحل الخلاف الأفغاني الايراني .
١٠ ـ موقف الحكومة الايرانية .

توسع السيخ :

السيخية دعوة قامت في الهند في منتصف القرن الخامس عشر تدعو الى المساواة الاجتماعية والأخوة بين الناس وإبطال التشيع لفرقة من الفرق والتنديد بالخرافات . ولقد قامت هذه الدعوة احتجاجاً على استبداد البراهمة الروحي[1]والسيخية تستنكر الأصنام وتتمسك بالتوحيد وربها هو رب الخلق جميعاً ورب الديانات بأسرها اسمه الحق هو الخالق الباقي الذي لم يلد ، ولم يولد ، القائم بذاته ، العظيم البرّ ».

ظلت السيخية شريعة سلام وتسامح حتى تحولت بسبب طغيان الهندوس الاجتماعي واحتكاك السيخ بالمسلمين الى شريعة تقوم على الحرب والقتال[2]ويرجع غالبية المشايعين لها أصلاً لقبائل الجات التي كانت تقطن البنجاب الأعلى الذي كان في معظم الأحيان مسرحاً لمعارك المغول والأفغان .

بدأ زعماء السيخ مناقشة أوضاعهم ضد الأخطار المحدقة بهم فعقدوا ما يقارب ١٢ اجتماعاً كونوا رابطة بين طائفتهم ، ثم عمدوا الى تأسيس قوة عسكرية لمواجهة تحديات المسلمين فكونوا قوات الفرسان ثم المشاة ، واستغلوا الفوضى التي كانت منتشرة في شمال الهند نتيجة غزوات نادر قولي ـ شاه ايران ـ وأحمد سادوزاي ـ شاه أفغانستان ـ لمد سيطرتهم على البنجاب[3]كان في استطاعة احمد شاه وابنه تيمور ضدهم ، الا ان حكم زمان شاه وما تبعه من اضطراب وتنازع داخلي شجعهم على التطلع نحو أفغانستان مما اضطره للحضور عدة مرات الى الهند . وكان السيخ نادراً ما يواجهونه وجهاً لوجه في الميدان فمع اقترابه يتركون المرتفعات ويصعدون الجبال لكي يجدوا الأمان لأنفسهم فيها ،

(١) دائرة المعارف الاسلامية ـ الترجمة العربية . المجلد ١٤ ، جـ ١٢ مادة السيخ ص ٤١١ .

(٢) نفس المرجع ص ٤٢٣ .

(3) Roberts , P . E . : History of Brit . India Under The Company and The Crown 4 th Edit 1958 , p . 269 .

وحينما يعود لبلاده يمطرون سكان تلك المقاطعات بغاراتهم[١]فكر زمان شاه بتسكين تلك الجبهة عن طريق مصالحة زعماء السيخ وضمهم بجانبه ، وأثبتت تلك السياسة نجاحها فقط في الوقت الذي كانت فيه السلطة قوية في كابول . قدم زمان شاه لاهور ١٧٩٩ وخضع عدداً من قادة السيخ وقدموا فروض الولاء والطاعة له ، وعين رنجيت سينغ حاكماً على لاهور[٢].

انتهز رنجيت سينغ الصراع الداخلي بين شجاع الملك ومحمود شاه ١٨٠٣ ـ ١٨٠٩ وهاجم المقاطعات الأفغانية في البنجات . وحينما دانت السلطة لمحمود شاه أرسل وزيره فتح خان لمعاقبة راجنت ١٨١٢ ، وقبل دفع ما يعادل مئة ألف جنيه استرليني للوزير الأفغاني[٣].

وجد شجاع الملك في السيخ ملجأً له حينما وجد نفسه بدون مساعده ، ووافق رنجيت أن يدعم شجاع الملك بالمال والرجال من أجل عودته لعرشه ، الا أن رنجيت سينغ لم يكن مخلصاً في تعهداته ، وألقى القبض على شجاع الملك ووضع الجواسيس لمراقبة تحركاته . حاول شجاع الملك الهرب عن طريق تقديم الرشاوي ولم تكن تلك الحيلة مفاجأة لرينجيت الذي شدد الحراسة عليه[٤]. الا أن شجاع الملك تمكن من الهرب الى الحكومة التي تمثل شركة الهند الشرقية[٥].

ازاء الأوضاع غير المستقرة في بلاد الأفغان زحف السيخ واستولوا على أتوك وأخذ رنجيت سينغ يتطلع من برجها الى الأراضي الواقعة على الجانب الأيمن من نهر السند ورسم في ذهنه صورة للتوسع السيخي في الناحية الغربية[٦]ومن حسن حظه أن النزاع بين السادوزاي والباركزاي قد حقق له

---

(1) Ali , Mohamed : Afghanistan p . 14 .

(2) Singh , Khushwant : The Sikhs . London G . Allen and Unwin L T D 1953 p . 57 .

(3) Macrory , P . : The Story of the Disasterous Retreat From Cabul p . 29 .

(4) Ibid . p . 30 .

(5) Ali . Mohamed : Afghanistan p . 137 .

(6) Singh , Khushwant : The Sikhs p . 63 .

بعض تلك الرؤى . فاتخذ من نقص الأموال التي كـان مقرراً أن يـدفعها حـاكم كشمير ذريعة لغزوها في يوليو ١٨١٤ واستمر الهجوم الأول ٩ شهور وقتل خلاله ما لا يقل عن ٩ آلاف من السيـخ ، كما رد محمـد عظيم حـاكم كشمير الهجـوم الثاني ، فعظمت بذلك سلطاته ، وأصبح مركزه أقوى من السابق(١) كشف فتـح خان أمام الزعماء الأفغان الأخطار السيخية أملاً في مساعدتهم(٢) وبـالفعل أمـدوه بتعزيزات ، فتقدم دست محمد لمواجهة السيخ ، وتقابل الجيشان عـلى جانبي نهر أتوك ، وعلى الرغم من أن النصر كان في البداية الى جانب الأفغان وهزم السيخ هزيمة منكرة الا أن نقص الماء وشدة الحرارة ونفاذ المعدات الحربية بـالاضافـة الى صرخات السيخ العاليـة بالنصر ، كل ذلك أضعف همـة الأفغان وعـثر سيرهم . واضطر دست محمد وفتح خان الى الرجوع الى بشـاور ومنها الى كـابول لتـوضيح الأمـور للملك الأفغاني . وفي عـام ١٨١٦ حصل فتـح خان عـلى تصـريـح من محمود شاه بجمع الضرائب من المقاطعات الشرقية على أن تكرس لـلاستعدادات ضـد السيخ(٣) ولكن انتقـام محمود شـاه من فتـح خـان ومـا تبعـه من نـزاع مـع الباركزاي دفع رنجيـت للسير والسيطرة على ملتان ١٨١٨(٤) وفي العام التالي أغار على كشمير وهزم حاكمها نواب جبـار خان(٥) وطـارده على الجـانب الأيمن للسند والحق به خسائر فادحة كما هددت قوات السيخ بقيادة بوداسينغ بشاور(٦) ودانت لهم السيطرة على ديراجات وقذفوا بنواب زمان شاه خارجها(٧) .

بعد سقوط نـابليون ذهب عـدد من المغامـرين الفرنسيـين والايطاليـين الى الشرق فاتجه بعضهم الى ايران والهند ، وشقت مجموعـة منهم طريقهـا الى لاهور

---

(1) Kohzad , Ahmed Ali : In the Nighlight of Modern Afghanistan . p . 50 .

(2) Ibid . p . 51 .

(3) Ibid . p 52 .

(4) Roberts , P . E . : History of Brit . India Under the Company and the Crown . p . 309 .

(5) Kohzad , Ahmed Ali : In the Nighlight of Modern Afghanistan p . 53 .

(6) Ferrier , J . Philip : Afghanistan . p .183 .

(7) Kohsad , Ahmed Ali : In the Nighlight of Modern Afghanistan . p . 23 .

١٨٢٢ وعلى رأسهم ألارد وفنتورا حيث أشرفوا على تدريب قوات رنجيت سينغ زعيم السيخ الذي أصبح خطراً على الأفغان[١] . .

بدأ رنجيت سينغ يتطلع نحو بشاور ١٨٢٢ ، وأرسل حاكمها بار محمد خان الرسل لطلب مساعدات كابول . وحينما لم تلب طلباته ، لم يجد أمامه غير الخضوع للسيخ وأبقوه حاكماً عليها تحت سيادتهم[٢] .

وجه محمد عظيم زعيم الباركزاي نظره صوب ذلك الجزء المهدد بالأخطار من بلاد الأفغان ، وبالرغم من الانتصارات التي احرزها على رنجيت سينغ الا أن جيشه لم يستطع اجبار رنجيت على التراجع وعبور السند مرة أخرى . حاول محمد عظيم ان يرفع من الروح المعنوية لجنوده ، فأعلن أن الحرب التي يخوضونها إنما هي حرب مقدسة وسار للاشتباك مع السيخ في معركة نوشيرو انقسم الجيش الأفغاني الى قسمين يفصلهما نهر كابول ، وكان الأخوة الباركزاي على الشاطىء الشمالي للنهر ومعهم القوات والزخائر وكان هذا القسم يعجز عن التحرك لدعم القسم الثاني الذي كان يواجهه السيخ على الشاطىء الجنوبي . شنت قوات السيخ بقيادة رنجيت ٤ غارات وفي الخامسة اجبرت القوات الأفغانية على التقهقر بعد أن فقدت مدافعها .

استاء محمد عظيم لهذه الكارثة التي لحقت به وببلاده ، والتي أسفرت عن بقاء الجانب الأيمن من نهر السندو في يد السيخ ، وأعطى رنجيت سينغ حكم بشاور الى سلطان محمد خان أخ محمد عظيم علي أن يدفع ضريبة صغيرة : وكان رنجيت يهدف من ذلك زيادة شقة الخلاف بين الأخوة الباركزاي[٣] .

دست محمد والسيخ :

حينما تولى دست محمد السلطة في كابول ١٨٢٦ لم يكن في مقدوره

(1) Farlane , Mec : A Hist . of Brit . India . London . J . Murray 1851 . p 524 .

(2) Kohzad , Ahmed Ali : In the Nighlight of Modern Afghanistan p . 24 .

(3) Ferrier , J . Philip : Afghanistan p . 183 .

استعادة الأراضي المفقودة . فالأحقاد كانت تحوط به من كل جانب وكان رنجيت يرقب مجرى الأحداث داخل العاصمة الأفغانية ويخشى قوة وست محمد الصاعدة فحقد مع شجاع الملك في ١٢ مارس ١٨٣٣ اتفاقية تنازل شجاع بمقتضاها عن الأراضي الأفغانية التي في حوزة رنجيت وتعهد بمنع سكان ممر خيبر عن أعمال السلب والنهب ، وأن يرسل شجاع الملك حينما يصبح ملكاً على كابول هدايا مختلفة تعبيراً عن صداقته لزعيم السيخ .

قدم رنجيت المساعدات الى شجاع الملك ، لأجل استعادة مملكته ولكنه لقى هزيمة من الباركزاي ١٨٣٤ [1].

ظل دست محمد يشعر بقلق لسيطرة السيخ على بعض المقاطعات الأفغانية وحث جميع المسلمين عام ١٨٣٤ لاسترجاع بشاور والأراضي الأفغانية . وبعد الفشل الذي لاقاه شجاع الملك تقدم رنجيت سينغ على رأس ٢٥ ألف من قواته عبر الأراضي الأفغانية وبعث دست محمد بمقاتليه لصد السيخ ، وحتى ابريل ١٨٣٥ لم يكن بين الجانبين اشتباكات حاسمة . مع نهاية الشهر لحق وست بمقدمة كتائبه لخوض المعركة مع السيخ ، ولكنه وجد عدداً من الزعماء الأفغان على اتصال برنجيت سينغ [2] عن طريق الجنرال هارلان وهو مغامر أمريكي يعمل لصالح رنجيت سينغ ـ الذي دخل المعسكر الأفغاني كسفير ومتآمر من قبل السيخ [3] وأخذ يبث سموم الفرقة والنزاع بين الأخوة الباركزاي واستمال لجانبه سلطان محمد خان الذي ترك اخاه دست محمد مع انتشار الظلام بصحبه عشرة آلاف من المقاتلين [4] ودفع ذلك الأمر دست محمد الى العودة لكابول دون المخاطرة بالحرب [5] .

---

(1) Marx , Karal : Notes on Indian History . (664 - 1858) 2nd Edit . Mosco . p . 133 .

(2) Farlane , Mac : A Hist . of Brit . India p . 526 .

(3) Marx , Karal : Notes on Indian History . (664 - 1858) p . 133 .

(4) Macrory , p . : The Story of the Disast . Retreat from Cabul . p . 38 .

(5) Farlane , Mac : A Hist . of Brit India p . 526 .

في كـابول علمدست محمد بأن أخـاه يخـطط مـع رنجيت لسـير القـوات السيخيـة عبر ممـر خيبر[1] وقـدم بعض الزعـماء الأفغان الـذين كـانت أراضيهم مكشوفة ولا تقوى على مواجهة خـطر السيخ ولائهم غـير مشروط لـرنجيت . لم يضعف ذلـك من عزيمـةدست محمد فقـد تقدمت اليـه العشائـر المحيطة بكـابول وجندت له أبناءها وحثته على التحرك السريع ضد السيخ . وفي جلال أباد تكون جيش أفغاني آخر بلغ تعداده ٢٥ ألف مقاتل زحف نصف تعداده، بقيادة افزول خان ومحمد اكبر خان وهاجم جيش السيخ في ممر خيبر في يـونيو ١٨٣٦[2]وألحق به الهزيمة . أغرى ذلك النصر محمد أكبر خان فتقدم وحاصر جوم رود ورغب في مـواصلة السير نحـو بشـاور الا ان دست محمـد بعث اليـه ميـرزا صمـد خـان ونصحه بالتراجع[3]وقـد تلاشت ثمـار الانتصار الأفغـاني وسط موجـة النزعـات والأحقاد وبدلاً من أن يفقد رنجيت الأراضي التي بين يديه بدأ في القيام بغارات جـديدة عـلى الأراضي الأفغانيـة . كان دست محمـد يرغب في مسـاندة حكـومة شركة الهند الشرقية ضد السيخ ، ولكن حكومة الشركـة كانت مـرتبطة بمعـاهدة روبـور التي عقدهـا اللورد وليم بنتنيك مـع السيخ عـام ١٨٣١ وأعطت للسيـخ الحق في حرية العمل بعيداً عن نهر ستولج[4] .

تجـددت الاشتباكـات بين السيـخ والأفغان ، وجـد دست محمد نفسـه في حيـرة ، فهو بحـاجة لصـد الزحف السيخي[5]الا أن الأسلحـة كانت تنقصـه ، بالاضافة الى استنزاف موارد بلاده الاقتصادية الأمر الذي دفعه الى الاقتراض من التجار وزيادة الضرائب على البضائع التجارية ، ولما كان شغله الشاغل استعـادة الأراضي المفقودة وأغلقت حكومة شركة الهند الشرقية باب مساعدتها في وجهه ،

(1) Macrary , p . : The Story of the Disast . R . from Cebul p . 38 .

(2) Farlane , Mac : A Hist . of Brit . India p . 526 .

(3) Macrory , P . : The Story of Disast . R . from Cabul p . 38 .

(4) Farlane Mac : A Hist . of Brit India . p . 526 .

(5) The Society for Promoting Christian Knowledge : A Hist . of the Brit . Settement In India to the close of the Sepoy Rehellion . p . 364 .

وجه نظره نحو ايران وروسيا[1] الا أن حكومة شركة الهند الشرقية وجدت في ذلك التحرك تهديداً لمصالحها ، فمهدت الطريق لعقد معاهدة تريبتايت في يونيو ١٨٣٨ والتي كانت تضم السيخ وحكومة شركة الهند الشرقية وشجاع الملك وهذا ما سنوضحه في الفصل الرابع .

أفغانستان وشركة الهند الشرقية في الهند :

الاستقرار الانجليزي في الهند :

في مطلع العصر الحديث كانت هناك عدة قوى استعمارية دولية تتصارع فيما بينها للسيطرة على الشرق وخيراته وقررت بريطانيا خوض ذلك الصراع فأصدرت الملكة اليزابيث منشوراً يمنح شركة الهند الشرقية الانجليزية حق احتكار التجارة الانجليزية في الشرق استطاعت الشركة أن تكوّن لنفسها أول محطة تجارية في سوارت ١٦١٢ ، ثم أخذت تتوسع في التجارة ، فأقامت عدة مراكز جديدة بلغ تعدادها حتى النصف الأول من القرن السابع عشر ٢٣ محطة تجارية ، وكانت هذه المحطات جميعاً خالية من أية صيغة سياسية .

ومن الطبيعي أن يثير نجاح الشركة هذا غيرة منافسيها فخاضت حروباً عديدة ضد البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين وكانت حروبها ضد الفرنسيين أشد ضراوة وانتهت بتصفية الوجود الفرنسي في النصف الثاني من القرن ١٨ الا بضعة مراكز بقيت مبعثرة في القارة الهندية . في النصف الأول من القرن السابع عشر حاولت الشركة ان تمد سيطرتها بالوسائل العسكرية الى داخل الأراضي الهندية على حساب امبراطورية المغول الا أن الامبراطور المغولي أورانجزيب صد محاولتهم تلك وهزمهم ، وعقد معهم صلحاً وقطعوا عهداً ألا يعودوا الى مثل ما فعلوا[2] .

---

(1) Farlane , Mac : A Hist . of Brit . India p . 527 .

(٢) بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية . الترجمة العربية . القاهرة : دار المعارف ١٩٦٣ ص ٦١ - ٦٢ .

بـدأت الشركـة ممارسـة نشاطهـا التجاري من جـديد واتسعت تجـارتها في النصف الأول من القرن الثامن عشر اتساعاً عـظيماً[1] وبـدأت تتطلع في النصف الثـاني من القـرن الى مـد نفـوذهـا السيـاسي وكـان يشجعهـا في ذلـك تفكـك امبراطورية المغول الى وحدات سياسية صغيرة . وتأييد الطبقة الرأسمالية الهندية التي ارتبطت مصالحها مع مصـالح الشـركة . وكـانت هذه الـطبقة تتمتـع بنفوذ سيـاسي لأنها كانت وسيلة الاتصـال بين الشـركة وحكـام الولايـات الهنديـة وقد جندت الشركة هذه الطبقة لجذب حكام الولايات الهندية تحت سيطرتها .

مع نهاية القرن الثامن عشر كان مركز شركـة الهند الشرقية حرجاً في الهند فكان هناك ثـلاث مقاطعـات تناصبهـا العداء امبـراطوريـة المهراتـا ـ في الأجزاء الغـربيـة والـوسـطى من البـلاد وحيـدر أبـاد في الـدكن وتيبـو صـاحب حـاكم ميسـور[2] الى جانب سخط العـديد من أمـراء الهند . وكـانت أوضاعهـا ستزداد سوءاً نتيجة تهديد زمـان شاه ملك أفغـانستان ـ بغـزو الهند[3] فـأرسل الى اللورد ويلزلي الحـاكم العـام للبنجـاب يقتـرح ارسـال حملة الى الشمـال الغـربي للهند[4] ويلتمس تعاون الجيش البريطاني لطرد المهراتا[5] .

وكانت الشركة تخشى اذا ما دخل بجيوشه البلاد أن يجـد لنفسه تـأييداً من قبـل بعض الأمراء المسلمـين الذين سيجـدون فيـه منقـذاً لهم من البـريـطانيـين والمهراتا عـلى حد سـواء . بـل وزاد من قلق حكـومة الشـركة أن تيبـو صاحب حاكم ميسور كان نشطاً في البحث عمّن يؤيده ضد البريطانيين فاتصل بالحكومة الفرنسية وخشيت الشركة أن يعقد اتفاقـاً مع فـرنسا لغـزو الهند وان تكـون حملة نابليون بونابرت في مصر مقدمة لذلك الغزو ، كـما انه أرسـل السفـراء من قبله الى طهران وكابول[6] .

---

(١) نفس المرجع ص ٩٥ .
(٢) نفس المرجع ١٠٠ ـ ١٠٥ .
(٣) لوريمر : دليل الخليج العربي . الترجمة العربية . قطر جـ ١ ، ص ٢٦٨ .
(4) Tytler , Fraser : Afghanistan . P . 77 .
(5) Sykes , Persey : History of Persia . London : Malcolm Comp . 2 . Vols . 1915 V . 2 . P . 395 .
(٦) لوريمر : دليل الخليج العربي . الترجمة العربية جـ ١ ، ص ٢٦٨ .

ولم يكن انتصار حكومة الشركة على تيبو صاحب بل وقتله في معركة سيرانجاباتان عام ١٧٩٨ وخروج الفرنسيين من مصر عام ١٨٠١ ليخفف من فزعها فقد ظل الخطر الأفغاني ماثلاً ، فكان ويلزلي يرقب بخوف المفاوضات التي كانت تجري بين مبعوث الملك الأفغاني وعدد من المهراجات الهنود .

ولمواجهة المبادرة الأفغانية العدوانية طلب ويلزلي من مهدي علي خان مندوب الشركة في بوشهر القيام باقناع البلاد الايراني بصد زمان شاه واقناعه بالتخلي عن مشروعاته لغزو الهند[١]وفي عام ١٨٠٣ استولت شركة الهند الشرقية على دلهي عاصمة امبراطورية المغول فأصبحت عملية الاحتكاك بين الشركة والأفغان أكثر قرباً[٢]، وبالتالي فان مقياس اهتمام بريطانيا وسط آسيا بدأ في الزيادة . فازاء الوجود الفرنسي في طهران بل وإشراف العسكريين الفرنسيين على تدريب القوات الايرانية وتحالف نابليون بونابرت والاسكندر الأول لغزو الهند عبر أفغانستان كل ذلك تطلب من حكومة شركة الهند الشرقية التحرك السريع فأرسلت بعثة بريطانية الى كابول[٣].

حتى هذا الوقت كان امراء الهند المسلمون الذين كانوا في نزاع مع شركة الهند الشرقية والمهراتا يرسلون بشكواهم لشجاع الملك بل ان عدداً منهم ويدعى هولكار طلب مساعدة شجاع الملك ضد حكومة الشركة . وكان الملك الأفغاني يدرك ان الشركة تنتهز فرصة الخلافات الداخلية من أجل نفوذها وأطماعها للمناطق المجاورة .

بعثة الفنستون الى كابول :

إزاء التحالف الروسي والفرنسي ومحاولة نابليون بونابرت جذب ايران الى ذلك التحالف قررت حكومة شركة الهند الشرقية ارسال بعثة بريطانية الى كابول

(1) Sykes , P . Hist . of Persia . V . 2 p . 395 .

(2) Bellow , Serjeant Major H . W . The Races of the Afghan p . 34 .

(3) Asiatic j . : V . 1 . p . 52 .

برئاسة ستيوارت الفنستون بهدف عدم ترك أفغانستان أمام اغراءات نابليون . وصلت البعثة الى بشارو في نهاية فبراير ١٨٠٩(*) وكان شجاع الملك قد علم بأخبار تلك البعثة وهو في طريقه من قندهار .

انقسم المسؤولون الأفغان الى قسمين حاول كل منهما الاتصال بالبعثة مدعياً أنه الممثل الحقيقي للسلطة في البلاد . القسم الأول يتكون من عدد من الوزراء الايرانيين برئاسة ميد عبد الحسين خان . وكان شجاع الملك يعتمد عليهم ولهم نفوذ سري واستطاع هذا الفريق بعد حصوله على معلومات مبكرة عن السفارة الذهاب الى الفنستون وأقنعوه بالتفاوض معهم لأن الملك على حد زعمهم يشعر بغيرة شديدة من أكرم خان وأخبروه « بأن الملك يرغب في التعامل مع مندوبيه الشخصيين ».

أما القسم الثاني بقيادة رئيس الوزارة أكرم خان فقد أرسل بدوره رسالة مع أحد أنصاره متمنياً للبعثة السلامة ، والافصاح عن رغبته في الدخول في أية مفاوضات تجريها البعثة وأصبح مخلصاً لألفنستون(١).

استقبل شجاع الملك البعثة استقبالاً ودياً وفي أثناء الاجتماع بها أعلن عن رغبته في زيادة التعاون والتحالف بين الشعبين ، وعن استعداده لبذل أي جهد لتحقيق مهام البعثة . شرح الفنستون له طبيعة البلاد البريطانية وأدرك شجاع الملك ان هناك تشابهاً في المناخ والمنتوجات بين بريطانيا وأفغانستان وجامله شجاع الملك بالقول « ان الأمتين قد وجدتا بالطبيعة لتتحدا »(٢).

(*) تتكون البعثة من ريتشارد ستراش Richard Strachy سكرتير البعثة ومساعديه مستر فيرز والاسكندر والسيرجنت ماك ويستد وقائد الحامية بتمين Pitmain واللفتينانت ماكستني Macastney رئيس الفرسان واللفتينانت تيكويل Tickwell وبعض الضباط أمثال هاريس وكاتنجهام وروس وايدفيني وفيتزجورالد وجاكوب بالاضافة الى ٤٠٠ جندي . كتب الفنستون كتاباً عن أفغانستان وعن مهام بعثته وللأسف لم استطع الحصول عليه ولذلك رجعت الى العرض الذي قدم فيه . Asiatic J . V . 1 . p . 52.

(1) Asiatic J.v.l.p.150.

(٢) انظر عرض لكتاب الفنستون عن افغانستان .

(3) Ibid . p . 152 .

ولكن عدم استقرار الأوضاع الداخلية سارع بعودة البعثة الى الهند بعد أن عقدت معاهدة مع شجاع الملك[1].

معاهدة كابول ١٧ يونيو ١٨٠٩ :

نصت هذه المعاهدة على ان تقف بريطانيا الى جانب الملك الأفغاني وتقدم له الخدمات ضد أي تهديد سواء كان هذا التهديدَ من قبل فرنسا أو ايران اما عن طريق دفع نفقات تلك الخدمات أو تقديم خبرائها[2]. ولكن هذه المعاهدة لم يطل وقتها اذ طرد شجاع الملك عن العرش الأفغاني الذي تولاه محمود شاه ..

بعد طرد شجاع الملك قابله الكسندر بيرنس أحد الرحالة البريطانيين استخدمته الشركة فيما بعد ـ في أغسطس ١٨٣١ في لوديانا ووعده شجاع الملك بأنه سيكون سعيداً لرؤية الانجليز في كابول اذا ما عاد لعرشه وأعلن استعداده لفتح الطريق بين الهند وأوروبا[3] أدرك بيرنس ان مصالح بريطانيا في وسط آسيا ستعتمد يوماً ما على شجاع الملك[4] في الوقت الذي أخذ فيه ساعد الباركزاي يشتد ، وتمت اتصالات بينهم وبين الشاه الايراني والقيصر الروسي ، بدأت بريطانيا تحيك المؤامرات للقضاء عليهم فأخذت تحث السيخ على مساعدة شجاع الملك وبالرغم من نفي كلاودوادي رئيس شركة الهند الشرقية ـ مسؤولية الاشتراك في مثل تلك الأعمال الا انه عثر في متاع شجاع الملك على بعض الرسائل المرسلة من الحاكم العام للهند الى بعض الزعماء الأفغان يحرضهم فيها على الثورة والتمرد مؤكداً لهم بأن حكومته تعرف جيداً كيف تقدر المعونة التي يمكن ان يقدموها الى ملكهم الشرعي . وكان هدف بريطانيا من ذلك هو ايجاد ملك مخلص لوجهة نظرها في كابول ، الا انها كانت تخشى تأييده صراحة ، بل وضغطت على السيخ لدعم شجاع الملك بعدة كتائب من قواتهم[5].

---

(1) Farlane , Mac : A Hist . of Brit India p . 548 .

(٢) انظر نص الاتفاقية في الملحق .

(3) Norris , J . : The First Afghan War 1838 - 42 .

(4) London : Ferst Edit . 1928 Reprinted By Cambridge University 1967 p . 48 .

(5) Ibid . p 49 .

وقفت بريطانيا موقف المعارضة ازاء مشروع الشاه الايراني لضم هرات لممتلكاته ولقد حاولت بريطانيا بكل الوسائل السياسية لمنع الحملة الايرانية على هرات ولكن الأمر الذي دفعها في النهاية الى ارسال قوة من بومباي لاحتلال جزيرة خرج ، وهذا ما سنوضحه في الفصل الثالث .

حاول دست محمد فتح صفحة جديدة للعلاقات البريطانية الأفغانية من قدوم الحاكم العام الجديد اللورد أوكلاند Aukland عام ١٨٣٦ فأرسل رسالة تهنئة وطالبه بمساعدة بريطانيا ضد السيخ[1] بعث أوكلاند الكسندر بيرنس الى كابول ، واستقبله دست محمد استقبالاً ودياً وعقد معه عدة اجتماعات أظهر خلالها كل تقدير واحترام للانجليز[2] طلب بيرنس من حكومته ارسال ٣٠ ألف جنيه استرليني وأرسل الكابتن ليش الى حكام قندهار لتقصي مجرى الأمور في تلك المنطقة بعد اتصالاتهم مع الشاه الايراني ضد كمران شاه حاكم هرات[3] ولكن الحاكم العام للشركة رفض تقديم المال أو المساعدات العسكرية لاستعادة بشاور من أيدي السيخ[4] بل ان بريطانيا وجدت في شخص دست محمد حجر عثرة في طريق تقدم تجارتها في وسط آسيا ، ولذلك أخذت تخطط للقيام بعمل عسكري ضد دست محمد وإعادة شجاع الملك الى العرش الأفغاني والتي وجدت في شخصه الضمان لمصالحها التي هددها دست محمد باتصالاته مع روسيا وإيران[5] .

أفغانستان وايران :

كانت أفغانستان جزءاً من امبراطورية نادر شاه وعلى أثر اغتياله تكونت المملكة الأفغانية بقيادة أحمد شاه الذي وصلت غزواته الى مدينة مشهد وأستر

---

(1) Mersey , Viscount : The Viceroys and Governor - Generals of India . London : J . Murray 1949 p . 53 .

(2) Burnes , Alexander : Cabul . London : J . Murray 1842 . p . 138 .

(3) Farlane , Mac : Hist . of Brit . India p . 529 .

(4) Central Asia Information : Afghanistan . London : 1960 p . 4 .

(5) Norris , J . : The First Afghan War 1838 - 42 . p . 62 .

أباد وفي تعهد حفيده زمان شاه طلب من وزيره ارسال رسول الى حاجي ابراهيم رئيس الـوزراء الايراني لكي يـطلب من سيـده الشـاه الايـراني تسليم خـراسـان للملك الأفغاني . وكان من الطبيعي ان يضايق مثل ذلك الطلب الشاه الايراني وبعث برده الى زمان أعـرب عن رغبته في استعـادة الحدود الشـرقية لإيـران التي كـانت قائمـة أثناء الحكم الصـوفي . ومعنى ذلك ان استقـلال افغانستـان سوف يتلاشى لأن كلا من قنـدهار وكـابول كـانت جزءاً من المملكـة الصفويـة ، وكان الشاه الايراني يحمل في يده ورقة رابحة فأخو الملك الأفغاني محمود ميـرزا وفيروز الـدين لجأ اليـه ، ففي عـام ١٧٩٨ زود محمـود ميـرزا بقـوة إيـرانيـة لـلأراضي الأفغانية ضد زمان شاه إلا أنها كانت قليلة التأثير . في العام التالي قام فتح عـلي شاه بنفسه لمعاقبة حكـام خراسـان الذين ثـاروا ضده وهنـاك استقبل سفـاره من زمان شاه يطلب منه العودة الى أراضيه ووعده باستقبال أخويه الفاريـين استقبالاً حسناً[١]وبناء على رغبة حكومة شركة الهند لصد زمان .

كتب مهدي علي خـان من بوشهـر الى البلاط الإيـراني يحرض الشـاه على القيام بأعمال حربيـة ضد الأفغـان بسبب الأعمال الـوحشية التي ارتكبهـا السنة الأفغـان ضد شيعـة لاهور ، وأخبـره ان الوفـا منهم قد هـربوا طلبـاً للأمـان في الأراضي التي تحكمها شركة الهند الشرقية .

وفي خريف ١٧٩٩ استقبل فتح علي شاه مهدي عـلي خان شخصيـاً الذي قدم له الهـدايا الثمينـة ، واستطاع اقنـاع الشاه الايـراني بالاستمـرار في الأعمال العـدوانية ضـد أفغانستـان[٢]حاول فيـروز الـدين حـاكم هـرات السيـطرة عـلى جـوريان ـ قلعـة تقع عـلى الحدود ـ التي كـانت في أيـدي الايـرانيـين منـذ عـام ١٨٠٥ ، ولكنـه هزم وطـرد حتى أبواب هـرات ، وأجبـر عـلى دفـع متـأخـرات الضرائب للعامين السابقـين وقدم ابنـه رهينة في أيـدي الايرانيـين لاثبات حسن نواياه . الا أن فيروز أعاد الكـرة مرة أخـرى ١٨١٧ ، فتوجهـه اليه حسن عـلي

---

(1) Sykes , p . : History of Persia V . 2 p . 396 .

(2) Ibid . p . 397 .

ميرزا ابن فتح علي شاه ، وأبعد فيروز الدين الخطر الايراني عنه بدفع ٥٠ ـ ألف ووافق على ان تقرأ الخطبة في المساجد وتصل الـلة باسم فتـح علي شـاه(١). الا أن فيـروز الدين خشي عـاقبة أعمـاله فـطلب المعدات العسكـرية من كـابـول . ووصله فتح خان على رأس قوات كبيرة ، وحارب الايرانيين ولكنـه هزم وجـرح في معركته ضدهم .

أخـذ سلطان خيـوة يثير حـركات التمـرد في خراسـان ضد الشـاه الايراني لصالح الأفغـان . ولكن فتح شـاه واجه تلك الحـركات بكـل قوة بعـد معاهـدة تركمنشاه ١٨٢٨ ـ التي عقدت بين روسيا وإيران ، بـدأت ايران تحـاول تعويض خساراتها على الجبهة الروسية بالقيام بغارات على الجبهة الأفغانيـة وكانت روسيـا تشجعها على ذلك . ففي عام ١٨٣٠ قـام عباس ميـرزا بحملة على خـراسان ، وهددت هرات(٢)وكان سكان تلك المقاطعات قد قامـوا بأعمـال السلب والنهب في الأراضي الايرانية وألقوا القبض على عدد من سكانها بهدف بيعهم عبيداً(٣).

أطماع ايران في حيرات :

فكر فتح علي شاه في غزو هرات عام ١٨٣٢ للانتقام من الأفغان ، وجمـع مـا يقرب من ٣٠ ألف جنـدي تحت قيادة عبـاس ميرزا ، وحينـما وصل مـدينـة مشهد بعث برسول إلى كمران ، وطلب منه ارسال وزيره لمحاولة فض خلافاتهم بالطرق السلمية . ذهب الوزير ومعه ٥ فرسان لمقابلة الأمير الايراني الذي فرض العديد من الصعـوبات(٤)رفض يـار محمد خـان وزير حيـرات ـ كل مـا يعارض مصالح سيده كمران .

بعد فشل المفاوضات بدأت حيرات اعـداد نفسها لمـواجهة الخـطر الايراني

(1) Sykes , P . Hist . of Persia V . 2 p . 414 .

(2) Tytler , F . : Afghanistan p . 83 .

(3) Correspondence Relating to Persia and Afghanistan . Mr . Mcneill to V . Palmer- stone . Teheran , Feb . 24 , 1837 .

(4) Ferrier , J . Philip : Afghanistan p . 175 .

فاستعان كمران بأحد الضباط المسلمين وكان يعمل في خدمة شركة الهند الشرقية لتدريب قوات هرات على النظم الحربية الحديثة ، في حين عمد يار محمد خان تحصين المدينة ، فكان يبني القرى ، ويغري السكان خارج المدينة على الاقامة فيها[١]ولكن أهمل مشروع غزو حيرات بعد وفاة الشاه الايراني ١٨٣٤ .

جدد محمد شاه ـ حفيد فتح علي شاه ـ فكرة غزو حيران في ربيع ١٨٣٦ وكان مشروعه اذ ذاك ينقسم الى قسمين . الأول نحو حيرات والثاني نحو قندهار ـ وكان يدفع الشاه في ذلك النجاح الذي حققه والده من قبل في خراسان بالاضافة الى تحريض الكولونيل الروسي Borowski [٢]وأعلن رئيس الوزراء الايراني حاجي آغاسي ووزير خارجيته ميرزا مسعود أن جزءاً كبيراً من بلاد الأفغان ملك لايران ، وبذلك يصبح لها الحق في اختيار نوع الطريقة التي تتعامل بها مع رعاياه الأفغان[٣]. بعثت هرات فتح محمد خان رسولاً من طرفها وقام آصف الدولة بالتوسط بين حيرات وبين الحكومة الايرانية واقترح ان يقدم شعب حيرات خضوعه التام وأن يثبت صدق ولائه بتقديم عدد من الرهائن .

أرسل مبعوث حيرات ذلك الاقتراح الى كمران ، ولما كان ينتظر رد حكومته ، أصدر الشاه الايراني أوامر باعداد الجيش والتأهب للسير اذا ما تأخر الرد الأفغاني[٤].

الا أن يد كمران لم يحتو على أية دلالات عن خضوعه للشاه الايراني مثل تنازله عن لقب الشاه أو قبوله لصك العملة وقراءة خطب الجمعة في المساجد باسم الشاه الايراني ، وحتى إذا ما قبل كمران بمثل تلك الشروط فانه لا يستطيع

---

(1) Ferrier , J . Philip : Afghanistan p . 177 .

(2) Correspandence R . To per . And Afghan . Mr Ellis to V . Palmer . Teheran Nov . 13 , 1835 .

(3) Ibid. MMRElbis to v. palmer. Teheran Decemb 30,1835.

(4) Ibid . Hajee Mirza Aghasse p . Minister , to Mr . M'Neill Incloser no . 3 .

مواجهة شعب حيرات الذي سيرفضها قطعاً .

قابل مبعوث حيرات السفير البريطاني في طهران ، وأكد له أن حكومة حيرات ترغب باخلاص في ايجاد اتفاقية مع الحكومة البريطانية من شأنها انهاء الأعمال العدوانية بين الطرفين ، ولعل ذلك يعكس عدم قدرة حيرات لصد الخطر الايراني لأنها ستقف في الميدان وحدها بسبب التفتت والانقسام الداخلي لأفغانستان ، وأعلن مبعوث حيرات عن استعداده لعقد مثل تلك الاتفاقية على الأساس الذي طرحه يار محمد خان إذا ما قدمت حكومة طهران الدليل على حسن نيتها(١) .

مقترحات يار محمد خان لحل الخلاف الأفغاني الايراني :

كانت مقترحات يار محمد خان تنقسم الى قسمين يلتزم كل جانب بواحد منها فعلى جانب هرات ينهى الحرب والقتل وبيع الأسرى ، وتزويد الشاه الإيراني اذا ما رغب غزو تركستان بقوات تتناسب مع طاقة حكومته ، كذلك امداده بجنود إذا ما احتاج الشاه على حدود اذربيجان ، وأن يدفع مبلغاً من المال في عيد النوروز على شكل ضريبة الى جانب حماية التجار في مقاطعات حيرات وعدم تعرضهم لأي شكل من أشكال القرصنة وأن يقيم ولي عشر حيرات ، وبعض أقرباء الوزير يار محمد ، بشير محمود خان في مدينة مشهد لمدة عامين كرهينة ، إذا ما نفذ الحيراتيون شروطهم خلالها بدون أية مخالفة يطلق سراح الرهائن . يقوم وكيل ايراني بشكل دائم في حيرات .

القسم الثاني أو الجانب الايراني فيتعهد الشاه بالنقاط التالية :

أن يعتبر الشاه كمران مثل أخيه ويعامله باحترام ولا يتدخل الوزراء الايرانيون في مسألة وراثة العرش حيرات ، وألقاب الوريث . ألا ترسل قوات ايرانية للمقاطعات التابعة لكمران شاه ووقف عمليات القتل وبيع الأسرى ، لا

---

(1) Ibid . Mr . M'Neill to V . palmer ; Camp Near Tehran , June 30 , 1837 .

تتدخل الحكومة الايرانية في الشؤون الداخلية لحيرات أو الأراضي التابعة لها .

يكون هناك وسطاء من قبل الانجليز للمساعدة في تطبيق الاتفاقية[١] .

موقف الحكومة الايرانية :

وجد حاجي ميرزا أغاسي رئيس الوزراء الايراني اذا ما خضع الأمير كمران لايران فان عمليات الحرب والقتل وبيع الأسرى ستتوقف لأنها بطبيعة الحال تتعارض مع مظاهر الطاعة وستصبح حيرات ومقاطعاتها جزءاً من المملكة الايرانية وبالتالي يفرض عليها مثل غيرها من الولايات الايرانية تقديم القوات والامدادات ، ورفض رئيس الوزراء الايراني الاعتراف بلقب شاه لكمران وقال « ألا يذكر اسم كمران بلقب شاه فلا يمكن أن يعيش ملكان في مملكة واحدة . . . »[٢] وطالب بدفع الضرائب في عيد النوروز وأن تقرأ الخطبة وتصك العملة باسم الشاه الايراني ، وتقدم فروض الولاء والطاعة في جميع المناسبات والابتعاد عن عقد اتفاقية بين حيرات وإيران كما لو كانتا مملكتين مستقلتين ويجب حماية التجارة والتجار وحرية مرورهم كما كان في العهد الصفوي . ومن جهة الرهائن فقد اكتفى باثنين بدلاً من خمسة ووعد بمعاملة الشاه معاملة حسنة للأمير كمران الا أن ذلك لا يبعده عن كونه أحد خدمه المخلصين ووافق على عدم تدخل وزراء ايران في شؤون حيرات لأن ذلك يعني اتجاهاً معاكساً لعدالة الشاه الايراني[٣] .

ازاء الفرق الشاسع بين مقترحات مبعوث حكومة حيرات ورئيس الوزراء الايراني أصبح من غير الممكن اتفاق الطرفين ولم يلبث ان غادر الأراضي الايرانية عائداً لحيرات في يوليو ١٨٣٧[٤] .

بدأ الشاه الايراني جمع قواته للسير الى حيرات ، وحصل ماكنيل السفير

---

(1) Ibid . Futteh M . K . to Persian Government Incloser 1 . No . 4 .

(2) Ibid . Incloser 2 . No . 4.

(3) Ibid. Incloser 2. No.5.

(4) Ibid . Mir . M'Neill to V . Palmer . Comp Near Teheran July 28 , 1837 .

البريطاني في طهران في ٣٠ اكتوبر على تقرير من معسكر الشاه في تربشيخ جم Toorbutsheikh Jaum وكانت قواته تتكون من أربع فرق : الأولى تتكون من ١٢ ألف مقاتل ، ١٠ مدافع بقيادة عاصف الدولة تتحرك نحو بادقيس Badkeis وكاراتيبا Karateppa لجذب قبائل هزارة لصف ايران وجمع الامدادات . الثانية : وتتكون من ٨ آلاف ، وكانت عليها مهمة حصار جوريان . الثالثة : بقيادة حمزة خان ، وحسن خان وتشكل مقدمة الجيش الذي يقوده الشاه شخصياً .

وفي ١٥ نوفمبر استسلمت جوريان التي تبعد ٤٠ كيلومتراً من حيرات والتي تعد قلعة المواجهة بين حيرات وإيران - للشاه الايراني بعد حصار دام عشرة أيام . ولم تقم أية محاولة من جانب حيرات لمقاومة الايرانيين أو قطع الاتصال بينهم وبين بلادهم ووعد الشاه حاكمها شير محمد خان بالمعاملة الحسنة وألبسه رداء الاشراف بقصد اغرائه ليكون له مساعداً من أجل استسلام حيرات ولكنه فر الى داخل حيرات لمقاومة الايرانيين[1] .

تقدم الشاه الايراني نحو حيرات ، وبالرغم من أنه فرض الحصار ١٩ يوماً لم يحرز محمد شاه أية خطوة في سبيل دخول هرات ، فقد كان الحيراتيون يتمتعون بحرية التحرك في ثلاث بوابات من بواباتها الخمس ، ويرسلون أغنامهم للرعي ، وهذا يوضح أن الحصار الايراني على المدينة لم يكن كاملاً .

صمم الشاه الايراني على البقاء في مواقعه حتى يوم ٢٩ ديسمبر على الرغم من عدم وصول الامدادات ، في حين ازدادت الأمطار غزارة واضطر عدد من الايرانيين الى العودة الى بلادهم في ٩ ، ١٠ ديسمبر .

أرسل حسن خان ٣٠٠ من المشاة ، ألف من الفرسان و٦ مدافع لاقتحام الجنوب الغربي من المدينة لأن اسوار تلك الناحية ضعيفة[2] ولقد أظهر الحيراتيون

(1) Ibid . Mr . M'Neill to V . Palmer Soolmaniah , Nov . 27 , 1837 .

(2) Ibid . Lieut . Col. Stoddart to M'Neill . Shsh Comp before Gerat , Decemb . 10 , 1837 .

بسالة فائقة في مواجهة الايرانيين وعقـدوا العزم عـلى الدفـاع عن مدينتهم لآخـر قـطرة من دمائهم[1] وأجبـر الشاه الايـراني على سحب قـواتـه بعـد التهـديـدات البريطانية ، فقد ارسلت قوات من بومباي الى بوشهـر لأنها كانت تخشى سيـطرة ايران على حيرات وبالتالي تغلغل النفـوذ الايراني الـذي يدفعـه الروس ويتعـاون معه الباركزاي ، وبذلك فكرت القيام بحربـاً على الأفغـان كاجـراء دفاعي عن وجودها في الهند من الناحية الغربية .

(1) Ibid . Lient . Col . Stoddart to M'Neill . Decemb . 11 . 1837 .

الفصل الثالث

التنافس الانجليزي والروسي في وسط آسيا

١ ـ أطماع روسيا في الشرق .
٢ ـ روسيا وخيوه .
٣ ـ سياسة روسيا نحو ايران .
٤ ـ ضم جورجيا .
٥ ـ الحرب بين روسيا وايران .
٦ ـ معاهدة تركمنشاه .
٧ ـ موقف بريطانيا نحو السياسة الروسية في وسط آسيا .
٨ ـ موقف بريطانيا تجاه سياسة روسيا في ايران .
٩ ـ موقف بريطانيا تجاه حيرات .
١٠ ـ الصراع الدبلوماسي بين انجلترا وروسيا في كابل وطهران .

أطماع روسيا في الشرق :

لم تشارك روسيا القوات الغربية في الانقضاض لنهب ثروات الشرق وخيراته خلال القرن السادس عشر والسابع عشر فقد كانت في ذلك الحين لا تملك القوة البحرية التي تمكنها من اثبات وجودها وسط المنافسة الاستعمارية الدولية ووجود القبائل القوية مثل القرغيو والقوازق التي كانت تناصبها العداء بمثابة حاجز لتغلغلها في الشرق ، وعدم استقرار الأوضاع الداخلية ، وكل ذلك جعلها تراقب من بعد مسرح الأحداث .

أما في القرن الثامن عشر وبعد أن دانت السيطرة لبطرس الأكبر Peter The Great عمد الى تنمية الملاحة الداخلية وتطلب هذا الأمر بناء السفن الحربية التي اخذت تجوب البحيرات الداخلية وشق طريقه الى البحر الأبيض شمال روسيا ونهر الدون وبحر البلطيق ثم البحر الأسود وبحر قزوين . كما أخذ يتطلع الى التوسع في الشرق فالثروات الضخمة التي أحرزتها الدول الاستعمارية الغربية من الشرق وخصوصاً الهند كانت مصدر اغراء لبطرس الأكبر فبدأ يخطط من أجل مدة تجارة روسيا ونفوذها الى الهند(١) .

كان بطبرس الاكبر يرى ان هناك طريقتين للوصول الى الهند الأول يبدأ من خيوة التي تعتبر مفتاح أقطار وسط آسيا ثم أفغانستان والهند . والثانى يبدأ من ايران ويسير في أفغانستان ثم الهند وفي كلا الاتجاهين تعتبر أفغانستان قاعدة الانتفاض الروسي على الهند من الغرب(٢) .

روسيا وخيوة :

أدرك بطرس الأكبر الأهمية الاستراتيجية والتجارية لمقاطعة خيوة باعتبارها المنفذ الوحيد الى وسط آسيا من الشمال والطريق التجاري الى أفغانستان

(1) Boulger, D.: Central Asian Question, Essays on Afghanistan. London: 1885. P. 26.

(2) Ibid . P . 39

والهند فاذا ما استطاع الوصول الى خيوة أصبح طريقه سهلاً الى الهند . فبعث الأمير جاجارين في رحلة استكشافية الى أواسط آسيا . أرسل الأمير تقريراً الى القيصر الروسي أكد فيه وجود كميات كبيرة من الذهب في برقند شرق بخارى[1]. أدى هذا الى تقوية عزم بطرس الأكبر في الزحف نحو أواسط آسيا وأخذ يتحين الفرصة المواتية ، وجد ضالته المنشودة حينها أرسل اليه الأمير نيازخان - حاكم خيوة - والذي كان متورطاً في حروب قبيلة في طلب مساعدة روسيا بالرغم من مشاغل القيصر الروسي في حروبه ضد السويد والدولة العثمانية فقد قرر ألا يرفض مثل ذلك الطلب وأرسل عام ١٧١٧ قوة كبيرة الى خيوة وكان قائد الحملة يحمل تعليمات بالعمل على اقناع حكام خيوة وبخارى لبقاء بعض الكتائب الروسية كحرس شخصي لهما[2]وكان هدف روسيا من وراء ذلك هو أن يعتمد حكام هاتين السلطتين اعتماداً شخصياً عليها وبالتالي تستطيع أن تجعل لنفسها موطىء قدم لها فيهما ، تقوم بعد ذلك بمواصلة اجراءات فتح طريقها التجاري للهند[3].

طلب بطرس الأكبر من قائد الحملة ارسال الليفيتنانت كوزين Kozin واثنين من تجار استراخان الى الهند ، وكلفهما بطرس باكتشاف الطرق المائية بين روسيا والهند[4]. ولما كان أهالي خيوة يعتبرون مطلبهم السابق - مساعدة روسيا - الذي قدم خلال النزعات القبلية ليس بذي أهمية بعد استقرار الأوضاع[5]خرج خان خيوة على رأس قواته واشتبك مع القوات الروسية في معركة ضارية هزم فيها الروس هزيمة منكرة وقتل قائد القوة نفسه[6]وبالرغم من ذلك لم تهبط هزيمة

---

(1) Popowski , Josef : The Reival Powers In Central Asia . London 1893 p . 31 .

(2) Pywkin , Michael : Russia In Central Asia . New York : Coller Book . 1963 p . 16 .

(3) Schuxier , Eugene : Turkestan . New York : Scribner , Armstrong . 1876 V . 2 .p . 401 .

(4) Popowski , J . : The Rival Powers in Central Asia p . 70 .

(5) Pywkin , M . : Russia In central Asia p . 20 .

(6) Curtis , William Eleory : Turkestan « The heart of Asia »London Hodder and Stoughtan p . 403 .



خريطة لوسط آسيا الإسلامية

بطرس الأكبر الذي أرسل مندوباً عنه الى بخاري وظل بها حتى عام ١٧٢٥ .

بعد وفاة بطرس الأكبر تركزت خطط روسيا في منطقة السهوب التي يسكنها القوزاق[1] فتميز حكم الامبراطورة آن الثانية بخضوع القرغيز لروسيا بعد أن كانوا أعداء لها . ولقد استقبلت ست بطرسبرج ذلك الحدث بابتهاج عظيم لأن خضوعهم يعني اقتراب روسيا من وسط آسيا[2] كونت روسيا لها اسطولاً صغيراً في بحر أرال وبدأت في ارسال القوافل الى طشقند وبخارى[3] وحاولت قافلة مسلحة بقيادة جافيردوفسكي Gaverdovsky الوصول الى بخارى ولكنها فشلت في ذلك .

استطاع نجرى Negri وهو أجنبي يعمل لخدمة روسيا ـ الوصول الى بخارى وكتب للحكومة الروسية ان السيطرة على خيوة سيُعطي روسيا مفتاح ثروات آسيا الأمر الذي دفع روسيا عام ١٨٢٤ ، ١٨٢٩ الى محاولة تنمية علاقاتها التجارية مع خيوة الا أنها فشلت في ذلك[4] بسبب مخاوف خيوة من عاقبة علاقتها مع روسيا حتى ولو كانت تلك العلاقة تجارية بحتة .
ظلت خيوة مطمعاً لروسيا حتى تمت لها السيطرة عليها عام ١٨٧٣ .

سياسة روسيا نحو ايران :

أما الطريق الثاني وهو ايران أفغانستان فانه بعد الفشل الذي لاقاه بطرس الأكبر في حملة خيوة الروسية ١٧١٧ تطلع الى ايران فهو من ناحية يستطيع أن يضع يده على تجارة الحرير الايرانية التي تتمتع بشهرة أوروبية واسعة ، ومن ناحية أخرى فان إجتياح ايران في نظره خطوة لأجل الوصول الى الهند .

وقد واتته الفرصة المناسبة حينما نقل الأفغان العرش الايراني ١٧٢٢[5] ،

---

(1) Schuyier , E . : Turkestan p . 403 .

(2) Ibid . p .

(3) Pywkin , M . : Russia In Central Asia p . 20 .

(4) Curtis , W . E . : Turkestan p . 82 .

(5) Boulger , D . : Central Asian Question . p . 38 - 9.

فاعتقد أن طريقه أصبح سهلاً فاتخذ من بعض الاعتداءات التي ارتكبت ضد بعض التجار الروس ذريعة له[1] وتقدم في يوليو ١٧٢٢ على رأس قوات بحرية وبرية نحو مدينة وميناء دربند على بحر قزوين . ولم تكن هناك قوة ايرانية تستطيع مقاومة الغزو الروسي ، ففتح حاكم المدينة أبوابها الى بطرس الأكبر ، ولقد عقّب احد ضباطه بأن روسيا أصبحت أكثر قرباً الى الهند[2] واضطر الأمير طهماسب ـ الذي رفض الاعتراف بالأفغان ملوكاً على ايران وأعلن نفسه ملكاً ـ الى توقيع اتفاقية عام ١٧٢٣ مع بطرس الأكبر تنازل بمقتضاها عن ثلاث مقاطعات في شمال ايران لروسيا وهي ؛ غيلان، مازنداران ، واستر أباد[3] .

حاولت كاترين الأولى خليفة بطرس الأكبر مواصلة سياسته ولكن ثمار الانتصار الروسي قد نزعت بيد نادر قولى وتنازلت روسيا عن جميع انتصاراتها بمقتضى معاهدة ريشت Resht بين روسيا وايران ١٧٣٢ .

لم تدخر الحكومة الروسية وسعاً لاستعادة السير في طريق بطرس الأكبر بعد وفاة نادر شاه ، فقد مزقت الحروب القبلية وحدة ايران وسلامتها وسارع ولاة جورجيا بعد عجزهم عن صد هجمات القبائل المحيطة بهم الى طلب مساعدة روسيا عام ١٧٥٢ [4] الا أن الشاه الايراني محمد أغاخان قام بالانتقام من حاكم جورجيا عام ١٧٩٥ واستولى على عاصمتها تفليس وقام جنوده بأعمال السلب والنهب فيها[5] وأخذ معه ما يقرب من ٢٠ ألفاً من سكانها عبيداً .

طلب هيزاكليس الثاني حاكم جورجيا مساعدة كاترين الثانية التي استاءت من الانتقام الايراني[6] وأعلنت روسيا الحرب على ايران وأحرز الجنرال الروسي

---

(1) Asiatic. . : N .S . V . 38 p . 210 .

(2) Boulger , D . : Central Asian Question p . 40 .

(3) Ibid . p . 41 .

(4) Asiatic J . : N .S. V . 38 p . 211.

(5) Ibid . p . 212 .

(6) Popowski , J . : The Rival Powers In Central Asia p . 20 .

زوبوف Zuboff عدة انتصارات الا أن الروس قد تخلوا عن معظم انتصاراتهم وعادت قواتهم الى ست بطرسبرج بسبب موت الامبراطورة كاترين[١].

ضم جورجيا :

في أواخر القرن الثامن عشر نشأ صراع في جورجيا بين الأشـراف والأسرة المالكة وطلب هيراكليس الثاني من روسيا تعزيز سلطانة في مملكته[٢]. بعد وفـاته حدث نزاع على العرش بين أبنائه ، وطلب الابن الاصغر مسـاعدة ايـران وكان من الواضح أنـه من صالـح ايران أن تسـاعد هـذا الطرف حتى لا تتـرك المجال مفتوحاً أمام روسيا لمنافستها ، ولكن ايـران لم تمد لـه يد العـون[٣]في حين أعلن الابن الثاني وهو جورج الكبير الذي عرف بجورج الثالث عن استعداده لخضوع عرشه وشعبه لروسيـا نظـير مسـاعدتهـا له[٤]وبـالفعل أمـدته روسيـا بتعزيـزات وضمت جورجيا رسمياً لروسيا عام ١٨٠٠[٥].

وفي عـام ١٨٠٢ قام الجنـرال زيزيـانوف Zizianov الـذي عـين حـاكـماً عسكـرياً لجـورجيا بـطرد الأسرة المـالكة ، وأخـذ يمهد الـطريق لضم مقاطعـات أخرى[٦]حاول الروس غزو غيلان ، ولكن القبائل اعترضت طـريقهم ولم يحققوا أهـدافهم كذلـك فشلت محاولـة الروس للسيـطرة على إيـران عـام ١٨٠٤[٧]وفي عـام ١٨٠٦ تمكنت زيزيـانوف من قصف بـاكـو بـالمدافـع الأ انـه اغتيـل أثنـاء الاحتفال الذي أقيم تحت الأسوار لتسليمها[٨].

---

(1) Asiatic J . : N. S. V . 38 p . 212.

(2) Popowski , J . : The Rival Powers In Central Asia P . 20 .

(3) Sykes , P . : Hist . of Persia . V . 2. P . 410 .

(4) Popowski , J . : The R . Powers In Cent . Asia p . 20 .

(5) Harcave, Sideney:Russia History.U.S.A.: A.B. Lippincott Company 3rd Edit. 0.234.

(6) Popowski , J . : The R . Powers In Cent . Asia p . 21 .

(7) Asiatic J . : N.S.V. 38 p . 213.

(8) Sykes , P. Hist. of Persia V . 2 . p . 412.

(9) Watson Hagh Seten : Russian Empire « 1801 - 1917 » London : Oxford University 1967 p . 289 .

الحرب بين روسيا وايران :

سادت فترة من الهدوء قاربت خمس سنوات بين ايران وروسيا ولكن ما لبثت الاشتباكات ان تجددت بين الطرفين عام ١٨١١ ، وبعد عدة هزائم فقد الايرانيون شجاعتهم وبدأوا يفكرون في عقد سلام مع روسيا ، وعقدت معاهدة جولستان ١٢ اكتوبر ١٨١٣ . تنازلت ايران بمقتضاها عن جميع الأراضي المحيطة بشاطىء بحر قزوين وتعهدت روسيا من جانبها بضمان وراثة العرش الايراني لعباس ميرزا[١]، لم تنه هذه المعاهدة النوايا العدوانية بين الجانبين ، بل كانت فرصة لكل طرف لالتقاط الأنفاس ، فروسيا مشغولة في حربها ضد نابليون بونابرت ، وإيران كانت تأمل عن طريق استعانتها بالخبرة البريطانية في تقوية جيشها ، وبالتالي تعزيز موقفها حتى تتمكن من استرجاع الأراضي التي اغتصبتها روسيا منها .

وبالفعل اندلعت الحرب مرة اخرى بين الدولتين عام ١٨٢٦ بسبب النزاع على منطقة جوفشا ، ومعاملة الروس السيئة للمسلمين في المقاطعات التي خضعت لهم ، وكانت قد جرت مفاوضات بين الجنرال الروسي ياريملوف ، وعباس ميرزا لتسوية الخلاف ، الا أن تلك المفاوضات لم تسفر عن حل وظلت روسيا محتلة جوفشا ، في حين أخذ شعور العداء لروسيا الذي أشعلته غزواتها ومعاملتها السيئة للمسلمين يترجم الى مظاهرات وطنية تطالب بالحرب . وكان عباس ميرزا قلقاً لاعادة سمعته المفقودة بين الايرانيين ، وجاء المتطوعون اليه بالآلاف . أرسل القيصر الروسي نقولا الأمير مينشكوف Menchikoff الى البلاط الايراني لمحاولة عقد سلام مع الشاه الا ان مينشكوف لم يحمل تعليمات بتسليم جوفشا الأمر الذي أدى الى زيادة سخط الرأي العام الايراني[٢] .

أصدر الشاه الايراني في يونيو ١٨٢٦ أوامره بتقدم قواته ضد روسيا[٣]وهزم

---

(1) Sykes , P . : Hist of persia v . 2 . p . 417 .

(2) Macrory , P . : The Story of the disast . R . From Cabul p . 39 .

الجنرال الروسي بايملوف القوات الايرانية بالقرب من نهر شامكار Shamkar بجوار جانجا[١] الأمر الذي دفع بعباس ميرزا الى التقدم على رأس قوات كبيرة ومهاجمة القوات الروسية في ٢٥ سبتمبر[٢] وكان يدير المدفعية الايرانية ضباط انجليز، واضطرت القوات الروسية الى التراجع في البداية ، ولكن عاصف الدولة ترك ميدان المعركة وتراجع الى آراس ، وأدى ذلك العمل الى تصدع الجبهة الايرانية فأصدر عباس ميرزا أوامره بالتقهقر[٣] وانتهزت القوات الروسية تلك الفرصة وألحقت بالقوات الايرانية خسائر جسيمة في الأرواح والعتاد[٤] واستولوا على مقاطعة كاراباغ وأطلقت المدافع في ست بطرسبرج احتفالاً بهذا الانتصار[٥].

حتى هذا الوقت لم يبذل الشاه الايراني فتح علي شاه جهداً لمواجهة الروس ، فقد دفعه جشعه لاقتناء المجوهرات والذهب بعيداً عن الاهتمام بالاتفاق على الدفاع الوطني ، كما أن ابناءه رفضوا العمل تحت قيادة عباس ميرزا مما أدى الى تفكيك عدة وحدات من قواته[٦] بعد أن وصلت التعزيزات للقوات الروسية ، تقدمت نحو عباس أباد واستولت عليها وواصلت سيرها نحو ايران وألقت عليها الحصار في ١٢ اكتوبر ١٨٢٧ . ولم تلبث ان سقطت في أيديهم في ١٩ اكتوبر نتيجة ضعف الروح المعنوية بين سكان المدينة ولعدم وجود الأسلحة الكافية وكانت قوات روسية أخرى بقيادة اللفتينانت كولونيل ايرستوف Eristoff قد استولت في ١٣ اكتوبر على مدينة تبريز كما سيطر اروتوف Erotoff على أردبيل[٧].

(1) Sykes , P . : Hist of Persia V . 2 . p . 417 .

(٢) من تقرير بعث به الجنرال بارميلوف الى القيصر الروسي في ٢٦ سبتمبر ١٨٢٦ . أنظر : Asiatic . J . V . 22 p . 731.

(3) Sykes , P . : Hist of Persia . v . 2 . p . 418 .

(4) Asiatic J . V . : 22 . p . 731 .

(5) Ibid . p . 732 .

(6) Sykes , P . : Hist of Persia . v . 2 . p . 418 .

(7) Asiatic J . : V . 22 p . 117 .

على اثر احتلال الروس لتبريز هبطت الروح المعنوية للايرانيين فأرسل عباس ميرزا الى الجنرال باسكيفيتش يطلب منه الصلح وعقد في ١٠ نوفمبر مؤتمراً لمناقشة شروط المعاهدة[١] .

معاهدة تركمنشاه TURCOMANCHAI :

عقدت هذه المعاهدة في فبراير ١٨٢٨ ، تنازلت ايران لروسيا عن مقاطعات إيران ، وناخشوان على بحر قزوين ، وتعهدت بدفع تعويض يزيد على ٣ ملايين جنيه استرليني لروسيا ، وحدد نهر آراس كحد شرقي بين الدولتين ، وأقرت ايران بحق روسيا في تعيين مستشارين أو وكلاء تجاريين لها حسب مقتضيات الحالة التجارية في ايران . اعترفت روسيا بعباس ميرزا وريثاً للعرش الايراني[٢]ومنذ هذا الوقت أخذ النفوذ الروسي يزداد في ايران بل انه كان المسيطر في طهران مما أثار قلق الحكومة البريطانية[٣]وهذا ما سنوضحه في موقف بريطانيا .

موقف بريطانيا نحو السياسية الروسية في وسط آسيا :

سبق القول بأن حكومة شركة الهند البريطانية « كانت تواجه موقفاً حرجاً في داخل الأراضي الهندية مع نهاية القرن الثامن عشر ، وزاد من خطورة موقفها ظهور نابليون بونابرت كمنافس لها في الشرق ، وكان وجود القوات الفرنسية في مصر مصدر خطر للسياسة البريطانية سواء في لندن أو في الهند ولكن انسحاب القوات الفرنسية عن مصر لم يقضي على مخاوف انجلترا فما لبثت ان تجددت أطماع نابليون في الشرق عن طريق الدخول في تحالف مع روسيا لغزو الهند وتحطيم الامبراطورية البريطانية في الشرق[٤].

(1) Ibid . p . 279 .

(1) Sykes , P . : Hist of Persia V . 2 . p . 420 .

(2) Mosely , Philip : Russian Diplomacy and The Opening of the Eastern Question in 1838 - 9 U.S.A. 1939 p . 3.

(3) Malcolm , John : Hist of Persia . London : John Murry v . 2 . p . 315 .

وهو رئيس البعثة البريطانية الى طهران عام ١٨٠١ والبعثة الثانية والثالثة وقد نشر كتابه في جزئين على ما اعتقد في أوائل القرن التاسع عشر .

تحركت بريطانيا سريعاً لمواجهة هذا التهديد فأرسلت اسطولاً الى البلطيق لتهديد روسيا[١] وواجهت بريطانيا الطرف الآخر وهو نابليون فحاولت الحد من خطورته عن طريق تحالفها مع الدولة العثمانية الا أن نابليون كان نشطاً في تحركاته فبعث برسائله وبمندوبه الى ايران وكان من المتوقع أيضاً الى كابل ، ولم يعد يخاف على بريطانيا أن نابليون كان يفكر في ايجاد تعاون بين فرنسا وإيران وأفغانستان لغزو الهند[٢] مما دفع الحاكم العام للشركة الجنرال ماركوس ويلزلي الى ارسال بعثة مالكولم الى طهران التي ارتمت في أحضان الفرنسيين لأجل استعادة نفوذها على مقاطعة جورجيا[٣]. عقد مالكولم معاهدة مع الشاه الايراني ١٨٠١ تعهد فيها الشاه بعدم السماح للفرنسيين بتأسيس قواعد لهم في ايران ، وإذا ما لجأوا الى القوة فإن بريطانيا تشارك معه في صدهم[٤]. كما عمدت بريطانيا الى تأمين الساحل الهندي فعقد الجنرال ويلزلي معاهدة مع والي جوا البرتغالي الذي وافق على قبول تعزيزات بريطانية في ولايته بقيادة السير وليم كلارك[٦] الى جانب تحركات الأسطول البريطاني بقيادة نلسون في البحر المتوسط ، وأبطل فاعلية البحرية الفرنسية في المنطقة بعد معركة أبي قير البحرية .

ولكن رغبة فرنسا في السيطرة على المنطقة لم تنته ، فتقدمت للشاه الايراني بمقترحات عام ١٨٠٤ ضد روسيا ، وكان فتح علي شاه على إستعداد لقبولها حينما وجد نفسه بلا حليف يسانده . ولم ترسل له حكومة الشركة الشرقية « البريطانية » رداً على رسائله التي بعث بها اليها سواء عن طريق البعثة التي أوفدها الى الهند أو الاتصال بالمقيم البريطاني في بغداد[٥].

ذهب ميرزا محمد مندوب الشاه الايراني وقابل نابليون في تيلست وعقد

(1) Trevor , R . : Russia Ancient and Modern p . 207 .

(2) Macrory , p . : The Story of the Disast . r . from Cabul p . 23 .

(3) Malcolm J . Hist . of Persia v . 2 . p . 316.

(٤) لوريمر : دليل الخليج العربي الترجمة العربية جـ ١ ، ص ٢٧٠ . .

Nolan , E . H . : The Illustrated Hist . of the Brit . Empire In India .

Sykes , P . : Hist , Of Persia V . 2 p . 316 .

معاهدة فنكنشتين في مايو ١٨٠٧م تعاهدت بمقتضاها كل من فرنسا وإيران على قدم المساواة لتحطيم روسيا عدوهما المشترك[٢] الا أن عداوة فرنسا ضد روسيا فقدت بعد معاهدة تيلست التي عقدها نابليون مع الاسكندر الأول ١٨٠٧ ، واستطاع نابليون بمقتضاها جذب روسيا ثانية الى مشروعه القديم لغزو الهند[٣] كما حاول نابليون ان يدخل ايران طرفاً في ذلك المشروع ولكن الشاه رفض تلك المحاولة واعتبرها مخالفة لهدفه في عودة أراضيه التي سلبها الروس منه واضطر الى العودة ثانية الى الانجليز[٤].

تحركت الدبلوماسية البريطانية بعد نشاط نابليون السياسي في الشرق فأرسلت الفنستون الى كابل وعقد اتفاقية ١٨٠٩ مع شجاع الملك[٥] كما أرسلت مالكولم في مهمة مماثلة أخرى مهدت لمعاهدة نوفمبر ١٨١٤[٦] تعهد الشاه الايراني بمقتضاها بعدم السماح بمرور أي قوى عبر أراضيه لغزو الهند، وأن يسعى لإقناع حكام خيوة وبخارى كي يتبنوا سياسة عدائية تجاه روسيا . وألا تتدخل بريطانيا في النزاع بين ايران وأفغانستان[١].

أرسلت بريطانيا أيضاً المستر ماتكالف Matcalf الى لاهور كجزء من تأمين سيطرتها على الهند وعقد معاهدة مع رنجيت سينغ في أغسطس ١٨٠٩ ، وتعهد رنجيت بعدم غزو الأراضي التي تقع الى الجنوب من ستولج[٢].

ولكن ما لبثت انجلترا أن واجهت خطراً جديداً في الشرق بظهور قوة محمد علي فقد أثار ظهوره التفكير البريطاني حول أطماعه أما كمنافس للدولة

(٢) لوريمر : دليل الخليج العربي جـ ١ ص ٢٧١ .

(3) Pares , Bernard : A . Hist . of Russia London : 6th Edit . 1953 p . 296 .

(4) Watson , Haugh Seten : R . Empire p . 118 .

(٥) راجع الفصل الثاني .

(6) Tytler , F . : Afghanistan p . 80 .

(١) انظر نص الاتفاقية في الملحق .

(2) Dorman , Marcus : Hist . of Brit Empire in the 19th Century London Kegan Poul ,Trench Co . 2 Vols 1904 v . 2 p . 306 .

العثمانية أو أنـه كان يـطمح في تحـطيمها واحتـلال مكانتهـا ومن سوء حـظه أن أهدافه كانت تقع في طريق المواصلات البريطانية الى الهند . وقد تطلب هذا من الساسة البـريطانيـين الاصطدام بسيـاسته[1] وكـان تدخله في بـلاد اليونـان دعوة صريحة لتدخل روسيا ، فانتهزت بريطانيا تلك المنـاسبة من أجـل توجيـه ضربـة قوية ضد قوة محمد علي البحرية في معركة نوارين البحرية عام ١٨٢٧[٢] .

كان محمد علي يقدر قوة انجلترا وخاصة قـوتها البحـرية في البحـر المتوسط والبحار الشرقية والمحيط الهندي . حاول اقنـاع انجلترا بـأنه لا يمثـل خطراً عـلى مصالحها في الشرق بل عـرض عليها ان يعقـد معها تحـالفاً يضـع قواتـه بمقتضاه تحت طلب بريطانيا للتعاون مع قواتها لصد أي زحف روسي نحـو الشرق . كـما حاول اقناعها بأنه يعمل على بعث الحضارة والرقي في مصر والمناطق التي أتيح له حكمهـا ولكن انجلتـرا لم تستمـع لمحمـد عـلي فقـد كـانت لا تعـطف عـلى (التغيرات) التي أدخلها في مصر . بل كانت ترى في نظامه الاقتصادي وخاصة الاحتكـار ضرراً بـالغاً يصيب الشعب المصـري ويعرقـل التجارة البـريطانيـة في الوقت نفسه ، ورفضت ان تستجيب لمشروع التعاون الـذي عرضـه وفضلت أن تعتمد على قوتها وحدها لمواجهة أي زحف روسي نحو الشرق بل كانت تـرى أن أطمـاع محمد عـلي نفسها هي من العـوامل التي تـدعو الـروس الى التدخـل في الشرق بحجة تأييد الدولة العثمانية ضد أطماع واليها الثائر عليها . فـدخلت في حـرب الشام ضـده وهددتـه بالحصـار ، وأثارت ضـده أصحاب العصبيـات في سوريا ولبنان ونزلت عسـاكرهـا على الشـاطىء وتألبت الـدول الأروبية ضـده . واستطاعت بريطانيا عن طـريق معاهـدة لندن ١٨٤٠ أن تحـد أطماع محمـد علي واقتصر نشاطه على مصر[٣]. وبذلك أصبح طريقها الى الهند سهلاً .

---

(1) Florinsky , Micheal : Russia . London : The Macmillan Company 2nd Edit . 1969 p . 291.

(2) Bell , Herbert : L . Palmerstone . U.S.A. 2vols 2nd Edit. 1966 v . 1 . p . 20 .

(٣) الاستاذ الدكتور احمد عزت عبد الكريم مقابلة شخصية .

موقف بريطانيا تجاه سياسة روسيا في ايران :

احتج النبرة ELLenbourgh رئيس مجلس ادارة شركة الهند الشرقيـة على سياسة كاننج Canning لترك ايران تلقى ذلك المصير من الامبـراطور الـروسي نقولا(١)فان تقدم روسيا في الولايات الشمـالية لإيـران أو بعبارة أخـرى السيطرة على موارد البلاد يهدد الاستقرار البريطاني في الهند(٢)ولم تنفذ بريطانيا مـا تعهدت به في اتفاقية ١٨١٤ بتقديم المعونة العسكرية أو المـالية في حـالة نـزاع ايران مـع القوى الأجنبية بل اعتبرتها معتديـة(٣)وكانت وجهـة نظر النبـرة انه من الـواجب على بريطانيا أن تحذر روسيا كما حدث من قبل تجاه الدولة العثمـانية الأمـر الذي اضطرها الى عدم المغالاة في سياستها ازاء هذه الدولة .

بدأت الحكومـة البريـطانية تنـظر بريبـة للزحف الروسي بـين بحر قـزوين وأرال على امتداد جيجـون(٤)، وطالب النبـره بتوضيـح العلاقـات التجاريـة بين خانات وسط آسيا وروسيا على أن تقوم بريطانيا بتزويد تلك الخانات بما تمدهم ، وسيابه(٥).

وفي ثلاثينيات القرن التاسع عشر بدأت روسيا ممارسة سياسة نشطة في كل من أفغانستان وايران وأصبح النفوذ الروسي هو السائد في ايران نتيجـة لسياسـة المصالحة مع روسيا التي اتبعهـا محمد ميـرزا(٦)الذي اعتـلى العـرش الايـراني في خريف ١٨٣٣ وكان يميل بوضوح الى الخضوع للسياسة الروسية واستقبـل وزيراً روسياً في بلاطه وكان يستشيره في النواحي الهامة . وما دفع الشاه الى الابتعاد عن

---

(1) Dorman , Marcus : Hist . of Brit . Empire . p . 307.
(2) Folorinky , Micheal : Russia . p . 295 .
(3) Watson , H . : R . Empire . p . 225 .
(4) Norris , J . : The First Afghan war 1838 - 42 p . 38 .
(5) Ibid . p . 76 .
(6) Mosley , p . : R . Diplomacy and the opening of Eastern Question . p . 4.
(7) Watson , H . : R . Empire . p . 227

بـريطانيـا ، انها كانت تشجـع أبناء عمـومته لمعـارضته بـل واستقبلتهم في لنـدن ١٨٣٥ . فشعر بأن بريطانيا تدبر أمراً ضده .

قامت في بريطانيا حملة صحفيـة قادهـا دكتور مـاكنيل المـوظف في السفارة البريطانية في طهران ضد خطط التوسع الروسي في آسيا أثارت اهتمام الكثيـرين من الشعب البريطاني ونشر كتيباً أعلن فيه أنه من مصلحة بريطانيا أن تحافظ مهما كان الثمن على استقلال ايران وتكامل حدودها[١]أصـدرت الحكومـة البريـطانية قراراً بتعيين ماكنيل سفيراً لها في طهران .

موقف بريطانيا تجاه حيرات :

من أولى المشاكل التي واجههـا السفير البـريطاني الجـديد في ايـران مشكلة غزو ايران لحيرات . فحيرات تتمتـع بمركـز تجاري واستـراتيجي هام في منـطقة وسط آسيا وان المتحكم فيها اذا كانت لديه القوة الكافية يستطيع تهديد ممتلكات بريطانيـا في الهند[٢]وحينـما تقلد أوكلانـد مهام منصبـه كحاكم جـديد للهنـد ، تـرددت شائعـات عن مشروعـات روسيا للتغلغـل في وسط وغرب آسيـا وكانت ايران وسيلتها الوحيدة لتحقيق مثل ذلك الغرض معتقدة انه بواسـطة الشاه فـان طريقها الى الهند سيكون سهلاً ، وبدأت تحرض الشاه على الزحف عـلى حيرات فاتصل الشاه الايراني بحكام قندهار ولوح لهم بـاعطائهم حيـرات بعد استيـلائه عليهـا ، فأرسلوا لـه مندوبـاً من طرفهم لمفـاوضته . وحـاول الشاه الايـراني ان يجذب الى جانبه دست محمد فأرسل الى أفغانستان كمبر علي خان Kumber Ali Khan عـلى رأس بعثة الى كـابل وكـان يحمل معـه عـرضـاً من ايـران وروسيـا لمساعده دست محمد ضد السيخ على أن يقف حاكم كابل الى جانب الشاه اذا ما قامت ضده فتنة في داخل مملكتـه[٣]وكانت روسيـا تهدف من وراء تلك المحـاولة

---

(1) Habberton , William : Anglo - R. Relations Concerning Afghanistan 1837 - 1907 Publish by the university of I ilinois at URBANA 1937 p . 4.

(2) Ibide . p . 4 .

(3) Nollan : Illestrated Hist . of Brit . Empire p . 565 - 6.

الى نشر نفوذها في ايران وأفغانستان[١].

الصراع الدبلوماسي بين انجلترا وروسيا في كابل وطهران :

ازاء تلك الأحداث التي اعتبرتها بريطانيا تهديداً لأمنها وسلامتها في الهند قررت التحرك السريع نحو كابل وطهران فأرسلت شركة الهند الشرقية الكسندربيرنس في سبتمبر ١٨٣٦ الى كابل بهدف ظاهري تشجيع التجارة الا أن الغرض الحقيقي لبعثته كان سياسياً[٢]وهو ابعاد كابل عن الدخول في مخطط عدواني مع روسيا وايران ومع ذلك فلم يخول بأية سلطة سياسية[٣]الأمر الذي جعله عاجزاً عن مواجهة مطالب دست محمد الذي استدعاه بعد وصوله كابل في سبتمبر ١٨٣٧ فانتقل به بيرنس الى موضوع آخر حتى يصرفه عن التحدث في موضوع المساعدة البريطانية[٤]وأرسل حكام قندهار في ٢٢ ديسمبر الى دست محمد أخبروه بأنهم ملوا انتظار المساعدة البريطانية وأنهم على وشك ارسال احد أبناء كهنديل خان الى ايران وكان ذلك بمثابة ضربة قوية الى مهمة بيرنس فأرسل الى حكومته في الهند يطلب منها الأموال . في هذا الوقت وصل فيكوفيتش ـ المبعوث الروسي ـ قندهار وقدم الى حكامها الوعود السخية نظير صداقتهم لروسيا .

حاول بيرنس ان يبعد قندهار عن الارتماء في أحضان الايرانيين والروس فبعث الى حاكمها مبعوثاً بريطانياً هو روبرت ليش R . Leech[٥]وأرسل الى أوكلاند يلوم السيخ وقال له (ان الزعماء الأفغان كانوا يرغبون منذ وقت طويل في التعاون مع الانجليز في الهند ولكنهم قوبلوا ببرود وإجابات بعيدة وهم

---

(1) Habberton , W . Anglo - R. Relat . Com . Afghanistan 1837 - 1907 .

(2) Burnes , Alexander : Cabul . p . 8.

(3) Hansard's : Parliamentary Bepates . 3 Series v . 64 p . 441 .

(4) Norris , J . : The First . Afghan War p . 48 .

(5) Burnes , A . : Cabul : p . 141 .

يعتقدون ان بريطانيا تشجع شجاع الملك في محاولة السيطرة على العرش منذ ١٨٣٤ وان استيلاء السيخ على بشاور قد أربك دست محمد[١] .

ظل دست محمد حتى فبراير ١٨٣٨ ينتظر رداً من حكومة شركة الهند وأدرك أنه لا يستطيع أن يُبقي فيكتوفيتش مدة أكثر من ذلك وأصبح من الواجب عليه ان يعمل شيئاً بشأن الجواب الروسي ، وحين شعر دست محمد بإهمال حكومة الهند له ولم تبعث بردها اليه قام بكتابة رسالة الى الحكومة الروسية ، ومع ذلك فقد سمح لبيرنس بالتدخل في صياغة عباراته حتى لا تثير بريطانيا ضده ووافق على ملاحظة بيرنس بعدم إرسال مندوب أفغاني لمرافقة فيكوفيتش اثناء عودته الى ايران وملاحظاته بشأن السيخ[٢] .

وأخيراً وصل الرد البريطاني الى كابل وتقدمت بريطانيا بعدة شروط الى دست محمد منها ألا يتصل بايران وروسيا الا بموافقة الحكومة البريطانية ، وطرد المندوب الروسي فيكوفيتشي والتنازل عن المطالبة ببشاور والعيش بسلام مع السيخ ، ولقد تقبل دست محمد تلك الشروط بتردد وأرسل بيرنس الى حكومته بشأن موافقة دست محمد عليها معتقداً أنه استطاع تحقيق مهام بعثته[٣]، أخذ دست محمد يراوغ في الوقت والترتيبات التي كان يجريها الحاكم العام بشأن الاجتماع بين دست محمد ورنجيت سينغ حاكم السيخ ، ولم يطرد فيكوفيتشي من كابل بل ازداد هذا السفير قوة ونفوذاً[٤]وأرسل دست محمد في ٢٣ مارس الى أوكلاند طالبه بتوضيح ما ترمي اليه الحكومة البريطانية وأخبر المبعوث البريطاني انه فقد الأمل في المساعدة البريطانية على الرغم من تفضيله لها على المساعدة الروسية أو الايرانية[٥]وقال لبيرنس صراحة « لا أريد ان أبقى في الظلام والخداع . . فالفرس أمام حيرات ، يساعدهم الروس صراحة ، ولقد أرسلت

---

(1) Norris , J . : The first afghan War p . 132 .

(2) Ibid p . 149 .

(3) Ibid . p . 146.

(4) Ibid . p . 150 .

(5) Ibid . p . 152 .

تلك الدولة مندوباً لها هنا ، وان حكومتك أوفدتك هنا ، ولا أريد مواجهة مع انجلترا ، لقد رفضتم كل التعهدات والوعود والوسائل ، ولم تعملوا أي شيء من أجلي ، انني أقول ما أشعر به لا أخدع نفسي ولا أخدعكم(١)» أرسل دست محمد الى حكام قندهار في ٢٦ مارس أكد لهم انه فقد الأمل بشأن الحصول على أية مساعدة من بريطانيا ، وازاء ذلك اضطر بيرنس الى الاستعداد للعودة الى الهند ، وغادر كابل في ٢٦ أبريل ١٨٣٨(٢) وكان دست محمد قد اتخذ قراره فأرسل الى فيكوفيتشي في ٢١ ابريل واستقبله بكل احترام وتكريم(٣).

وهكذا فشلت الدبلوماسية البريطانية أمام السياسة الروسية في كابل كما ستفشل أيضاً في طهران .

كانت طهران المركز الثاني الذي شهد الصراع الدبلوماسي بين روسيا وبريطانيا في تلك الفترة ، ولقد حملت الرسائل المتبادلة بين ماكنيل السفير البريطاني الجديد في طهران ، واللورد بالمرستون علامات القلق من جانب السفير البريطاني في طهران بسبب رغبة الشاه الايراني في غزو حيرات .

أرسلت حكومة الهند تطلب من السفير البريطاني في طهران القيام بدور فعال لحل النزاع بين حيرات وايران اذا ما قبل الشاه الايراني بذلك . وكانت تعليمات الحكومة له(٤) وفي حالة قبول الشاه ارسال مندوب له الى حيرات للتفاوض واذا ما رفض الشاه وأصر على موقفه فعلى السفير البريطاني انتظار تعليمات أخرى على أن يقوم بسحب الضباط البريطانيين من ايران للدلالة على عدم قبول الحكومة البريطانية لسلوكه نحو حيرات(٥).

---

(1) Ibid . p . 153 .

(2) Burnes , A . : Cabul p . 276 .

(3) Norris , J . : The First Afghan war p . 162 .

(4) Bell H . : L. Polmer. v . 1 p . 286.

(5) Corresp . R . to Per . and Afghanistan Mr Macnaghten to Mr. M'Neill « Fort William Nov. 21, 1836 ».

عرض ماكنيل رغبة حكومته على رئيس الوزراء الايراني وطالبه بتكليف الجيش المزمع ارساله الى حيرات بالعمل على حفظ الأمن في المملكة . لم يبد الوزراء الايرانيون اهتماماً لهدف الحكومة البريطانية[١]وسارت لاستعدادات، على أشدها للزحف ، وكان السفير الروسي سيموفتشي يحرض الشاه على غزو حيرات[٢]وظل ماكنيل يراقب الأحداث من بعد[٣]وكان بالمرستون يرى في موقف الشاه الايراني انه مجرد آلة في يد الروس ، وان عمله ذلك سيؤدي الى انتشار الفوضى والاضطراب في المناطق القريبة من الهند ، كما أنه سيعطي الفرصة لروسيا بالتغلغل في المناطق المجاورة للهند استعداداً للانقضاض على الممتلكات البريطانية[٤].

لم تنجح مساعي بريطانيا في وقف الشاه الايراني الذي تقدم مع نهاية ١٨٣٧ نحو حيرات وقدم السفير الروسي ٥٠ ألف تومان مساعدة للجيش الغازي[٥]. أثار السلوك الايراني ضيق الحكومة البريطانية وفكر أوكلاند في ارسال قوات بريطانية عبر أفغانستان لنجدة حيرات متجاهلاً بذلك المادة التاسعة من اتفاقية ١٨١٤ بين الانجليز والايرانيين والتي نصت على عدم تدخل بريطانيا في حالة الحرب بين ايران وأفغانستان لأي جانب من الجانبين[٦].

أرسل ماكنيل الى أوكلاند يطلب منه ارسال حملة بحرية الى الخليج (العربي) لإرغام الشاه على الرضوخ للمطالب البريطانية . لحق ماكنيل بالشاه في يونيو ١٨٣٨ ، وحاول تسوية الموقف[٧]الا أن الشاه أصر على تسليم حيرات

---

(1) Ibid . Mr M'Neill to Hajee Meerza Aghasse Minister

(2) Ibid . Mr M'Neill to v . Pomer . : camp Near tehran June 1837 .

(3) Ibid . Mr M'Neill to V . Palmer . Nov . 27 , 1837 .

(4) Bell , H . : B . Palmer . v . 1 . p . 286 .

(5) Corresp . R . to Per . and Afghanistan Mr M'Neill to v . Palmer . Teheran Desem- ber ، 16 1837.

(6) Tytlar , F . : Afghanistan p . 100 .

(7) Habberton . W. : Anglo - R. Relat . Com . Afghanistan p . 41.

دون قيد أو شرط وتعرض ماكنيل الى معاملة سيئة من قبل الوزراء الايرانيين وألقى القبض على بعض مراسليه الذين تعرضوا للأذى بالرغم من احتجاجه[1]. أرسل بالمرستون الى السفير البريطاني في طهران وطالبه بقطع اتصالاته مع الشاه الايراني اذا لم يقدم له رد اعتبار لشخصه فترك كانيل المعسكر الايراني وذهب الى الحدود العثمانية في يونيو ١٨٣٨ لانتظار مزيد من تعليمات حكومته[2] قررت الحكومة البريطانية التحرك السريع لمواجه الموقف فأرسل بالمرستون الى ماكنيل يطالبه بتحذير الشاه الايراني وطلب منه أن يبلغ الشاه بأن الحكومة البريطانية لا تستطيع ان تنظر بعين الإكتراث الى مشروعه لغزو أفغانستان لانها سوف تنظر الى هذا المشروع بروح العداء حيث يهدد وجودها في الهند . ولكونه لا يتفق مع روح التعاون القائمة بين ايران وبريطانيا العظمى وانه اذا ما استمر في السير قدماً في مشروعه فان علاقات الصداقة التي كانت ـ حتى هذا الوقت ـ مستمرة وقائمة سوف يعتريها الفتور وان الحكومة ستتخذ الخطوات التي تعتقد أنها ملائمة من أجل ضمان سلامة ممتلكات التاج البريطاني)[3].

كما أصدر أوكلاند أمراً الى حاكم بومباي لإرسال قوة بحرية الى الخليج (العربي) لتهديد الشاه الايراني[4] ونزلت تلك القوة جزيرة خرج في منتصف يونيو ١٨٣٨[5].

.وبالرغم من ذلك لم تنجح الدبلوماسية البريطانية في تحقيق أهدافها وفشلت في طهران كما فشلت من قبل في كابل الأمر الذي دفع حاكم الهند الى التفكير ارسال القوات البريطانية إلى الأراضي الأفغانية . وفي الوقت نفسه بذلت الحكومة البريطانية مسعى دبلوماسياً في العاصمة الروسية فأرسل بالمرستون

---

(1) Hansard's : Parliam . Devates 3 s . v . 64 p . 485 .

(2) Habberton , W. : Anglo R. Relat . Com . Afghanistan p . 14 .

(3) Tytler , F . : Afghanistan p . 101 - 2 .

(4) Norris , J . F. Afghan war p . 157 .

(5) Farlane , M . S . Hist of Brit Empire p . 532 .

(6) Habberton , w. : Anglo - R . Relat . Com . Afghanistan p .16 .

مذكرة الى نسلورد وزير الخارجية الروسية ، أوضح أن سياسة روسيا في وسط آسيا والتي جاهدت على اخفائها عن الحكومة البريطانية تتناقض مع التأكيدات التي قدمتها روسيا في فبراير ١٨٣٨ ، وترك لحكومة روسيا حرية إتخاذ ما تراه مناسباً لصالحها على أن بريطانيا تدرك جيداً قوتها الخاصة ولديها الوسائل الكفيلة للدفاع عن مصالحها في خضم السباق . وبرّر وجود بعض الضباط الروس في ايران وأفغانستان لدوافع غير عسكرية وغير عدوانية وان ما يقوم به المندوب ، أو الضابط الروسي في ايران إنما بأمر من الشاه الايراني نفسه ، وان وجود فيكوفيتشي إنما لغرض تجاري بحت ولا يحمل أي تهديد لبريطانيا في الهند[٢] .

في الوقت الذي كانت فيه الحكومة البريطانية تبادل الحكومة الروسية وجهات النظر دون جدوى كان أوكلاند الحاكم العام للهند قد قرر ارسال قواته الى أفغانستان دون الرجوع الى حكومته في لندن .

(1) Ibid . p . 18 .

الفصل الرابع

أسباب ومقومات الحرب الأفغانية الأولى

١ ـ أسباب الحرب .
٢ ـ مقومات الحرب .
٣ ـ معاهدة يونيو ١٨٣٨ .
٤ ـ اعلان سيملا ـ أكتوبر ١٨٣٨ .
٥ ـ تجمع القوات في فيروزيبور .
٦ ـ موقف قوات الغزو من السند .

أسباب الحرب الأفغانية :

استعرضنا في الفصول الثلاث الأولى الظروف التي مهدت لأحداث الحرب الأفغانية ، وعلى ضوء ما سبق يمكن استنتاج أسباب تلك الحرب فيما

أ - **الأهمية الاستراتيجية لأفغانستان** ، فأفغانستان تمثل خط الدفاع الغربي عن الهند ، فان سيطرة حكومة شركة الهند الشرقية عليها يعني وقف بادرة التغلغل الروسي الذي كان من المحتمل أن يهدد الهند .

ب - **الحصار الايراني لحيرات** ، فموقع حيرات الاستراتيجي والتجاري وضعها في موقف المتحكم في الأجزاء الأخرى من أفغانستان وإذا ما سقطت حيرات في يدي الشاه الإيراني الذي يقف الروس من خلفه ، فإنه يستطيع بذلك تهديد الاستقرار والوجود البريطاني في الهند .

ج - **التنافس الروسي الانجليزي في وسط آسيا** ، فقد كانت روسيا تحلم في مد نفوذها وسيطرتها الى أواسط آسيا وأفغانستان تمهيداً للوصول الى الهند . وقد فشلت - كما رأينا - في الاتجاه نحو خيوة كما فشلت في الوصول الى الهند مباشرة ، ولذلك اتخذت من الشاه الايراني قناعاً لها تدفعه من الخلف لأنها بذلك تستطيع بسط نفوذها في إيران أولاً ثم تحويل وجهة نظره عن الأراضي التي سلبتها منه روسيا عن طريق الدخول في حرب ضد الأفغان .

د - **العداء بين السيخ والأفغان** ، وما تبعه من سيطرة السيخ على عدة مقاطعات أفغانية الأمر الذي دفع الباركزاي الى قبول مبادرة المساعدة التي قدمتها لهم ايران وروسيا بعد أن أوصدت حكومة شركة الهند باب مساعدتها في وجههم .

هـ - **عدم استقرار الأوضاع الداخلية في أفغانستان** ، أدى النزاع الداخلي بين أبناء تيمور شاه والعصبيات القبلية الكبرى والخلافات المذهبية الى استنزاف طاقات أفغانستان الاقتصادية والبشرية والى تفتيت وحدتها السياسية ، وضعف قوتها العسكرية ، مما جعلها مطمعاً سهلاً لحكومة شركة الهند الشرقية التي لجأت

الى الأخذ بيد أضعف العناصر المتنازعة ألا وهو شجاع الملك متسترة وراء حقه في العرش لضرب العناصر القوية التي كان يمثلها الباركزاي وبذلك تستطيع الشركة مد نفوذها وسيطرتها الى أفغانستان .

أهداف تجارية :

فقد كانت حكومة شركة الهند الشرقية تريد دفع نشاطها التجاري الى المناطق التي تقع خلف نهر السند والى أواسط آسيا .

مقدمات الحرب :

سبق القول بأن حكومة شركة الهند الشرقية وجدت في سياسة روسيا سواء في إيران أو أفغانستان مصدر تهديد لاستقرارها في الهند ، وأن الأمر يتطلب اتخاذ اجراء لحماية حدود الهند الغربية فأرسلت اللجنة السرية التي تمثل حكومة شركة الهند الشرقية والحكومة البريطانية الى الحاكم العام في الهند تطالبه باتخاذ بعض الاجراءات الفعالة للدفاع عن سلامة وأمن الوجود البريطاني في الهند .

بعث أوكلاند بمذكرة الى اللجنة السرية أوضح فيها آراءه بالنسبة للإجراءات التي يمكن تبنيها لضمان سلامة الحدود الغربية للهند وبيّن أن أمامه ثلاث اتجاهات ؛

الأول : الدفاع عن الأراضي الهندية وترك أفغانستان لأقدارها .

الثاني : محاولة انقاذ أفغانستان عن طريق مساعدة الباركزاي ضد السيخ وشجاع الملك .

الثالث : تشجيع مشروع السيخ لدعم عودة شجاع الملك الى عرش كابل .

والاتجاهان الأول والثاني يعززان قوة الباركزاي الذين يشعرون بكراهية نحو السيخ أصدقاء بريطانيا ، وبالتالي فسوف يترجم هذا الشعور الى أعمال عدوانية ضد السيخ ، فأصبح الطريق أكثر ضرورة وملاءمة[1] .

---

(1) Kaye , J . : First Afghan war v . 1 . p . 318 - 9 .

ناقش أوكلاند المسألة الأفغانية في مايو ١٨٣٨ مع مستشاريه في سيملا واستقر الرأي على الرغبة في اشتراك حكومة شركة الهند الشرقية لمساندة شجاع الملك مع السيخ وحذر أوكلاند من المغالاة في فرض نجاح شجاع الملك وقال « فهو لا يستطيع قبل مرور ٣ شهور جمع قوات يعبر بها الى أفغانستان ، وستنقضي ٦ شهور حتى يستطيع الوصول لقندهار و٨ شهور حتى يكون أمام كابل . اذا لم تتخذ الوسائل لمواجهته . . »[١].

ذهب ماكناجتين ـ سكرتير حكومة شركة الهند الشرقية ـ لمناقشة الموقف مع السيخ واجتمع في ٣ يونيو مع رانجيت سينغ ونقل له وجهات نظر الحاكم العام ، ووافق رانجيت على دخول حكومة شركة الهند الشرقية طرفاً في محاولة اعادة شجاع الملك الى أفغانستان بالمال والضباط لشجاع الملك ، واتفقا أخيراً على أن يتقدم شجاع الملك نحو قندهار في حين تسير قوات السيخ بصحبة الأمير تيمور بن شجاع الملك عن طريق بشاور[٢].

وكان هدف أوكلاند من وراء الاشتراك مع السيخ في عمليات عسكرية في أفغانستان هو مد حكومة شركة الهند الشرقية الى ما وراء نهر السند على أكتاف السيخ بل واستنزاف طاقاتهم الحربية في الجبهة الغربية مما يجعلهم في النهاية أقل خطراً على وجودها في الهند[٣].

معاهدة ٢٦ يونيو ١٨٣٨ :

أسفرت جهود ماجناجتين لاهور عن عقد اتفاقية يونيو ١٨٣٨ . وقد وقع على هذه المعاهدة أطراف ثلاثة في العمل المشترك ضد أفغانستان وهم السيخ وحكومة شركة الهند الشرقية ، وشجاع الملك ، وقضت بتنازل شجاع الملك عن الأراضي الواقعة على جانبي نهر السند من ملتان في الجنوب الى كشمير في

---

(1) The Brit . Museum : Aukland's Papers . p . S. 2096 . ADD . 37689.

(2) Sykes , p . : Hist . of Afghanistan v . 2 . p . 2.

(3) Kaye , J . : First . Afghanistan war . V.1 p . 319 .

الشمال والتي يسيطر عليها رانجيت سينغ زعيم السيخ ، يحافظ سكان خيبر على الهدوء والسكينة في المنطقة ولا يجتاز أحدهم أراضي السيخ بدون أن يكون لديه جواز سفر ولا يتعرض التجار الأفغان لأي مضايقات في البنجاب ، ويتبادل شجاع الملك والسيخ البعثات والرسائل والهدايا وتقديم المساعدات العسكرية اذا ما تعرض أحدهما للخطر وأن يتخلى شجاع الملك عن مطالبه بالضرائب في السند مقابل مبلغ من المال تحدده حكومة الشركة . يقدم شجاع الملك ٢٠ ألف جنيه استرليني الى السيخ كمساهمة منه في القوة العسكرية في بشاور ولا يهاجم شجاع الملك كمران شاه حاكم حيرات ، ولا يدخل في مفاوضات مع القوى الأجنبية بدون موافقة السيخ وشركة الهند الشرقية(١).

تدارك رنجيت سينغ هدف حكومة شركة الهند الشرقية من وراء اشتراكها مع السيخ لدعم شجاع الملك وأصبح من الواضح له أن السيخ سيكونون أداة لتحقيق الأطماع البريطانية وبالتالي استنزاف طاقتهم حتى يكونوا أقل خطراً على وجودها في الهند ، ولذلك قرر رنجيت التّنصل من جميع الالتزامات الملقاة على عاتقه ، وأصبح من الصعب الاعتقاد أنه في مقدور شجاع الملك تجنيد وتدريب قوات يستطيع بها تأمين عودته في وقت قصير مما اضطر أوكلاند الى اصدار أمر بارسال قوات الشركة لاعادة شجاع الملك على عرش كابل(٢)كما أمر بزيادة عدد الجيش في بومباي والبنغال(٣).

توجه ماكناجتين سكرتير حكومة شركة الهند الشرقية في ١٥ يوليو ١٨٣٨ بصحبة الكابتن وادى Wade ولفتنانت ماكسون Mackeson الى مقر شجاع الملك في لوديانا(٤)لمناقشة المشكلة الأفغانية واستعرض معه العلاقات الأفغانية البريطانية منذ بعثة الفنستون عام ١٨٠٩ وأبلغه قرار حكومة الشركة بشأن عودته لعرش كابل(٥).

(١) انظر نص الاتفاقية في الملحق .

(2) The Brit . Museum. Aukand's Papers. p.s.2096 ADD 37698.

(3) Ibid . ADD . 37699 .

(4) Doodwell , The camb . Hist . of Brit . India V. 5 p . 496. (5) Kaye , J. : F.A.war v. 1 p. 337.

قدم شجاع الملك الى ماكناجتين ملاحظتين طالبه بتأكيد حكومة شركة الهند الشرقية عليهما .

الأولى : أن تمتنع حكومة شركة الهند عن التدخل في الشؤون الداخلية لأفغانستان بعد نجاح الحملة .

الثانية : أن يسمح له بتجنيد قوات خاصة به حتى لا يكون كما يظن البعض أداة في أيدي البريطانيين لتنفيذ وجهات نظرهم . ولقد وافقه ماكناجتين .

وفي الاجتماع الثاني الذي عقد في ١٧ يوليو قدم شجاع الملك عدة ملاحظات طلب من ماكناجتين موافقة الحكومة البريطانية عليهما .

الأولى : ألا تتدخل الحكومة البريطانية في الشؤون الداخلية لأفغانستان لأنها تخصه وحده ولا يحق لغيره التدخل فيها ، وقد وافقه المبعوث البريطاني وقال « لقد أخبرت الشاه أن يريح تفكيره بشأن هذا الموضوع ، وأن الحكومة البريطانية لا ترغب في التدخل بين جلالته وأسرته وتابعيه . . »[1].

الثانية : نظراً لصغر الساحة التي سيمارس فيها شجاع الملك نفوذه يجب على الحكومة البريطانية ألا تعترض حين استعادته لعرشه على غزوه لكل من بلخ ، سبستان ، بلوخستان والمقاطعات المجاورة لكابل وقندهار .

ويبدو من ذلك أن معظم المقاطعات الأفغانية لا تعترف بحق شجاع الملك في العرش الأفغاني الأمر الذي دفعه الى التفكير في غزوها . ولم يعارض المبعوث البريطاني على هذه الملاحظة .

الثالثة : حينما تصبح كابل وقندهار وغزنة ملكاً لشجاع الملك فان مقاطعات تلك المدن ستكون تحت سيطرة شجاع الملك كما كان الحال في عهده السابق . ولم يختلف المبعوث البريطاني معه في ذلك .

---

(1) Ibid . p . 341 .

الرابعة : حينما يرجع شجاع الملك الى كابل فانه من حقه أن يبقى بعض البريطانيين بغرض تشكيل وتدريب الجيش الأفغاني . وأخبر ماكناجتين شجاع الملك « بدون شك ان الحاكم العام سوف يوافق على ذلك[١] .

الخامسة : ألا يمارس الضباط البريطانيون أي سلطات على الشعب الأفغاني دون الرجوع الى شجاع الملك . وقبل ماكناجتين دون اعتراض .

السادسة : طالب شجاع الملك بضم شيكاربور الى مملكته . وبالنسبة الى هذه الملاحظة فلقد اعتبرها المبعوث البريطاني مخله بنصوص معاهدة ٢٦ يوليو ١٨٣٨ واضطر شجاع الملك الى التخلي عن هذا الطلب .

السابعة : طالب شجاع الملك بعودة الجواري اللواتي هربن من أسيادهن ورد ماكناجتين قائلاً : « على الرغم من أن هذا الأمر لم يكن واضحاً أمامي الا أنني مع ذلك أجبت بأنني سأرفعه الى الحكم العام الذي سوف يأخذ هذا الطلب في عين الاعتبار . . . . »[٢].-

يبدو للوهلة الأولى أن تلك المطالب ترجمة صادقة لشخصية قوية تهدف الى المصلحة الوطنية الا أنها في حقيقتها لم تغير اعتقاد الشعب الأفغاني في شجاع الملك اذ كان يعده ألعوبة في أيدي الانجليز .

تحرك شجاع الملك سريعاً لتحقيق الحلم الذي كان ينتظره منذ ٣٠ عاماً فأرسل رسائل الى بعض الزعماء في أفغانستان يناشدهم مناصرته والوقوف في صفه .

لبى دعوته عدد من الزعماء الذين كانوا يحقدون على دست محمد كذلك الذين وجدوا في فشل بعثة بيرنس بداية لأفول نجم الباركزاي[٣]قابل ماكناجتين

(1) Ibid . p . 344.

(2) Ibid . p . 345 - 6.

(٣) أرسل اوكلاند الكسندر بيرنس على رأس بعثة عام ١٨٣٦ الى كابول بهدف منع افغانستان من الارتماء في احضاء الايرانيين والروس ولكن هذه البعثة فشلت في تحقيق مهامها أنظر الفصل الثاني والثالث .

زمان شاه[١] وأبدى تأييده لمشروع الانجليز لاعادة شجاع الملك الى كابـل .

سار المبعوث البريطاني بعد ذلك الى سيمـلا للاجتمـاع بأوكـلاند وإعـداد ترتيبات الغزو العسكري[٢].

اعلان سيملا ـ اكتوبر ١٨٣٨ :

أصدر أوكلاند في أول اكتوبر إعلانه الشهير بإعلان سيملا واستعـرض فيه العلاقات الأفغانية البريطانيـة ونوّه بصفـة خاصـة ببعثة الصـداقة الى أفغـانستان لتنمية العلاقات التجارية ، وكال الاتهامات ضد دست محمد وعد هجوم السيـخ أصدقاء بريطانيـا على الأراضي الأفغـانية . وأهم مـا تضمنه البيـان تبريـر قراره بغزو أفغانستان للأسباب التالية :

١ ـ وقف بـادرة الزحف الأجنبي الـذي يتسم بـالـروح العـدوانيـة للهنـد ويقصد بذلك نشاط الدبلوماسية الروسية في كابل وطهران .

٢ ـ ايجاد حليف لبريـطانيا عـلى الحدود الغـربية لـدرء العدوان ، وارسـاء دعائم الأمن والسلام .

٣ ـ عزل الباركزاي في كابـل وقندهار لمسـاندتهم الـروس والشاه الايـراني بالاضافة الى معاداتهم السيخ أصدقاء بريطانيا[٣].

أصدر أوكلاند قراراً بتشكيل القوات التي ستغزو أفغانستان على أن تكـون على استعداد للتحرك الى تلك الجهات في شهر نوفمبر[٤] ولما كانت الحملة بسبيل الاعداد ، لم تكن تلقى من جميع القادة العسكريين البريطانيين الموافقة فان القائد العام نفسه كان يرى . . . « ان أي تقدم يتجاوز نهر ستولج من الجهة الغربية في

(١) تـولى زمان شاه العرش الأفغاني ١٧٩٣ ـ ١٨٠١ ولقد تميز حكمه بالصراع بين ابناء تيمور شـاه على العرش وكان من أهم منافسيه محمود ميرزا الذي تمكن من الانتصار عليه وسمل عينيه .

(2) Kaye , J . : F.A. War v.1 p. 446 - 8.

(٣) انظر نص الاعلان في الملحق .

(4) The Brit . Mus . : PS.2096. ADD. 37689.

رأي يؤدي الى زيادة الضعف من الناحية العسكرية وإذا أردت (كان يخاطب أوكلاند) أن توسع امبراطوريتك فوسعها في أودة أوجواليور GWalior أو على بقايا امبراطورية المهراتا داخل شبه القارة الهندية كن السيد المطلق على كل ما في حوزتك ولكن اترك الناحية الغربية . . . »[1]أي أن القائد البريطاني في الهند كان يفضل ان تقوي حكومة الهند سيطرتها على جميع الأراضي الهندية في داخل الهند نفسها بدلاً من القيام بمغامرات عسكرية خارج الهند ولكن أوكلاند مضى في استكمال الاستعدادات للحملة ، واضطر القائد العام للقوات البريطانية في الهند مستر هنري فان H . Fane الى اصدار أمر الى قادة الكتائب بالتجمع في كارنال في أواخر اكتوبر[2]وتقرر أن يتقدم الكسندر بيرنس الجيش لتمهيد الطريق لمرور الآمن عبر الولايات والمقاطعات التي كان من المقرر أن يسير فيها[3].

وكما أوضحنا في السابق بأن رنجيت سينغ رفض تحمل مسؤوليته كاملة بل انه عارض مرور الجيش عبر أراضيه في البنجاب ولكنه اكتفى بتقديم ستة آلاف جندي من السيخ مشاركة منه في الحملة ولذلك تقرر ان يسير الجيش الغازي عبر أراضي السند[4]ووضعت خطة جديدة لسير القوات وحددت فيروزيبور لتجمع القوات على أن تتقدم بعدها الى بوكار ثم شكابور ومنها تنطلق عبر الأراضي الأفغانية نحو مدينة قندهار[5].

تجمع القوات في فيروزيبور :

بدأت كتائب الغزو في التوافد على فيروزيبور في الفترة ما بين ٤ ـ ٣٠

---

(1) Doodwell ; The Camb . Hist . of Brit . India V. 5 p. 497.

(٢) أوضح اوكلاند ان الجيش الذي سيجتمع في كارنال سيتألف من كتيبة مدفعية ، كتيبة فرسان ، خمس كتائب من المشاة . وان هنري فان سيتولى قيادة الجيش على ان يتقدم جيش آخر بقيادة جون كيني عن طريق السند من بومباي أما جيش شجاع الملك الذي تجمعت فصائله في لوديانا فعليه الزحف عن طريق بشاور المرجع السابق ص ٤٩٨ .

(3) Norris , J. The F.A.war p. 200.

(4) Farlane, M. : Hist. of Afghanistan v. 2 p. 4.

(5) Sykes, P. : Hist. of Afghanistan V. 2 P. 4

نوفمبر ١٨٣٨ في سبعة أقسام[١] وكانت القوات التي ستشترك في الحرب فرقتين من البنغال يتبعها قوة احتياطية تعدادها ٤٢٥٠ في فيروزيبور بقيادة الميجور جنرال دنكن Duncun . القوات السيخية تقارب ستة آلاف بقيادة اللفتنانت كولونيل وادي ، قوات بومباي وكانت تتكون من ٥٥٠٠ مقاتل بقيادة السيرجون كيني[٢]، قوات شجاع الملك وتتكون من ستة آلاف جندي وقد اشترك الضباط البريطانيون في اعداد قواته من الهندوستانيين والبنجابيين المسلمين[٣].

وكان يتبع الجيش الغازي الآلاف من الحوانيت المتحركة تزوده بالطعام والمهمات الحربية والذخيرة[٤].

صدر قرار بتعيين ماكناجتين مندوباً ووزيراً من قبل حكومة شركة الهند الشرقية لدى بلاط شجاع الملك وان يعمل الكسندر بيرنس تحت امرته ، حتى تصل القوات الى مقاطعة كالات في بلوخستان يكون بعد ذلك مسؤولاً سياسياً مستقلاً ذات مهام خاصة ماكناجتين[٥].

علم أوكلاند في ٨ نوفمبر بنبأ انسحاب القوات الايرانية من حيرات وكان محمد شاه قد تراجع في ٩ سبتمبر ١٨٣٨ نتيجة احتلال القوات الانجليزية جزيرة خرج وتقدم القوارب المسلحة الى داخل نهر كارون ـ وكان من الممكن بعد هذا الحادث ألا يتورط الحاكم العلم في مغامرات عسكرية إذا ما كان دافع

---

(١) تحرك الحاكم العام من سيملا ووصل فيروزيبور في ٢٧ نوفمبر . وصل القائد العام المدينة في ٢٥ نوفمبر . البريجادير جرهام قائد المدفعية في ٢٨ نوفمبر . الجنرال دنكن في ٢٦ نوفمبر ولنبي كوتون في ٢٦ نوفمبر . البريجادير ارنولد ٢٨ نوفمبر . بقية قادة الكتائب في نفس اليوم . انظر .

(2) Havelock, Captain Henry : Narrative of the war in Afghanistan in 1838 - 9 2 vols . Lon-don 1840 v.1 p. 54.

(3) Sykes , p . : Hist . of Afghanistan v. 2 p. 2.

(4) Ibid . p. 3.

(5) Ibid . p. 5.

حكــومته فــك الحصــار الايــراني من حيـرات ولكنــه اعتبـر ذلــك الحـادث مشجعـاً[١] فمضى في إتمام تجهيـز الحملة الأفغـانيـة ولكنـه قـرر انقـاض القـوات البنغالية الى فرقة واحدة تعدادها ٩٥٠٠ جندي بدلاً من فرقتين[٢] وبذلك أصبح مجمـوع القـوات المشتـركـة في الحملة ٢٧ ألف جنـدي بـالاضـافـة الى القــوات الاحتياطية .

موقف قوات الغزو من السند :

في أوائل ديسمبر أصدر هنري ثاني ـ القائـد العلم ـ أمراً بتحـرك الجيش نحو السند وكان الكسندر بيرنس قد سبق القـوات لتمهيد الـطريق لها مـع امراء الأراضي التي ستسير فيها القوات الغازية . وعقد اتفاقية مع الأمير رستم حـاكم خيربور في السند الأدنى قضت بخضوع ولاية خيربور التام لحكومـة شركـة الهند الشرقية وإمداد الجيش الذي سيغـزو أفغانستـان بالمؤن ووضـع علاقـات الولايـة الخـارجية في يـد حكومـة الشركـة وقبول مقيم انجليـزي في خيربـور . وأهـم ما تضمنته الاتفاقية تسليم جزيرة بوكـور[٣]ـ في نهر السند ـ الى الشـركة وهـذا يعني عبور القوات البريطانية نهر السند بدون مضايقات .

وكان من الممكن ان تواصل قوات الشركة زحفها نحو الأراضي الأفغـانية ألا أن ثراء أمراء حيـدر أباد[٤] أثـار روح (القرصنـة) الكامنـة في نفوس القيـادة العسكرية البريطانية فالصقت بهم اتهاماً زائفاً لتجسد لنفسها تبريراً للهجوم عـلى

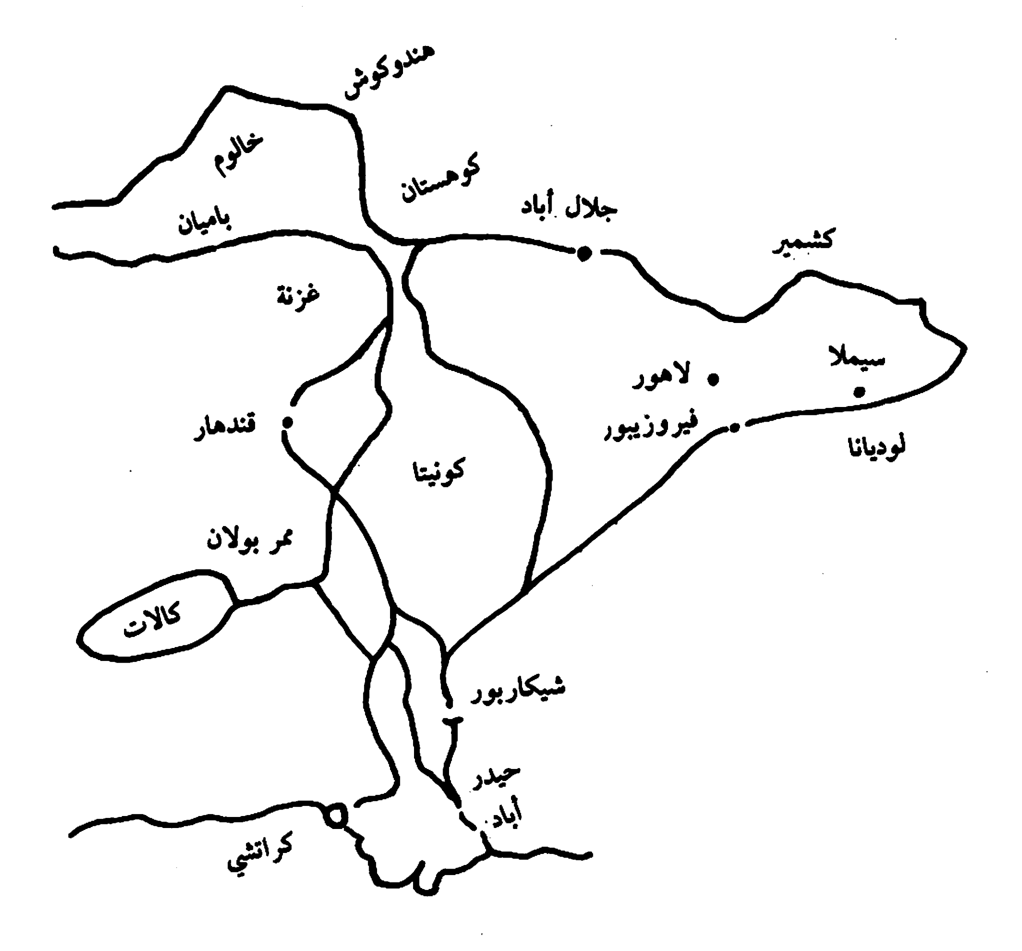
---

(1) The Brit . Muse. P S. 2069. ADD. 37690.

(2) Ibid . 37691 .

(٣) بوكور جزيرة صغيـرة يبلغ طولها ٨٠٠ ياردة ويختلف عـرضها من ١٠٠ ـ ١٥٠ يـاردة ومقام عـلى جميع مساحتها حصن يبلغ ارتفاع اسـواره ٣٠ قدمـاً وتقسم الجزيـة نهر السند الى قسمـين انظر : . Havelock , H.N. of the war in Afghan. v.i p. 55.

(٤) سبق القول بأن أحمد شاه السـادوزائي اسـتطاع ان يمـد حدود مملكتـه الى السند . وظلت السنـد احدى المقاطعات الأفغانيـة الا أن حكامهـا حاولـوا تأكيـد انفصالهم عن الأفغـان خلال النـزعات المذهبية والقبلية الا انه بقت بعض المظاهر الأسمية لولائهم لـلأفغـان وتخلوا كليه عن هذه المظاهر نظير ٢٠٠ ألف جنيه استرليني دفعوها الى شجاع الملك كما سنرى بعد قليل . .



خريطة توضيح التقدم البريطاني نحو أفغانستان ١٨٣٨ ـ ١٨٣٩ .

حيـدر أباد[1]وكـان ماكنـاجتين لا يميـل الى مشروع غـزو حيدر أبـاد ويـرى فيـه تضحية كاملة بـأحد الأهـداف الرئيسيـة للحملة وكان يعتقـد أن واجبه كممثـل لحكومة شركة الهنـد الشرقيـة أن يعطى لنفسـه مسؤولية صنـع تقدم الجيش نحـو حيدر أباد بل العمل على السير قدماً الى أفغـانستان وأوضـح لبيرنس أن الحـاكم العام لم يفكر في تحويل الجيش عن أهدافه الأصليـة الا عند الضـرورة ولم تظهـر هناك ضرورة بعد .

فشـل المندوب البـريطاني في إقنـاع القيادة العسكـريـة بعـدم التـوجـه الى حيـدر أباد قـام أمراء حيـدر أباد بتحصـين أنفسهم للدفـاع عن أراضيهم الا أن تقـدم القوات بقيـادة كيني أوقعهم في حيرة فـاضطروا الى قبـول مطالب حكـومة شركة الهند الشرقية) في فبراير ١٨٣٩ والتي تقضي بأن يـدفع امـراء حيدر أبـاد ٢٠ لاكاً من الروبيـات ـ ما يعـادل ٢٠٠,٠٠٠ جنيه استـرليني الى شجاع الملك مقابل تخليـه عن السيادة عليهم وأن يـدفعوا ٣٠ ألف جنيـه استرليني كمسـاعدة منهم لقوات حكومة شركة الهند الشرقية التي ستغزو أفغانستان[2] .

عـادت قوات حكـومة شـركة الهنـد الشرقيـة بعد قبـول امراء حيـدر أبـاد بمطالب قيادتها الى شيكاربور ، ولكن بدأت علامات الخلاف تظهر بين القيادتين العسكرية والسياسية فاتهم كوتـون ـ قائد القوات البنغالية مـاكناجتـين بأنـه تجاوز نطاق سلطاته السيـاسية وأنـه يحاول تـولي قيادة الجيش ـ فـأخذ جميـع الابل التي جمعها السكندربيرنس (٢٠ ألف من الابل) وسار بها على رأس القوات البنغالية الى أفغانستان وترك بقية القوات والقيادة[3] .

---

(1) Kaye , J. Fa. A. war v. 1 p.415.

(2) Norris , J. : The F.A. v.1 p.415.

(3) Farlane, M. : Hist. of Brist. India P. 534.

الفصل الخامس

الزحف نحو كابل

١ ـ تقدم القوات نحو أفغانستان .
٢ ـ اتفاقية كالات ٢٨ مارس ١٨٣٩ .
٣ ـ تقدم القوات نحو قندهار .
٤ ـ موقف حيرات من قوات حكومة شركة الهند الشرقية .
٥ ـ التقدم نحو غزنة .
٦ ـ موقف دست محمد .
٧ ـ خطة كيني لاقتحام غزنة .
٨ ـ أثر سقوط غزنه .
٩ ـ التقـدم نحو كابـل .

تقدم القوات نحو أفغانستان :

اندفعت القوات البنغالية بقيادة كوتون الى ميربولان وتعرضت في طريقها لهجمات البلوخستانيين الى جانب نقص المياه وغذاء الماشية[1] ووصلت في ١٠ مارس الى دادور أسفل المرتفعات الأفغانية في ذلك الوقت والتي تقع في باكستان في الوقت الحاضر والتي تعتبر مفتاح ممر بولان[2] وهنا أخذت كمية الغذاء في التناقص بشكل واضح ولم يستطع قسم التموين أن يجمع الكثير من المواد التموينية رغم المجهودات التي بذلها الميجور ليش[3] فالأراضي التي تحوط بهم كانت أراضي صحراوية قاحلة ، كما أن محراب خان حاكم كالات منع سكان تلك الجهات من بيع منتوجاتهم الى قوات الحملة[4] فاضطر كتون الى تخفيض نصيب الجنة من الطعام الى النصف ونصيب التابع الى الربع وطالب قواته بالأعداد السريع لعبور ممر يولان[5].

بدأت القوات البنغالية في ١٦ مارس دخول الممر الذي يقع أسفل مرتفعات بلغ ارتفاعها ٥ آلاف قدم[6] ولم يعترض الأفغان هذه القوات الا حينما أشرفت على الانتهاء من عبور الممر وكان من الممكن أن يلحق الأفغان هزيمة اكثر ضرراً بالقوات الغازية لو استغلوا موقع الممر الاستراتيجي وتحصنوا في قممه وشنوا هجماتهم على القوات المعتدية .

وفي ٢٦ مارس وصلت القوات البنغالية مدينة كويتاه حيث أثر كوتون الانتظار حتى وصول تعليمات أخرى . وهنا أخذت المجاعة تهدد رجال القوات فأرسل كموتون الميجور ليش الى داخل المدينة لمفاوضة السلطات المحلية التي

(1) Kaye , J. : First. Afghan war v.1. p.421.

(2) Havelock , : H. of the war in Afghanistan in 1838 - 9 v. 1 p. 225.

(3) Havelock M. : Hist of Brit . India. p.536.

(4) Kaye , J. : First afghan war v. 1 p. 422.

(5) Falane, M. : Hist. of Brit. India p. 536..

(6) Kaye, J. : F.A. war. v.1 p.422.

وافقت على فتح الحوانيت والمحلات التجارية لبيع القمح للقوات البنغالية[1] ولكن التقارير التي أرسلها الميجور ليش من داخل المدينة لم تكن مشجعة فكميات التموين داخل المدينة لا تكفي القوات الا ليومين اثنين فقط[2] كما أن الكمية المتوقع جمعها من القرى المجاورة ضئيلة .

في هذا الوضع المربك أرسل كوتون الميجور كروجي Cruigie الى كيني حيث كان هناك احتمال الالتقاء به في داور لشرح أوضاع القوات البنغالية) في كويتاه[3] كذلك أرسل الكسندر بيرنس الى محراب خان حاكم كالات الذي كان على اتصال بدست محمد واضطر كوتون الى تخفيض نصيب الفرد من الطعام مرة أخرى في ٢٨ مارس[4].

وزاد الحالة سوءاً هجوم الأفغان في ٣١ مارس على معسكر قوات الشركة بالقرب من كويتاه واستولوا على ما يزيد عن ٤٠ جملاً محملة بالمواد التموينية وفشلت قوات المطاردة في تعقب الأفغان الذين اختفوا بين المرتفعات[5] .

اتفاقية كالات ٢٨ مارس ١٨٣٩ :

ذهب الكسندر بيرنس لمفاوضة محراب خان ـ حاكم كالات ـ الذي كان يلوم بشدة تقدم شجاع الملك المؤيد بحراب قوات حكومة شركة الهند الشرقية وقال لبيرنس صراحة « انتم الانجليز تستطيعون ابقاءه بواسطة القوة لبعض الوقت ، ولكن ما أن تتركوا البلاد حتى ينهار حليفكم شجاع الملك ويقذف به خارج حدود المملكة ، فهو لا يستطيع ان يصمد في وجه العاصفة القومية والدينية المعادية في صدور الأفغان والتي على وشك الانفجار ضده . »[6] .

---

(1) Atkinson , J. : The Expedition Into Afghanistan London : 1842 p. 127.

(2) Havelock , H. : N. of the war in Afghanistan in 1836 - 39. v.1. p.247.

(3) Ibid . p . 252.

(4) Asiatic, J. : N.S.V. 32 p. 247.

(5) Havlock, H. : N. of the war in Afghanistan in 1838 - 9 v.1. p.256 - 8.

(٦) رسالة الكسندر بيرنس الى كونوف انظر المرجع السابق ص ٢٦١ .

رغم العداوة الشديدة التي يكنها محراب خان لمشروع حكومة شركة الهند الشرقية الا أن بيرنس استطاع جذب محراب الى اتفاقية عقدت بين الطرفين في ٢٨ مارس ، تعهدت فيها حكومة الشركة بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لولاية كالات ، وأن تدفع الى كالات ما يعادل ١٥ ألف جنيه سنوياً على قسطين طالما بقيت حكومة الشركة محتلة أفغانستان على أن يقوم محراب خان مقابل ذلك بتزويد القوات بالعربات والحرس لحماية الامدادات التي تمر عبر أراضيه على أن تدفع القوات ثمن المؤنة التي يزودها بها محراب خان دون تردد[١] ولكن محراب خان لم يكن صادقاً في عهده للبريطانيين وسنرى أنه كان يضع العراقيل ضد تقدمهم واستقرارهم في أفغانستان .

تقدم القوات نحو قندهار :

زحفت بقية القوات بقيادة كيني وقوات شجاع الملك عبر ممر بولان في ٣١ مارس دون صعوبات تذكر . وفي الرابع من ابريل اجتمعت قيادة أركان الجيش في مدينة سرباب[٢] وحضر هذا الاجتماع كوتون قائد القوات البنغالية .

ناقشت القيادة العسكرية الوضع أمامها وأبدت مخاوفها ازاء موقفها الحرج فالقوات لا تملك من التموين الا لفترة ١٢ يوماً فقط وهم لا يستطيعون وصول قندهار في أقل من اسبوعين ، كما لاحت لهم لأول مرة عدم شعبية شجاع الملك الأمر الذي دفع ماكناجتين الى الاعتقاد بأن قوات شركة الهند الشرقية سوف تلاقي كل مقاومة اثناء سيرها[٣] ولتلافي المجاعة قرر كيني التحرك نحو قندهار في ٧ أبريل .

حتى هذا الوقت لم يقم حكام قندهار بعمل عسكري لصد تقدم القوات

---

(١) انظر نص الاتفاقية في الملحق .

(2) Havelock, H. : N. of the war in Afghanistan in 1838 - 9 v.1. p.260.

رسالة ماكتاجتين في ٤ - أبريل الى الحاكم العام للهند . انظر:

(3) The Brit . Museum : p.S. 2096. ADD 37691.

البريطانية أو تنسيق جهودهم مع دست محمد سيد كابل ولكنهم أرسلوا مندوباً من طرفهم للتفاوض مع قيادة القوات البريطانية وطالبوا بعشرة آلاف جنيه استرليني نظير استسلامهم ، الا أن شجاع الملك رفض ذلك الطلب(١) .

وصلت القوات البريطانية قرية هايكلزاي Hyklzye في ١٢ ابريل وساد الاعتقاد في معسكر قوات شركة الهند الشرقية أن كهنديل خان أحد حكام قندهار سوف يقوم بهجوم على قوات شركة الهند الشرقية مع ألفين من أتباعه .

وعلى الرغم من أن هذه الخطوة لم يتخذها كهنديل خان الا أن الخوف انتشر بين رجال الحملة ابتداء من كوتون واعتقدوا أن الأفغان سيعترضون تقدمهم في كل خطوة(٢) .

اجتازت القوات البريطانية ممر كوجك بدون اعتراض من قبل الأفغان وكان من الممكن أن يستغل حكام قندهار هذا الموقع العسكري الهام لمحاولة وقف تقدم القوات المعتدية . واصلت قوات الشركة زحفها وسار شجاع الملك بقواته في المقدمة وانضم الى صفه عدد من الزعماء والمشايعين له في أفغانستان الغربية .

وجد حكام قندهار أنفسهم في موقف ضعيف ولعل ارسالهم مندوباً من طرفهم للمفاوضة كان الدلالة على مركزهم غير القوى ولذلك وجدوا في الفرار الأمان لهم .

أصبح الطريق مفتوحاً أمام شجاع الملك الى قندهار وفتح ماكناجتين خزائنه لشراء طاعة وولاء الأفغان معتقداً أنه في نظام الرشوة هذا والذي أحرز بعض النجاح في البداية يستطيع ضمان استمرار سيطرة حكومة شركة الهند الشرقية على أفغانستان(٣) .

---

(١) انظر رسالة ماكناجتين الى الحاكم العام في ٦ - ابريل . انظر المرجع السابق .

(٢) انظر رسالة ماكناجتين الى الحاكم العام في ١٢ ابريل ، انظر المرجع السابق .

(3) Kaye, J. F.A. war v.1 p.436.

دخل شجاع الملك قندهار في ٢٥ ابريل ١٨٣٩ وكان يصحبه ماكناجتين ومساعدوه من كبار ضباط الجيش(١) في موكب وسط الزهور والهتافات من مؤيديه وشق طريقه الى ضريح جده أحمد شاه حيث أدى الصلاة ورفع الشكر لله ، وعاد موكبه ثانية وسط المدينة . ولقد أبهج هذا الاستقبال الظاهري ماكناجتين الذي ظن ان المستقبل مشرق ، وكان يعتقد أن الفرحة الظاهرة على بعض وجوه الأفغان بفعل المال ضربة لدست محمد وظن أنه سوف يسلك نفس سلوك حكام قندهار فيستسلم بعد قليل(٢) وحدد الثامن من مايو موعداً للاحتفال بتنصيب شجاع الملك على العرش الأفغاني في مسجد أحمد شاه بقندهار(٣) .

كان من المقرر أن تواصل القوات سيرها نحو غزنة بعد سيطرتها على قندهار الا انها لم تكن تملك المواد التموينية التي تكفيها ولأجل الحصول على تلك المواد وجب الانتظار حتى نضوج المحصول(٤) ولذلك بقيت القوات في قندهار وقد بلغ تعدادها ١٠,٤٠٠ مقاتل ، ٢٩ ألف من الاتباع بالاضافة الى قوات شجاع الملك التي بلغ تعدادها ١٣ ألف جندي(٥) .

سيبقى القول بأن حكام قندهار قد لاذوا بالفرار مع اقتراب قوات حكومة شركة الهند الشرقية دون خوض معركة ضدها ، اتجهوا الى مكان على بعد ٧٥ ميلاً غربي قندهار ـ وبدأوا يدبرون خطط المقاومة(٦) الا أن الجنرال روبرت سالي تحرك نحوهم وحينما علموا باقترابه نحوهم فروا الى سستان(٧) ورجع سالي الى قندهار في ٢٨ مايو .

---

(1) Sykes , p. : Hist. of Afghanistan v.2 p.7.

(2) Kaye , J. :F.A. War. v.1 p.438.

(3) Atkinson, J. : The Expedition Into Afghanistan p. 130.

(4) Kaye, J. F.A. war v.1 p.444.

(5) Farlane, M. : Hist. of Brit India p . 540

(6) Havelock, H. : H. : N. of the war in Afghanistan in 183 - 9 v. 2 p. 23.

(4) Allen, J. : Kiary of a March theough Scinde and Afghanistan. London : 1843 p. 138.

كان شجاع الملك لا يزال ينظر بقلق بالغ نحو الشمال حيث يتربع أقوى الباركزاي وهو دست محمد على عرش كابل والذي يقف في مقدمة محاربيه لمواجهته[1]. وكان توقف القوات عن السير نحو الشمال فرصة لدست محمد وأنصاره لاتخاذ الاجراءات الدفاعية الا أنه كان في نفس الوقت نهباً للحيرة والقلق . فقد استنتج من توقف شجاع الملك عن الزحف شمالاً أن قواته سوف تزحف نحو حيرات على أن تغزو كابل في العام التالي ، ولذلك عمد الى تحصين نفسه من الجهة الغربية بدلاً من الشرق[2]وأرسل ابنه محمد أكبر خان لمقاومة القوات السيخية التي كان مقرراً في الخطة لها التقدم الى كابل عبر المقاطعات الشرقية[3]وكان استنتاج دست محمد خاطئاً فلو تحرك سريعاً لتقوية جبهته لاستطاع أن يواجهه قوات الغزو بفاعلية أكثر ولتمكن من إلحاق خسائر جسيمة بهم .

موقف حيرات من قوات حكومة شركة الهند الشرقية :

فكر يار محمد خان رئيس وزراء حيرات في تكوين تحالف مع البلاط الايراني والأخوة الباركزاي حكام قندهار لمعارضة تنصيب شجاع الملك على أفغانستان ، ولما كانت الحكومة الايرانية لا ترغب في الدخول في عداء ضد بريطانيا ، ولم يجد يار محمد خان الآذان المصغية لهدفه اضطر الى المهادنة وأرسل نجيب الدولة أحد وزراء حكومة حيرات لتهنئة شجاع الملك في قندهار[4]وحمل نجيب الدولة عدة مقترحات من طرف يار محمد خان الى القيادة العسكرية البريطانية في قندهار .

طالب يار محمد خان حكومة شركة الهند الشرقية بتقديم المال له لأجل اعادة الرخاء والرفاهية لسكان حيرات ووعدهم باستشارة المندوب

---

(1) Kaye , J. : F.A. war v.1 p.446.

(2) Ibid. p. 448.

(3) Doodwell, The Camb. Hist. of Brit. India v. 5 p. 501.

(4) Walker, Philip: Afghanistan. London 1885 2 Vols. v.1 p.34.

البريطاني في هذا الشأن ووعد بإقامة العلاقات الطيبة الوفية بين حيرات وحكومة شـركـة الهنـد الشرقيـة وحدد عـدد الأفغان الـذين يدخلون في خـدمة المنـدوب الانجليزي في حيرات بما لا زيد على مئة شخص(١)لم يمـض عـام على انسحـاب الشـاه الايراني عن حيـرات حتى حاول يـار محمد خـان أن يقوي مـواقع المـدينة بأموال الشركة ضد الأخطار الايرانية .

ولما كان هدف حكومـة شركـة الهند الشـرقية أن تمنـع وقوع حيـرات تحت سيطرة ايران وأن تشدها الى صفها ولو بطريق غير الاحتلال وبذلك تستطيـع أن تسيطر على جميع أفغانستان .

لذلك تقرر ارسال بعثة الى حيرات تضم عدداً من الضباط ومعهم الأموال لتقوية استحكامات المدينة ، وعين الميجور تـود في ٢٠ يونيـو ووصلت حيرات في ٢٥ يوليو وعمد أفرادها على الفـور الى تحصين المـدينة(٢)وتمكن رئيس البعثـة من عقد معاهدة مع حـاكم حيرات في ١٣ أغسـطس ١٨٣٩ . تعهد فيهـا الطرفـان بالعيش بسلام وبمحبة دائمة بينها . وتعهدت حكومة شركة الهنـد الشرقيـة بعدم التدخل في الشؤون الداخلية وأن تـذودها بكـافة الـوسائـل للدفاع عن أراضيهـا وشعبها ووعد كمران شاه من جـانبه بـوقف تجارة الـرقيق والتعاون مـع حكومـة شركة الهند الشرقية وشجاع الملك من أجل الحفاظ عـلى سلامـة البلاد الـداخلية وعدم الشروع في أعمال عدوانية ضد أي قوة أجنبية دون استشارة حكومة شركة الهند الشرقية وشجاع الملك وإذا مـا قام نـزاع بين شجـاع الملك وحيرات بشـأن أي أمر يرفع الى الحكومة البريطانية على أن تبذل أقصى مـا في وسعها من أجـل حل النزاع كما تعهد كمران شاه بعدم الدخول في اتصالات مـع الدول الأجنبيـة دون الرجوع الى ممثل حكومة الشركة الهندية في هرات(٣).

استطاعت الشركة بهذه المعـاهدة جـذب حيرات تحت نفـوذها لأن الخـطر

(١) انظر مسودة المشروع في الملحق.

(2) Kaye, J. :F.A. war v.1. p.447 - 50.

(٣) انظر نص الاتفاقية .

الايراني الذي يدعمه الروس كان لا يزال ماثلاً حسب اعتقادها .

التقدم نحو غزنه :

قررت القيادة العسكرية البريطانية التقدم الى غزنة شمال شرقي قندهار في ٢٧ يونيو ١٨٣٩[١]وانقسمت القوات الى ثلاث تشكيلات[٢]وكان المندوب البريطاني في أوج تفاؤله وأخبر كيني عن اعتقاده بأن الأمر أصبح سهلاً واقترح ترك فرقة بومباي في قندهار ولكن كيني لم يوافقه على ذلك ولكنه قام بترك بطاريات المدفعية الثقيلة التي لو حملها معه لسهلت مهمته لحصار غزنة .

وصلت القوات موكور Mukur التي تقع في منتصف الطريق بين غزنة وقندهار في ١٤ يوليو[٣].

موقف دست محمد :

كان احتلال قندهار السلمي مصدر دهشة لدست محمد ولكنه لم يكن ضربة قوية له وكان على يقين من أن بعض الزعماء قد جذبهم بريق الأموال الانجليزية فانضموا الى صفوف أعدائه[٤].

كانت خطة دست محمد المبدئية لمواجهة زحف القوات نحو غزنة هي أن يشترك ابنه حيدر خان آمر حصن غزنة وابنه أفضل خان Afzul Khan الذي كان على رأس مجموعة من الفرسان بالقرب من حصن غزنة في الهجوم معاً على

---

(1) Farlane, M. : Hist. Of Brit. India p.540.

(٢) القسم الأول يتكون من أركان الجيش ومدفعية الخيالة وكتيبتان فرسان والكتيبة الأولى من المشاة البنغالية والقسم الثاني قوات شجاع الملك الذي كان في مقدمتها . الثالث بقيادة ويلشيري Willshire ويتكون من كتيبة البريجادير بمجاردة Baumgardh وبطاريات بومباي قذائف زنة ٢٤ رطلاً بالاضافة الى خيالة بونا .

Havelock, H. : N. of the war in Afghanistan in 1838 - 39 v.1. p.40.

(3) Malleson, G. :Hist. of .Afghanistan. London.: Allen 1878. p. 375.

(4) Ali Shah , Ikbal . Afghanistan. p. 48.

مؤخرة جيش حكومة شركة الهند الشرقية ، في حين يعترض هو مقدمة الجيش ، الا أن دست محمد نفسه لم يحضر الى غزنة ولم ينفذ خطته لاعتراض القوات المعتدية ، وبذلك أصبح طريق قوات حكومة شركة الهند الشرقية سهلاً الى غزنة .

كان كيني يعتقد أن غزنة لا تستطيع الصمود في وجه قواته الأمر الذي دفعه الى عدم احضار مدافع الهاون ومعدات الحصار من قندهار[1]وحينما اقترب من الحصن في ٢١ يوليو وصفه أنه حصن ذات قوة عظيمة سواء في البناء أو الموقع[2] .

كان حيدر خان يستطلع تحركات القوات المعتدية من خلال التلسكوب في القلعة ، ولم يلبث الأفغان في القرى المجاورة للحصن أن دخلوا في تراشق مع الجيش الغازي .

قامت مجموعة من سلاح المهندسين باستكشاف المكان وقرر كيني أن يعسكر الجيش أمام بوابة كابل .

في هذا الوقت وصل تقرير عن تقدم دست محمد ، وقد جاء تقدمه متأخراً ، وأصبح من اللازم على القوات البريطانية قطع اتصالاتهن مع القلعة . مع غروب ٢١ يوليو قام كيني وكوتون ومجموعة من المهندسين باستطلاع المرتفعات التي تشرف على تحصينات القلعة من الجهة الشرقية ـ قرر كيني اقتحام القلعة من تلك الجبهة دون علمه بوسائل تحقيق هذا الهدف فالمدافع التي أحضرها معه تعجز عن احداث التأثير الفعال في جدران القلعة ، ولقد نصحه شجاع الملك بترك غزنة ومواصلة السير مباشرة نحو كابل واقترح الكابتن

(1) Kaye, J. :F.A. war. v.1. p.456.

(٢) غزنة مدينة رباعية الزوايا تقع على تلال مرتفعة يحيط بها سور بلغ ارتفاعه ٣٣ قدماً وبه أربعة بوابات من الشمال بوابة ايراغ ومن الجنوب شيكاربور ومن الشرق كابول ومن الغرب بوابة حيرات .

Asiatic J. : v. 27 p.310.

طومسون Thomson بتفجير البوابة[1] وسط هذه الدوامة من الحيرة واليأس لجأت القيادة العسكرية الى سلاح الذهب حيث استمالت الى جانبها عبد الرشيد بن أخ دست محمد ، وقدم معلومات قيمة الى قوات حكومة شركة الهند الشرقية تتعلق بكيفية إسقاط الحصن ووضعت هذه المعلومات أمام الميجور طومسون[2] وفي صباح اليوم التالي ٢٢ يوليو عمد كيني الى اعداد الترتيبات لاقتحام القلعة .

في هذا الوقت كما يقول جون كي « أخذ الرعب ينتشر بين نفوس الجند وازداد خوفهم من الأفغان المتعصبين والذين يحثهم علماء الدين لحشد أنفسهم تحت الراية الخضراء ولنيل الشرف عن طريق تحطيم الأعداء أو الموت كشهداء .

تجمع جزء من هؤلاء الرجال الأشداء بجوار غزنة واندفعوا على معسكر شجاع الملك بقصد قتله لتخليص البلاد مَن الرجل الذي انتهك حرمة الدين الاسلامي برجوعه مستنداً الى حراب الاعداء . . . »[3]، الا أن خيّاله شجاع الملك أوقفت تقدم الأفغان ولاحقهم الكابتن أوترام على رأس مجموعة من المشاه الملكية الى المرتفعات المجاورة واستولى على (الراية الخضراء) راية المجاهدين وأسر ما يقارب ٥٠ منهم .

جاء شجاع الملك لرؤية الأسرى ولكنهم قذفوه بالسباب والشتائم المهينة بل حاول احدهم طعنه الا أن الطعنة أصابت واحداً من حاشيته الأمر الذي دفعه الى اصدار قرار بقتل الجميع[4].

---

(1) Kaye, J.F.A. war v.1 p.458 - 9.

(٢) كان عبد الرشيد على اتصال سابق بحكومة شركة الهند الشرقية منذ بعثة بيرنس ١٨٣٦ ولقد أرسل اليه موهان لال ـ أحد المستخدمين الهنود ـ بالإنضمام الى صفوف الحملة . وخرج عبد الرشيد وانضم الى القوات ، وقدم لهم المعلومات المتعلقة بأسرار الحصن ونقلها موهان لآل الى كيني .

The Society for Promoting christ. Knowledge : Hist. of the Brit. Sett. In India. p.378.

(3) Kaye, J. :F.A. war v.1. p.461.

(4) Havelock H. N. of the war in afghanistan in 1838 - 9 v.2. p. 69 - 70.

خطة كيني لاقتحام غزنة :

كانت خطة كيني لاقتحام غزنة تسير على النحو التالي : تتمركز ٤ سرايا في البساتين المجاورة التي تقع شمال المدينة في منتصف الليل تماماً على أن تفتح النار في الساعة الثالثة صباحاً ٢٣ يوليو على القلعة بهدف ارباك الحامية الأفغانية .

تتمركز قوات المدفعية بين المرتفعات الشمالية الشرقية للقلعة والبساتين - وتقوم باطلاق النار بالقدر الذي تمكنهم من تحويل انتباه الأفغان الى البوابة .

تكون قوة الاقتحام بقيادة البربجادير سالي على استعداد للعمل في الساعة الثانية صباحاً . وضع أيضاً قوات للاشتباك والتغطية .

وعموماً كانت خطته محكمة واستطاعت أن تؤدي في النهاية الغرض المطلوب وهو السيطرة على القلعة[١] .

في الساعة الثالثة كانت جميع الاستعدادات جاهزة ، واستطاع طومسون من وضع ٩٠٠ رطل من البارود أسفل تحصينات القلعة .

كان الأفغان يتوقعون أن تتسلق القوات الغازية الأسوار الأمر الذي دفعهم الى تحصين أنفسهم وزيادة عدد جندهم[٢] .

بعد الانفجار الذي حدث أسفل التحصينات تقدم داني وقواته وسط الانقاض ولكن الأفغان أسرعوا لمواجهته واشتبكوا معه في قتال عنيف[٣] وأوقفوا تقدمه ، وأدى ذلك الى تراجع البربجادير سالي .

توقفت القوات المعتدية فترة وإنتاب قيادتها الخوف والقلق ، وشعرت القيادة البريطانية بحرج موقفها خاصة وأن الأفغان قاموا بتعزيز - حاميتهم -

---

(1) Ibid. Appind.

(2) Kaye, J. : F.A. war v.1. p.462.

(3)Havlock, H.: N. of the war in Afghanistan in 1838 - 9 v.2 p.76.

وزودوها بالسلاح والمقاتلين واعتقدت القيادة البريطانية أنه من الصعوبة بمكان إقتحام البوابة ومع ذلك فقد قام داني بمحاولة يائسة يتبعه سالي ودارت اشتباكات عنيفة بين الجانبين وجرح سالي خلالها ولم ينقذه غير قوات نجدة بقيادة الكولونيل Crlker والقوات الاحتياطية برئاسة كوتون . وأظهر الأفغان شجاعة فائقة في الدفاع عن تحصيناتهم الا أن نيران المدفعية أحدثت اضطراباً في صفوفهم ، وحاول بعضهم الهروب من البوابة وحاول البعض الآخر اقتحام الانقاض . وبذلك استطاعت قوات حكومة شركة الهند الشرقية اقتحام حصن غزنة والسيطرة عليه .

فر الأمير حيدر خان من القلعة وعثر عليه الميجور ماك كريجور Macgre-gor مع جماعة مسلحة في أحد الأبراج ينتظر حلول الظلام لكي يهرب خارج غزنة ووضع تحت ملاحظة الكسندر بيرنس .

رفض حيدر خان المثول أمام شجاع الملك ولكن كيني أصر على مقابلته لشجاع الذي عامله معاملة خشنة ولكنه عفا عنه[١]أما نساءه فقد أرسلت الى الهند ، ومن جهة أفضل خان والذي كان مكلفاً من قبل أبيه دست محمد بالتعاون مع حيدر خان فحينها اقترب من القلعة ووجد العلم البريطاني يرفرف عليها تراجع مع قواته التي كان تعدادها يقارب ٥ آلاف الى كابل مباشرة[٢]ولو قدر لهذه القوات الاشتراك مع قوات حيدر خان لتعذر على القوات البريطانية الاستيلاء على ذلك الحصن القوي .

أثر سقوط غزنة :

كان لسقوط غزنة ذلك الحصن المنيع مصدر دهشة لدست محمد وأبنائه وتسرب الرعب في قلوبهم فأصبحت كابل هي الخطوة التالية لأعدائهم[٣]فرفض

---

(1) Kaye , J. :F.A. war. v.1. p.463 - 6.

(2) Farlane , M. : Hist. of Brit. India. p. 542.

(3) Malleson, G. : Hist. of Afghanistan. p.376.

دست محمد استقبال ابنه أفضل خان الذي هرب من مواجهة الأعداء فقد كان يتوقع من ابنه الذي خاض معركة جوم رود بجدارة وشرف ضد السيخ ١٨٣٤ أن يقوم بعمل عسكري رائع .

بعد سقوط غزنة بـ ٢٤ ساعة عقد دست محمد اجتماعاً ضم الزعماء الأفغان وتحدث فيه عن تخلي بعض الأفغان عنه وأعرب عن اعتقاده في أن البعض الآخر على وشك سلوك نفس الطريق وأخبرهم صراحة أن غزنة لم تسقط بدون مساعدة أحد الخونة من بني وطنه ، وطالب بانسحاب كل متردد من صفه لأنه يريد معرفة مصادر قوته الحقيقية دون الاعتماد على الوعود الكاذبة[١] ولكنه في الوقت نفسه أرسل أخاه نواب جبار في ٢٨ من يوليو لمفاوضة شجاع الملك وحلفائه .

كان نواب يحمل معه شرط استسلام دست محمد نظير منصب رئاسة الوزراء الذي تقلده الباركزاي بجدارة الا أن هذا الأمر رُفض من قبل القيادة العسكرية البريطانية وشجاع الملك ، وقدموا له عرضاً يتضمن لجوء دست محمد الى الهند . ولكن نواب جبار خان عارض ذلك بشدة بسبب رفض دست محمد تسليم حريته حتى لا يصبح أسيراً لفضل حكومة شركة الهند الشرقية[٢] وقال لماكناجتين صراحة « إذا ما كان شجاع الملك ملكاً حقيقياً ، وقدم الى مملكة أسلافه ، ما فائدة جيشك ؟ لقد أحضرته بواسطة نقودك وجيشك الى أفغانستان ، دعه الآن لنا نحن الأفغان ، ولتتركه يحكم اذا ما في استطاعته ذلك . . . . »[٣] .

عاد نواب الى كابل دون تحقيق اهداف بعثته وصدرت الأوامر بتحرك قوات حكومة شركة الهند الشرقية نحو العاصمة في ٣١ يوليو[٤] .

---

(1) Kaye, J. :F.A.war. v. p.468.

(2) Atkinson, J.: The Expedition into Afghanistan p.230.

(3) Doodwell.: The Camb. Hist. of Brit. India v.5 p.501.

(4) Havelock, H. : N. of the war in Afghanistan in 1838 - 39 v.2 p. 127.

خرج دست محمد على رأس قواته الى أرغندة على طريقة غزنة كابـل وركز مدافعه فيها وإستطاعت القيادة البريطانية واتبـاعها استمـالة بعض العنـاصر من أتباع دست محمد وقـدمت الرشـاوي الى القزلبـاشي . لم يثن هذا المـوقف دست محمد عن مواصلة استعداداته وتصميمه على مواجهة الأعداء ، بل امتـطى وحمل القـرآن في يده واستنفـر اتباعـه باسم الله والـرسـول ﷺ وطـالبهم بـألا يلحقـوا بـاسمهم وبشرفهم وبـدينهم العار عن طـريق الارتماء في أحضـان شجـاع الملك الذي ملأ البلاد بأعداء الله والوطن ، وكان يحثهم على الوقوف وقفة واحدة لقهر الغزاة الأجانب أو الموت الشريف ونيل الشهادة .

ولم يلب دعوته النبيلة تلك الا القليل[١]وحينما وجد أنه عاجز عن مواجهة القوات المعتدية بتلك الأعداد القليلة قرر الفرار الى هندوكوش فـأصبح الـطريق سهلاً أمام القوات المعتدية للتقدم نحو كابـل .

وصلت أنباء فرار دست محمد الى قوات حكومة شركة الهند الشرقيـة بينما كانت معسكرة في شيخ أباد على بعد ٢١ ميلاً من أرغندة في ٣ أغسـطس[٢]وعلى الفـور تشكلت قوة مـطاردة تعدادهـا ألفين من قـوات الشاه شجـاع الملك بقيادة حاجي خاقور الملقب بنصير الدولة وكان حاكماً سابقاً لباميـان من قبل البـاركزاي وخمسون من فرسان قوات حكومة شركة الهند الشرقية بقيادة الكابتن أوترام .

وضع حاجي خاقور العراقيل أمام تقدم أوترام فقد كان لا يزال يكن نوعاً من الولاء لدست محمد الذي استخدمه في ادارة تلك الجهات[٣].

كتب اوترام تقريراً مفصلاً عن تصـرفـات حاجي خـاقور واتهمـه صراحـة بتمكين دست محمد من الفـرار ولذلـك أصدر شجـاع الملك أمراً بـالقبض عليه وسجنه[٤].

---

(1) Macumenn , G. : Afghanistan From Darius to Amanullah London : G. Bell. 1929.

(2) Malleson. G. : Hist. of Afghanistan. P. 379.

(3) Asiatic J. : N.S. v.32. p.259.

(4) Malleson, G. : Hist. of Afghanistan p.380.

وهكذا فشلت محاولة القبض على دست محمد الذي سيحاول الظهور ثانية لمواجهة شجاع الملك وحلفائه .

التقدم نحو كابل :

في الوقت الذي غادرت فيه قوة المطاردة بقيادة أوترام ذهب الميجور كريتون على رأس مئتين من الفرسان نحو كابل للاستيلاء على مدفعية دست محمد في أرغندة ولاستطاع كابل[1] وفي السادس من أغسطس ظهر شجاع الملك وحلفاؤه أمام أسوار كابل وفي ٧ أغسطس دخل المدينة بدون أي مظهر من مظاهر الترحيب والواقع أن الأهالي الذين خرجوا لاستقبال شجاع الملك كانوا مدفوعين بالرغبة في رؤية الجنود الأجانب لا لرؤية الملك السادوزائي[2] .

وهكذا عاد شجاع الملك الى عاصمة بلاده بعد نفي امتد الى ٣٠ عاماً ولكنه عاد في ظل حراب أعداء بلاده الأمر الذي أثار شعور الأفغان الديني والقومي كما سنرى في الفصل التالي .

أما القسم الثاني من الجيش والذي كان مقرراً له السير عبر الممرات الشرقية وكان يتكون من قوات عديدة من الهندوس السيخ والأفغان[3] وتحرك من لاهور عاصمة السيخ في يناير ١٨٣٩ متجهاً الى بشاور حيث اعترضته بعض المشاكل منها مرض رنجيت سينغ ثم موته وما أعقبه من اضطراب في شؤون ادارة السيخ ، ولم يبدأ سيره عبر أفغانستان الا في الاسبوع الأخير من يوليو[4] وكان يتكون من ٤ آلاف من الأفغان وألف من السيخ وكان الكابتن وادى Wade على رأس ذلك القسم بصحبة الأمير تيمور بن شجاع الملك[5] وقد أعطى توقفه الطويل في بشاور الفرصة للأفغان لاستكمال

---

(1) Havelock, H. : N. of the war in afghanistan in 1838 - 39. v.2.p.206.

(2) Sykes, P.: Hist of Afghanistan v.2 p.12.

(3) Ibid. p.14.

(4) Malleson, G. :Hist. of Afghanistan. p. 381.

(5) Farlane, M.: Hist. of Brit. India. p .543.

اجراءاتهم الدفاعية الا أن انسحاب محمد أكبر خان بقواته الى كـابل بعد سقـوط غزنة أضعف تلك الجبهة فاستطاع كابتن وادى السيطرة على قلعـة علي مسجـد في ٢٧ يوليو رغم المقاومة الشجاعة التي أبداها الأفغان[1] وواصل زحفه الى كابل دون صعوبات تذكر غير تلك التي قام بها سادات خـان الذي كـان يقطن قلعـة لالبـورا . Lalpoorah التي تقع عـلى نهر كابـل وكـانت تلك الأعمـال تنم عن عدائه الشديد للأمير السادوزائي « شجاع الملك » وأخيراً قهرته القوات الـزاحفة وخلعوه عن منصبه ووضعوا مكانـه طوبـازخان[2] وفي ٣ سبتمبـر خرج كـل من بيرنس وكوتـون وبعض الضباط البـريطانيـين مع حـرس شرف لاستقبـال الأمير تيمور وكابتن وادي[3] .

(1) Havelock, H.: N. of the war in Afghanistan in 1838 - 9 v.2 P. 162 - 3.

(2) Farlane, M. :Hist. of Brit. India p.543.

(3) Kaye, J.: F.A. war v.2 p.7.

الفصل السادس

أفغانستان في ظل الاحتلال البريطاني

١ ـ النزاع على السلطة .

٢ ـ توزيع القوات .

٣ ـ استسلام دست محمد .

٤ ـ ثورة كالات .

٥ ـ معاهدة ١٨٤١ .

٦ ـ ثورة السادوزاي .

٧ ـ ثورة الغيلزاي .

٨ ـ الثورة في المقاطعات الشرقية .

٩ ـ موقف حيرات .

كان شجاع الملك يعتقد أثناء عودته لكابل انه سيصبح صاحب السلطان المطلق في المملكة الأفغانية وان الجيش الأجنبي الذي حمله الى عرش أسلافه سرعان ما يغادر البلاد بأمر منه ، ولم يتبادر الى ذهنه أنه مجرد (رمز) تستر من خلفه أطماع حكومة شركة الهند الشرقية ، وبالرغم من أن هذا الاعتقاد كان لدى الكثيرين من أبناء شعبه ، فبعد عودته الى كابل تغلغل الانجليز في ادارة أفغانستان ومارسوا سلطات استبدادية داخل المملكة وأصبح ماكناجتين صاحب النفوذ الفعلي في البلاد وانتشرت قوات الاحتلال في المدن الهامة من الأراضي الأفغانية .

ومن الطبيعي أن يقوم الشعب الأفغاني بالتمرد والتذمر ضد النظام الدخيل فانتشرت الثورات في مختلف أنحاء أفغانستان الا أنها كانت في مجموعها حركات محلية تفقد الرباط القومي الأمر الذي مكن قوات الاحتلال من توجيه عدة ضربات لإخمادها وبالفعل استطاعت القوات البريطانية أن تحتفظ بنوع من الهدوء النسبي في أفغانستان ولكنها لم تستطع استئصال المقاومة الأفغانية .

النزاع على السلطة :

كان الاعتقاد السائد منذ عودة شجاع الملك الى كابل أن ملاشكور سيتولى منصب رئيس الوزراء فقد شارك شجاع الملك في النفي وكان موضع ثقته وإعجابه وأطلق عليه عدد كبير من الأفغان وزير الدولة (رئيس الوزراء) ولكن قوات الاحتلال فرضت في هذا المنصب عثمان خان موضع ثقة الانجليز رغم أنه كان غير محبب لنفس شجاع الملك .

ثار شجاع الملك ضد هذا الاجراء واعتبره تدخلاً في سلطته ، فمن حقه باعتباره ملك البلاد أن يضع في منصب رئيس الوزراء الرجل الذي يختاره لينفذ رغباته هو لا رغبة حلفائه واعتبر ذلك نقضاً لما اتفق عليه في معاهدة يونيو ١٨٣٨[١] وأصبحت السلطة في الداخل في أيدي الانجليز ، فشجاع الملك

(١) انظر الفصل الرابع ص

ورجاله كانوا مجرد ستار في حين كان في كل قسم من أقسام الادارة الحكومية ضباط انجليز للاستشارة والاقتراح الا أن السلطة الحقيقية كانت في أيديهم . وسمح هؤلاء الموظفون الانجليز لأشياء كثيرة لم تمارس في الولايات الخاضعة لنفوذهم في الهند وغالباً ما كانوا يتخذون بعض الاجراءات غير العادلة ونفذوها قسراً وقد وصف جون كي هذا المسلك من جانب البريطانيين بأنه يتصف بالخزي و « العار » .

لا يمكن القول بأنه كان لدى شجاع الملك حكومة مستقلة في حين كانت موارد هذه الحكومة المالية والعسكرية في أيدي الأجانب ، فحكومة شركة الهند الشرقية تزوده بالمال والجند ، وكانت لهذا ترى انه لها الحق في شغل المناصب وفق هواها(١) .

توزيع القوات :

أصدر أوكلاند امراً بانسحاب الجيش البريطاني من أفغانستان ما عدا لواء يتمركز في كابل وقندهار وغزنة وجلال أباد ، على أن تعود بقية القوات بقيادة جون كيني(٢) ، ولكن عدم استقرار الأوضاع الداخلية دفع بالمندوب الى طلب بقاء قوات اخرى(٣) وفي اكتوبر ١٨٣٩ اصدر جون كيني قائد قوات الاحتلال امراً بتوزيع القوات البريطانية في أفغانستان بين كابل وقندهار وجلال أباد(٤) .

رفض شجاع الملك ان تعسكر قوات الاحتلال بالاحصار ـ القصر الملكي

---

(1) Kaye, J.F.A. war. v.2 p.16.

(2) The Brit . Museum. P.S. ADD. 37691.

(3) Malleson, G. : Hist. of Afghanistan. p.385.

(٤) في كابو تتمركز كتيبتان من المشاة الوطنية و٣ مدافع خفيفة بقيادة كوتون في جلال أباد كتيبة المشاة الوطنية ٤٨ سرية الفرسان الثانية والرابعة . غزنة كتيبة المشاة الوطنية ١٦ وسرية من سواري سكيبر Skinner ووحدة مشاة . قندهار : كتيبة المشاة الوطنية ٤٢ ووحدة المدفعية الثانية والرابعة وسرية من سواري سكيبر وبعض من قوات شجاع الملك بقيادة الميجور نوت .
Sykes, p . : Hist. of Afghanistan v.2. p.15.

في كابيل بحجة أن ذلك تمهيداً لإحتلال موقع هام وحصين . وتقرر أخيراً أن تقام ثكنات القوات في السهول المقابلة للعاصمة وكان هذا المكان سيئاً من الناحية العسكرية فالتلال المحيطة به أضعفت تحصيناته الأمر الذي مكن الثوار الأفغان من محاصرته بل وإجبار قوات الاحتلال على الرضوخ لمطالب الأفغان على نحو ما سنشرحه(١).

استسلام دست محمد :

سبق القول بأن دست محمد لم يواجه قوات حكومة شركة الهند الشرقية وشجاع الملك في ميدان المعركة وجهاً لوجه في ٢ أغسطس بسبب تخلي الكثيرين من اتباعه نتيجة الرشوة التي قدمها ماكناجتين لبعض الزعماء الأفغان ، وفر الى هندوكوش ، وفشلت قوة المطاردة بقيادة الكابتن أوترام اللحاق به وواصل سيره الى بخارى حيث استقبله حاكمها بكل ترحاب ، وظل بها حتى لاحت له دلائل مشجعة للعودة الى أفغانستان في ربيع ١٨٤٠ فكثير من الزعماء الأفغان كانوا يشعرون بكراهية لشجاع الملك الذي سلبهم هو وحلفاؤه السلطات والامتيازات التي كانوا يتمتعون بها في عهد الباركزاي ودبر البعض منهم مؤامرة في كابل لاعادة دست محمد الى عرش كابل ولقد وعدهم السيخ بالمساعدة المالية(٢).

دفعت هذه الأحداث بدست محمد الى التقدم الى أفغانستان وفتح والى خولوم ـ شمال أفغانستان ـ زراعيه مرحباً بدست محمد حتى أن يجمع له بعض المؤيدين على الرغم من أنه كان يدرك تماماً أن غالبية أفراد أسرته في أيدي قوات الاحتلال وكان يقول . . . « انني لا أملك اسره ، فقد دفنت زوجاتي وأولادي . . » وأخذ يحث الناس باسم الدين والرسول (ص) على الانضمام الى صفه لطرد الأجانب المفسدين . فتوافد الى صفه قبائل الأزبك التي تسكن بين مدينة بلخ وباميان وأرسل دست محمد الى حاكم بخارى طالبه بالانضمام

---

(1) Malleson, G. :Hist. of Afghanistan. p.387.

(2) Atkinson, J. :The Expedition Into Afghanistan. p.346.

الى صفه باعتباره الملك الحقيقي ضد شجاع الملك (الكافر) الذي تعاون مع الانجليز .

أكد حاكم بخارى تعاونه الصادق لدست محمد . ومع بداية سبتمبر ١٨٤٠ ، تقدم دست نحو باميان في طريقه الى كابل على رأس قوات بلغ تعدادها ٦ آلاف مقاتل[١].

نقلت التقارير العسكرية في ٣ سبتمبر الى ماكناجتين صورة عن الحماسة التي عمت التركستان ضد شجاع الملك وقوات الاحتلال . واستطاعت قبائل الأزبك المحالفة لدست محمد دحر قوات الاحتلال الى قلعة سيغان ولاحقوهم بضربات مؤثرة اضطروا الى الفرار الى باميان[٢]قررت قيادة قوات الاحتلال العسكرية ارسال فصائل عسكرية من قوات شجاع الملك تعززها المدفعية لمواجهة دست محمد في ١٢ من سبتمبر[٣]الا أن هذه الفصائل بقيادة صالح محمد انضمت بكامل عتادها وأسلحتها الى دست محمد ، وكانت القيادة تخشى ان تسلك بقية قوات شجاع الملك نفس السلوك[٤]في وقت بدأ فيه دست محمد الاقتراب من باميان فقررت القيادة العسكرية ارسال تعزيزات بقيادة البربجادير داني في ١٤ سبتمبر لمساندة قوات حكومة شركة الهند الشرقية في باميان .

كان أول ما فعله داني لحظة وصوله باميان هو أنه نزع السلاح من الفصائل لعدم الثقة بين الجانبين ، فقد كان يخشى ان تنضم هذه القوات بأسلحتها الى دست محمد[٥]واعتزم السير الى قلعة سيغان لمواجهة قوات دست محمد المتقدمة . وكان دست محمد قد زحف ليلة ١٨ سبتمبر الى واد يبعد

---

(1) Ibid. p.329 - 30.

(2) Kaye, J. : F.A.war v.2 p.80.

(3) Ibid. p.11.

(٤) رسالة ماكناجتين الى أوكلاند في ١٢ سبتمبر .

The Brit. Museum . PS. ADD. 37691.

(5) Malleson, G.: Hist. of Afghanistan. p:400.

١٦ ميلاً عن باميان وهاجم بعض القرى التي قدمت مساعدتها (مضطرة) الى قوات الاحتلال الأجنبي ، وفي صباح ١٨ سبتمبر تقدمت بعض الفصائل من قوات الاحتلال تعززها المدفعية لمهاجمة مواقع دست محمد على أطراف الوادي وكان يصحبها ماكناجتين لمتابعة الأحداث عن قرب .

تراجعت قوات دست محمد تحت تأثير القصف المدفعي واعتبر ماكناجتين ذلك نصراً لقواته رفع روحه المعنوية وأرسل في ٢١ سبتمبر الى ميجور رولنسون ـ المسؤول السياسي في قندهار ـ « أن دست محمد يملك سلاحاً واحداً . هو الدين ، ولقد استخدمه بالتأكيد في مهارة فائقة وان محاولة ابعاد والى خالوم ـ زعيم الأزبك وأكبر حليف لدست محمد) عن مساعدته قد تتوج بالنجاح . . ».

وتحقق أمل البريطانيين في إخراج زعيم الأزبك من المعركة ، ويبدو أن هزيمة دست محمد قد بينت لزعيم الأزبك عدم فائدة المزيد من المقاومة فداني بدأ التقدم الى سيغان ووجد والي خالوم من الحكمة الدخول في مفاوضات مع قوات الاحتلال الأجنبي فاجتمع في ٢٨ سبتمبر مع اللفتنانت راتلساي Ratlsay ودكتور لورد ووضعت اتفاقية بين الطرفين تعهد الوالي فيها بعدم مساعدة دست محمد أو السماح له باللجوء الى أراضيه . وحددت سيادته على الأراضي التي تقع شمال سيغان أما الأراضي التي تقع في الجنوب من سيغان تخضع لسيطرة شجاع الملك[1].

أما دست محمد فبعد هزيمته في هندوكوش ، فانه ظل مصمماً على المقاومة رغم هذه الضربة التي أصابت قواته ، فحينما هزم في هندوكوش ظهر ثانية في كوهستان حيث أنتشر التذمر في هذا الجزء من البلاد[2]نتيجة الضرائب الجديدة التي فرضت عليهم ، وتقديم الإنجليز المساعدة لشجاع الملك ، وعدم تمتع

---

(1) Kaye, J.: F.A.war v. 1 P. 84 - 5.

(2) Ibid . p.86.

(3) Doodwell : The Camb . Hist. of Brit India v.p.505.

رؤسائهم بالمكانة التي كانوا يتمتعون بها في عهد الباركزاي ، فرحبوا بالأمير الباركزائي وانضموا الى صفه[1].

وجدت قوات الاحتلال في تحرك دست محمد هذا تهديداً لوجودها في أفغانستان ولذلك تقرر في الاسبوع الأخير من سبتمبر ان يتحرك البريجادير سالي لمواجهة دست محمد على رأس قوات كبيرة . اعترض الأفغان في منطقة توتاندورة Tootundurrah قوات الاحتلال المتقدمة وقدم ماكناجتين المساعدة (الجنرال)[2]سالي : وحاول جاهداً جذب الزعماء الأفغان الى تأييد شجاع الملك وأجابوه الى طلبه ولكنهم سرعان ما نقضوا عهدهم له واتصلوا بدست محمد الأمر الذي دفع قوات الاحتلال الى تحطيم دفاعات توتاندورة .

وفي ٣ أكتوبر تقدم الجنرال سالي الى جولغه Joolgah وهو حصن منيع في كوهستان وجدرانه سميكة جداً وعالية ولم يكن من السهل اختراقها أو تسلقها ، ولم تملك القوات المهاجمة غير المدافع الخفيفة والسلالم القصيرة .

حاولت قوة الاقتحام بقيادة الكولونيل ترونسون Tronson التقدم ولكن الأفغان أبدوا مقاومة صلبة وفتكوا بالكثيرين من رجال القوة المعتدية فطلب ماكناجتين قوات نجدة من كابل ، في حين عمد الأفغان الى تقوية تحصيناتهم .

في هذا الوقت لم يتخذ دست محمد لنفسه مركزاً ثابتاً بل كان ينتقل من مكان الى آخر وفقاً لخطة كان قد وضعها أثبتت براعته الحربية وتمكن في ١١ اكتوبر من السيطرة على غوريبند Ghorebund[3]التي تبعد ٤٥ ميلاً عن كابل أدى هذا العمل الى انتشار الذعر بين أعضاء القيادة السياسية في كابل وأخذت في الاعداد مع القيادة العسكرية لتركيز قواتالإحتلال في بالاحصار، وبدأوا يناقشون فعلاً الاجراءات التي من الممكن اتخاذها لمواجهة إعصار دست

---

(1) Kaye. J.: F.A.war v.2 p.87.

(٢) رقي البريجادير سالي الى رتبة جنرال بعد جهوده في افغانستان .

(3) Kaye, J.: F.A. war v.2 p.8.

محمد المرتقب حسب اعتقادهم لمدينة كابل ، ووضعت المدافع على قلعة المدينة وانتشر الحرس في كل مكان وصدرت الأوامر الى كتيبة باميان بالعودة الى العاصمة[١] كلفت القيادة العسكرية الجنرال سالي بالزحف لمواجهة دست محمد وعسكر بقواته بالقرب من كاردوراه Kardurrah وكان يخشى الهجوم على الأفغان الذين سرعان ما انقضوا على قواته ، وقتلوا وجرحوا عدداً من جنوده .

بدأ سالي في ٢١ اكتوبر في الاستعداد للتقدم على كاردوراه في الوقت الذي أخلى فيه دست محمد مواقعه منها[٢] وعسكر في وادي بوروانـدورة Purwandur-rah وفي ٢٧ اكتوبر دارت معركة حامية بين الفريقين انتصر فيها دست محمد على قوات الاحتلال وقتل خلالها عدداً من القادة الانجليز كان من بينهم دكتور لورد[٣] .

بعد هذا الانتصار الذي حققه دست محمد قرر الذهاب الى كابل وتسليم نفسه الى ماكناجتين وهو في أوج قوته ، لعله كان يدرك عدم استطاعته مواصلة الطريق فقد ينفض اتباعه عنه كما حصل في أغسطس ١٨٣٩ وان الانتصار الذي أحرزه انتصار مؤقت ولا يستطيع الصمود للنهاية بسبب اختلاف الزعماء وتعاظم القوة البريطانية . سلم دست محمد سيفه الى ماكناجتين ، ولكن المندوب البريطاني رده اليه ثانية واستقبل دست محمد في المعسكر البريطاني استقبالاً مشرفاً وكتب الى ابنائه عدة رسائل طالبهم بالاستسلام . استجاب لدعونه أبناءه ما عدا محمد أكبر خان الذي رفض الرضوخ وظل متمسكاً بقيادة قوات المقاومة ضد الاحتلال الاجنبي[٤] وفي ٢١ نوفمبر بدأ دست محمد رحلة الأسر الى الهند وانتظر في بشاور حتى وصول أسرته وأعرب ماكناجتين عن اعتقاده بأن حكومة شركة الهند الشرقية سوف تعامله معاملة حسنة مثل تلك التي كان يلقاها شجاع

---

(1) Ibid. p.90.

(2) Ibid. p.91 - 3.

(3) Malleson, G.:Hist. of Afghanistan p.402.

(4) Atkinson, J. : The Expodition Into Afghanistan p.355.

الملك . وأقام دست محمد في كلكتا وخصصت له حكومة شركة الهند الشرقية ٣٠ ألف جنيه استرليني سنوياً[١].

ثورة كالات :

لم ينفذ محراب خان حاكم كالات شروط الاتفاقية التي عقدها معه اكسندربيرنس في مارس ١٨٣٩[٢]وأظهر روح العداء لحكومة شركة الهند الشرقية واتصل بدست محمد لعرقلة سير المعتدين ، الا أن تلك المحاولة لم تنجح ، وبعد سيطرة شجاع الملك والانجليز على كابل وفرار دست محمد الى بخارى لم يتوان محراب خان عن وضع الصعوبات في طريق استقرار شجاع الملك والانجليز في أفغانستان ، فمنع مرور الامدادات والقوافل العسكرية والتموينية عبر أراضيه وأدى هذا السلوك الى سخط القيادة العسكرية البريطانية فأرسلت في ١٣ نوفمبر ويلشير Willshire على رأس فصائل من قوات بومباي[٣]ـ وكان هذا القسم قد بدأ العودة الى الهند بعد سقوط كابل ـ حينما علم محراب خان بزحف القوات البريطانية نحوه عمد الى تحصين مواقعه وغطى المرتفعات الثلاث التي تقع في الشمال الشرقي من كالات بقواته وبمدافعه وأصبح من المستحيل السيطرة على القلعة اذا لم تقتحم القوات المعتدية المرتفعات الثلاث ، وكان ويلشيري يأمل أن تترك قوات كالات المرتفعات وتهبط الى بوابات القلعة حتى يتمكن من الالتحام معها الا أن قوات كالات ظلت متمركزة في مواقعها وأخذت تقذف بنيرانها القوات المعتدية . فكر ويلشيري في اقتحام الحصن تحت غطاء من القصف المدفعي الا أن نيران حاميات البوابات قد عرقلت ذلك الزحف وبعد صعوبة بالغة استطاعت القوات المعتدية أن تحدث في الحصن منفذاً عبرت منه الى داخل القلعة .

خرج محراب خان ومعه وزراؤه للاشتباك مع القوات المتقدمة وحاربوا جميعاً بشرف حتى الموت . وبالرغم من سقوط القائد ، فقد ظلت نيران الأفغان

---

(1) Farlane, M.: Hist. of Brit. India p.545.

(٢) راجع الفصل الخامس ص .

(3) Kaye, J.:F.A. war v.2 p.25.

موجهة على المعتدين وأخيراً استطاع اللفتنانت لافدي Loveday التسلل الى مواقع الأفغان وأقنعهم بالتسليم مقابل منحهم الأمان في حين هرب نصّار خان Nussar K . بن محراب خان وتولى حكم كالات نواز Newas وضمت كالات الى شجاع الملك وجمعت هدية قسراً من أهالي كالات وقدمت الى شجاع الملك[1] .

كانت فرحة حكومة شركة الهند الشرقية بسقوط كالات لا تقل عن فرحتها لسقوط غزنة . لم ينس نصار خان دماء أبيه محراب خان وأخذ يبث روح الثورة والتمرد ضد المحتلين وأصبحت البلاد في مايو ١٨٤١ مهيأة للانفجار[2] وهاجم نصّار خان على رأس عدد من القبائل البلوخستنانية قوافل حكومة شركة الهند الشرقية واستولى على بعض القلاع وحاصر مدينة كويتا ، وأخذ يبث روح الفرقة بين القبائل التي ساندت الحاكم الجديد واستطاع استمالتهم الى جانبه . بهذا العدد الضخم من مؤيديه تقدم نصار خان وحاصر كالات واضطر نواز خان الى التنازل عن الحكم وألقى نصار خان القبض على القائد الانجليزي لافدي الذي كان قد استولى على كالات بعد موت محراب خان[3] .

معاهدة ١٨٤١ :

عقدت هذه المعاهدة بين حكومة شركة الهند الشرقية ونصار خان حاكم كالات وقضت هذه المعاهدة باعتراف حكومة شركة الهند الشرقية بنصار خان حاكماً على كالات في ظل التبعية لشجاع الملك وموافقة نصار خان على احتلال حكومة شركة الهند الشرقية لبعض المواقع في كالات وتقبله (للنصائح الانجليزية) وحماية التجارة عبر أراضي كالات ، وعدم دخول كالات في مفاوضات أو اتصالات سياسية دون موافقة حكومة شركة الهند الشرقية وشجاع

(1) Ibid. p.26 - 7.

(2) Malleson, G. : Hist. of Afghanistan p.396.

(3) Kaye, J.:F.A. war v.2 p.60.

الملك على أن تقدم الشركة المساعدة والدعم الى نصور خان ضد أي اعتداء اجنبي يقع عليه(١).

يتضح من هذا ان بريطانيا بدأت في أتباع سياسة جديدة لتغلغلها في الأراضي التي تقع خلف نهر السند لا تعتمد على الاحتلال العسكري ولكن عن طريق المحالفات والمعاهدات التي عقدتها مع امراء وحكام تلك المقاطعات ، ولعل حيرات وكالات البرهان الواضح على ذلك .

ثورة السادوزاي :

كان شجاع الملك وحلفائه يتصورون ان السادوزاي سينهضون لنصرة شجاع الملك باعتباره احد ابنائهم ولم يتوقعوا قط ان يقوم السادوزاي بالثورة والتذمر ضدهم .

ويرجع سخط السادوزاي الى شعور غالبيتهم باشمئزاز تجاه الطريقة التي عاد بها شجاع الملك الى كابل ، كما انهم لم يستردوا امتيازاتهم باعتبارها الأسرة المالكة والتي سلبهم اياها الباركزاي(٢)بالاضافة الى نظام الغرائب التعسفي الذي فرض عليهم(٣).

بدأ تمر السادوزاي في زيمندار - شمال غربي قندهار - في أواخر ١٨٤٠(٤)واشتبكوا مع قوات الاحتلال التي قدمت لحماية موظفي الضرائب في زيمندار وقضوا عليهم ، أرسلت قيادة قندهار - كان الأمير تيمورين شجاع الملك قد تولى ادارة ر قندهار في حين تولى الميجور نوت القيادة العسكرية والميجور رولنسون القيادة السياسية - فصائل من الفرسان في ٣ يناير ١٨٤١ واستطاع السادوزاي وقف تقدم قوات الاحتلال الا أنهم اجبروا على التراجع

---

(١) انظر نص المعاهدة في الملحق .

(1) Kaye, J. :F.A. war v.2 p.100.

(2) Doodwell.The Camb. Hist. of Brit. Indiay v.5 p.505.

(3) Tytler, F. :Afghanistan p.116.

تحت تأثير نيران مدفعية عدوهم(١) حاول أكتور خان - أحد زعماء السادوزاي - اعادة جمع صفوف السادوزاي فبعث برسله الى بقية زعماء السادوزاي يناشدهم الوقوف معه ، واعتزم السير الى قندهار اذا ما ساندته القبائل اثناء تقدمه .

وجدت قيادة قندهار العسكرية انها أمام خطر يهدد الوجود البريطاني في تلك المنطقة فأرسلت قوة الى زيمندار لضرب اكتور خان وعرقلة زحفه وعهد بالمسؤولية السياسية الى اليوت - مساعد رولنسون - وكانت التعليمات الصادرة لهذه القوات تقضي بعدم الالتحاق مع السادوزاي في معركة وأن هدفها فقط هو اخضاع أكتور خان وليس تحطيمه . تمكن اليوت من الاجتماع بأكتور خان وحاول اليوت ازالة سخط السادوزاي عن طريق عزل موظفي الضرائب . تظاهر أكتور خان بالرضوخ الى اليوت ووعده بتفريق اتباعه وإعادة الهدوء والسكينة لزمندار(٢) .

لم يكن اكتور خان صادقاً في وعده بل انتهزها فرصة لتعزيز موقفه وإعادة العمل ضد قوات الاحتلال ووضع ماكناجتين مكافأة لمن يلقي القبض على اكتور خان قدرها ١٠ آلاف روبية .

كان من الصعب حتى هذا الوقت اقناع المندوب البريطاني بعدم استقرار الأوضاع الداخلية في افغانستان رغم حركات التذمر التي انتشرت في أكثر المقاطعات الأفغانية(٣) فكان اكتور خان حتى نهاية يونيو ١٨٤١ لا يزال يقوم بأعمال عسكرية على رأس مقاتليه أمام جيريسك - بالقرب من قندهار - فأرسلت قيادة الاحتلال في قندهار ودبيرن Woodburn على رأس قوة كبيرة من المشاة والفرسان ومدفعية الفرسان .

تمركز السادوزاي في أوائل يوليو على جانب نهر الهلمند وبلغ تعداد قوتهم

---

(1) Kaye, J.: F.A.War v.2 p.104 - 5.

(2) Ibid P. 117.

(٣) رسالة ماكناجتين الى رولنسون في ٣١ مايو ١٨٤١ انظر المرجع السابق ص ١٢٢ .

ستة آلاف رجل مقسمة الى ستة أقسام على رأس كل واحد منها أحد علماء الدين يناشد القوات باسم الله وباسم الذين الوقوف ضد الأعداء أو الاستشهاد في سبيل الدفاع عن الوطن . وحاول ودبيرن اختراق صفوف السادوزاي ولكنه فشل في ذلك واشتبك الأفغان معه في قتال عنيف واتبعوا خطة عسكرية بارعة تمكنوا بواسطتها من خديعة القوات البريطانية التي اضطرت الى التقهقر الى جيرسك . أرسل ودبيرن في طلب تعزيزات جديدة لمواجهة السادوزاي[1].

أدت هذه الأحداث الى ضيق قيادة الاحتلال في قندهار الا أن ماكناجتين طمأنها بقوله (ان الأخطار التي نواجهها من قبل السادوزاي لا تقاس بالصعوبات التي واجهتها فرنسا في الجزائر أو روسيا بالقوقاز)[2]أرسلت قيادة قندهار عدة مرات قواتها لمواجهة اكتور خان الا أنه ظل رافعاً سلاحه ضدها وساعده في ذلك أحد زعماء السادوزاي الآخرين ويدعى أكرم خان[3]. وأخيراً تمكنت قوات الاحتلال في ١٧ أغسطس ١٨٤١ من طرد السادوزاي من مواقعهم وهرب اكتور خان .

وبالرغم من ذلك لم تستطع قوات الاحتلال القضاء على حركة السادوزاي فحاولت عن طريق إرسال مندوب من قبل شجاع الملك لاستمالة زعماء السادوزاي وخصوصاً أكرم خان الا أن أكرم خان رفض مقابلة مندوب شجاع الملك وواصل سياسته في بث روح السخط والتمرد ضد شجاع الملك والانجليز[4]. وضعت قيادة قندهار خطة لإرسال قوات ضخمة من المشاة والفرسان والمدفعية والمهندسين لإخماد ثورة السادوزاي ، وبالفعل تقدم الكولونيل ويمير Wymer في الأسبوع الأول من سبتمبر ولحق نوت بالجيش في ٢٣ سبتمبر وتمكن من القبض على عدد من الزعماء السادوزاي وكان من بينهم أكرم خان[2].

---

(1) Ibid. p.124.

(٢) رسالة ماكناجتين الى رولنسون في ١٣ اغسطس ١٨٤١ انظر المرجع السابق ص ١٢٥ .

(٣) رسالة ماكناجتين الى رولنسون في ٢١ اغسطس ١٨٤١ انظر المرجع السابق ص ١٣١ .

(4) Ibid. p.133.

ثورة الغيلزاي :

لم يكن السادوزاي وحدهم مصدر التذمر والثورة في أفغانستان الغربية بل ثار أيضاً الغلزاي ضد شجاع الملك وحلفائه بسبب حرمانهم من السلطات التي منحهم إياها البارکزاي[١]. أرسلت قيادة الاحتلال في قندهار الكابتن اوترام واستطاع أن ينتصر عليهم في عدة جولات ، الا أنهم اعادوا الكرة مرة أخرى في ابريل ١٨٤٠ ، وقطعوا الاتصال بين كابل وقندهار . أرسل الجنرال نوت قوة عسكرية بقيادة والكر Walker ، تايلر Tayler ولم يتمكنا من القضاء على ثورة الغيلزاي فأرسل الجنرال نوت تعزيزات بقيادة الكابتن وليم اندرسون William Anderson واتصلت بالقوات الأولى في ٧ مايو بجوار نهر ترنك Turnuk وكان الغيلزاي على بعد ٨ أميال منهم . حاول اندرسون مفاوضتهم وكان ردهم له انهم يملكون قوة تقارب من ١٢ ألف رجل مؤمنين بالله إيماناً شديداً وبعدالة قضيتهم ، ولذلك فانهم سيحاربونه حتى الموت . وفي ١٦ مايو ١٨٤٠ زحف اندرسون على رأس قواته وتمكن من دحر الغيلزاي الذين فروا الى القلاع الجبلية . أثار ذلك غضب الغيلزاي وبدأوا يعدون الترتيبات للانتقام من قوات الاحتلال[٢]وحاول ماكناجتين امتصاص حقد الغيلزاي عن طريق تقديم ثلاث آلاف جنيه استرليني لهم على ان يتعهد زعماء الغيلزاي مقابل ذلك بمنع اتباعهم من الاغارة على الطرق العامة[٣].

ثار الغيلزاي مرة أخرى في ربيع ١٨٤١ حينما بدأت قوات الاحتلال اعادة بناء قلعة كالات غيلزاي التي تقع بين كابل وقندهار . واعتبر الغيلزاي هذا العمل تهديداً لهم[٤]، بل ان الكابتن لينش Lynch تمادى في استفزاز الغيلزاي فخرج لاحتلال قلعة صغيرة كان يحتلها الغيلزاي

---

(1) Allen , J.N.: Diary of a march through scinde and Afghanistan. London 1843 p. 113.

(2) Malleson, G.: Hist. of Afghanistan p. 396.

(3) Kaye, J.: F.a. war v.2 p.58.

(4) Sykes, p.: Hist. of Afghanistan v.2 p.19.

(5) Kaye. J.: F.A. war v.2 p.118.

وتبعد عن كالات غيلزاي بميلين : طالب الكابتن لينش قائد الحامية الأفغانية بفتح ابواب القلعة الى رجاله ، ولكن القائد الأفغاني رفض هذا الطلب ، واستطاع الكابتن لينش السيطرة على القلعة بعد مقاومة شجاعة بذلها الأفغان(١). استاء أوكلاند من سلوك لينش واعتبره استعراضاً وهمياً لا حاجة له بل ساعد على تأجج سخط الغيلزاي(٢). حاصر الغيلزاي القوات الأجنبية في مقاطعة كالات غيلزاي وطلب قائدها تعزيزات من قندهار . أرسل الجنرال نوت الكابتن ويمر. وكان الأفغان شغوفين للاشتباك معه وبالفعل تقدم زعيم الغيلزاي جول محمد الملقب (جورو) نحو ويمر والتحم معه في معركة حامية في ١٦ مايو واضطر القائد البريطاني الى الوقوف في موقف الدفاع بالرغم من أسلحة الأفغان الخفيفة بالنسبة لأسلحته(٣)واستطاعت قوات شركة الهند الشرقية القضاء على حركة الغيلزاي في أغسطس ١٨٤١(٤).

الثورة في المقاطعات الشرقية :

أما من جهة الشرق فقد كانت مقاطعاته مملوءة بالقبائل المعادية فزعماء خيبر لا يسمحون لأحد بالمرور في ممراتهم دون دفع الأموال سنوياً لهم . وكان هذا متبعاً في عهد الباركزاي ، وأثناء عودة شجاع الملك لم تعد لهم تلك الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها من قبل وأرسل لهم كمية قليلة من المال واعتبروا تصرف شجاع الملك نقضاً للعهد الذي كان قد قطعه على نفسه وقت لجوئه لهم أثناء فترة الحرب الأهلية فثاروا ضده وضد قوات الاحتلال التي كان كابتن وادي قد وضعها بين بشاور وجلال أباد اثناء تقدمه عبر الممرات الشرقية مع الأمير تيمور بن شجاع الملك في يوليو ١٨٣٩ وحاصروا قلعة علي مسجد وفشل كيني في إخماد ثورتهم بل أنهم كبدوه خسائر فادحة الأمر الذي جعل ماكناجتين الى تقديم الأموال التي طلبوها نظير هدوئهم(٥).

---

(1) Ferrier, Philip. :Afghanistan. p.335.

(2) The Brit.Museume. PS. 2096. 37693.

(3) Kaye, J. :F.A. war v.2.p.120 - 21.

(4) Ibid. p.128.

(5) Ibid. p.130

موقف حيرات :

سبق القول بأن الميجور تود تمكن من عقد معاهدة مع كمران شاه كما وافقت القيادة العسكرية البريطانية على المقترحات التي حملها نجيب الدولة ـ احد وزراء حيرات ـ لها في قندهار[١] وتعهدت حيرات من جانبها بالمحافظة على الهدوء والسكينة والعلاقات الطيبة مع شجاع الملك وعدم الاتصال مع القوى الأجنبية دون موافقة بريطانيا وشجاع الملك ، ولكن حيرات لم تكن مخلصة في العهود التي قطعتها على نفسها ، فقد عدّد يار محمد خان رئيس وزراء حيرات الصعوبات التي كانت تواجه القوات البريطانية في أفغانستان وان الشعب الأفغاني قادر على سحق تلك القوات رغم كثافتها وأسلحتها وذلك من منطلق إيمانه بالله سبحانه وتعالى وحقه في الحياة حراً بعيداً عن التبعية التي جاء بها شجاع الملك ، فبدأ في إثارة الشعب الأفغاني حينما أرسل نصير الدولة الى زعماء السادوزاي يحرضهم على الثورة والتمرد ، كما أرسل مندوباً سرياً الى الشاه الايراني في مشهد يطلب مساعدته لطرد قوات حكومة شركة الهند الشرقية من كابل ووعد بطرد البعثة الانجليزية خارج حيرات . حينما علم الميجور تود ـ المقيم الانجليزي في حيرات ـ هدد يار محمد خان بقطع المعونة المالية عن حيرات ، فطلب يار محمد خان من الميجور الانجليزي اما دفع مبلغ كبير من المال أو مغادرة حيرات فوراً . وبالفعل غادرت البعثة البريطانية حيرات وطالب تود القيادة في كابل بالقيام بهجوم عسكري على حيرات . ثار أوكلاند ضد سلوك الميجور تود وعزله من منصبه السياسي[٢] وكان رأي أوكلاند ان تمكن حكومة شركة الهند الشرقية وجودها في أفغانستان أولاً قبيل الشروع في غزو حيرات ولكن ماكناجتين كان يرى أنه لا يمكن تحقيق الهدف الأول قبل تنفيذ الهدف الثاني وضم حيرات الى شجاع الملك[٣] ولم تحاول حكومة الشركة غزو حيرات فالعاصفة القومية التي اشتعلت في جميع أفغانستان في نوفمبر ١٨٤١ زعزعت أركان الاحتلال البريطاني في أفغانستان ، وهذا ما سنوضحه في الفصل التالي .

---

(1) راجع الفصل الخامس ص .

(2) Ibid. p.115.

(3) Ibid. p.107 - 110.

الفصل السابع

ثورة شعب أفغانستان

١ ـ المشكلة المالية .
٢ ـ ثورة كابل في أول نوفمبر ١٨٤١ .
٣ ـ موقف القيادة العسكرية .
٤ ـ الثورة في كوهستان .
٥ ـ موقف شجاع الملك .
٦ ـ المفاوضات .
٧ ـ الضغط الأفغاني .
٨ ـ مقتل ماكناجتين .
٩ ـ الاتفاقية النهائية ـ ديسمبر ١٨٤١

ثورة شعب أفغانستان :

سبق القول بأن القوات البريطانية تمكنت من القضاء على الثورات التي اشتعلت في مختلف مقاطعات أفغانستان بسبب اختلاف توقيت ومكان تلك الثورات والتفتت والانقسام القومي بالإضافة الى الأسلحة التقليدية التي كان يتسلح بها الأفغان والتي تعجز عن مواجهة الأسلحة الأوروبية الحديثة في ذلك الوقت . الا أن القوات البريطانية مع ذلك لم تتمكن من استئصال روح الثورة الكامنة في صدور الأفغان والتي ستنفجر قوية في وجهها الأمر الذي دفع بالقيادة البريطانية الى عدم التفكير في الاستقرار في الأفغانستان وسحب قواتها منها .

حقيقة ان أفغانستان تمتعت بفترة من الهدوء النسبي بعد إخماد ثورات الأفغانيين المحلية ، وطاب المقام للعديد من الضباط والجنود البريطانيين فأرسلوا في طلب زوجاتهم وأسرهم وبنوا لأنفسهم المنازل على الطراز الانجليزي في العاصمة وأصدر الحاكم العام بالهند قراراً بتعيين ماكناجتين حاكماً لبومباي على أن يشغل منصبه الكسندر بيرنس كمندوب ووزير لحكومة الشركة في كابل كذلك عين الفنستون قائداً عاماً للجيش البريطاني في أفغانستان مكان ولبي كوتون(١) .

المشكلة المالية :

كانت حكومة شركة الهند الشرقية تدفع جميع النفقات لقوات الاحتلال البريطاني في أفغانستان وان استمرار الاحتلال يعني مواصلة قوات الاحتلال في أفغانستان استنزاف مالية الهند ، ونادى بعض اعضاء مجلس ادارة شركة الهند الشرقية بانسحاب جيش الاحتلال من أفغانستان(٢) في حين أرسلت اللجنة السرية الى حكومة الهند تطالبها بتقديم المساعدات لشجاع الملك الذي كان على حد قولها (أنه لا يملك أي تأثير على مشاعر السكان) ورفضت اللجنة السرية

---

(1) Sykes, p. :Hist. of Afghanistan v.2 p.27.

(2) Malleson, G. :Hist. of Afghanistan p.399.

انسحاب الجيش البريطاني من أفغانستان أو الاكتفاء ببقاء قوات رمزية فيها واعتبرت مثل ذلك القرار طائشاً وغير حكيم بحجة ان وجود قوات نظامية في أفغانستان لا يكلف حكومة الهند ذلك القدر الذي ستنفقه في حالة فساد الحكم أو الثورات المتكررة في البلاد التي لم تسيطر عليها سيطرة كاملة ، وطالبت الحكومة اما بالانسحاب السريع من أفغانستان أو بقاء قوات تكفي لحفظ السيادة البريطانية فيها ولم تغير اللجنة ما قدمته من اقتراحات رغم استسلام دست محمد بل انها اعتبرت ذلك الحادث مساعداً لتحقيق ما تهدف اليه . حينما وصلت تلك المقترحات الى الحاكم العام للهند في ربيع ١٨٤١ طرح المشكلة بأكملها أمام مجلس ادارة شركة الهند الشرقية في نهاية مارس ١٨٤١[١] قرر أوكلاند في ذلك الاجتماع استمرار احتلال أفغانستان وأيده في ذلك عدد من الأعضاء بالرغم من أنه أصبح واضحاً امامهم ان ذلك :الاحتلال يكلف حكومة شركة الهند الشرقية مليون وربع جنيه استرليني سنوياً[٢].

ازاء هذا القرار كان لا بد من تعويض ذلك العجز المالي الذي أصاب مالية الهند ، ولم يكن أمام الحاكم العام للهند غير طلب قرض بفائدة ٥ ٪ كما أنه قرر وقف المساعدات المالية لشجاع الملك .

أدت هذه السياسة المالية الجديدة الى آثار سيئة في أفغانستان فشجاع الملك بدوره قطع المبالغ التي كان يدفعها الى زعماء القبائل وهي ٤٠ ألف جنيه استرليني[٣] قدم زعماء القبائل احتجاجاتهم ضد هذا القرار ، الا أنهم لم يتلقوا رداً إيجابياً لمطالبهم فعقدوا عدة اجتماعات سرية قرروا خلالها العمل ضد الأوضاع القائمة وقام زعماء الغيلزاي قبل غيرهم من الزعماء الأفغان بالثورة فغادروا العاصمة وقطعوا اتصالاتها بالمقاطعات الشرقية[٤]. طلب شجاع الملك

(1) Kaye, J.: F.A. war v.2 p.146 - 7.

(2) Malleson , G.: Hist. of Afghanistan. p.406.

(3) Sale, Lady : A Journal of the disasterous Retreat from Cabul 1841 - 2. London 1842 p. 9.

(4) Kaye, J.: F.A. war v.2 p.153.

من حمزة خان زعيم الغيلزاي الى تحالف قبيلته معه الا أن حمزة خان كان نفسه أحد المحرضين على التمرد[1]. انتشرت حوادث الشغب والتذمر في العاصمة والمناطق المجاورة لها فأرسل المندوب البريطاني الى ماك كريجور يطالبه بالعودة الى كابل ، وبعث الفنستون القائد العام للجيش البريطاني بفصائل من قواته في ٩ اكتوبر ١٨٤١ لتنظيف ممر خرد كابل من الغيلزاي الذين قطعوا الاتصال بين العاصمة وجلال أباد في الطريق للهند الا أن الغيلزاي هاجموا تلك الفصائل في بوتخاج في اليوم التالي وألحقوا بهم هزائم (كبيرة) الأمر الذي دفع بقائد القوة الى طلب تعزيزات من كابل[2]وفي ١١ اكتوبر تقدم سالي لنجدة الفصائل البريطانية وسار نحو ممر خرد كابل وكان الأفغان يحتلون مرتفعات الممر وقد اكسبهم هذا ميزة استراتيجية مكنتهم على الرغم من قلة عددهم من احداث الخسائر في صفوف البريطانيين بل ان سالي جرح في اشتباكه معهم . ازاء ذلك قررت القيادة العسكرية في كابل استخدام المدفعية لمواجهة الغيلزاي . وبالفعل استطاعت في هذه المحاولة الثالثة ان تستولي على ممر خرد كابل بفضل سلاح المدفعية الذي يفتقده الأفغان[3]. امتدت نيران الثورة الى كوهستان فقام مير مسجدي بأعمال هجومية ضد القوات البريطانية في تلك المقاطعات[4]. وفي هذه الأثناء أعاد الغيلزاي هجومهم على القوات البريطانية المتمركزة في خرد كابل واستطاعت اختراق صفوفها وأحدثت فيها خسائر جسيمة في الأرواح والعتاد ، حاول سالي التحرك لنجدتهم الا انه كانت تنقصه العربات التي تنقله مع قواته الى ميدان المعركة[5]. ولقد حاولت القيادة مفاوضة الثوار فذهبت بوتنجر الى كوهستان بهدف تهدئتهم كما حاول ماك جريجور في ٢٤ اكتوبر مصالحة الغيلزاي ووعدهم بتقديم ألف جنيه استرليني وإعادة الأموال الممنوحة لهم ، ولكن

---

(1) Ibid. p.154.

(2) Norris, J.: The F.A. war p.362.

(3) Sale, Lady.: J. of the dist. R. From Cabul p.12.

(4) Kaye, J.: F.A. war V.2 P. 157.

(5) Ibid. p.159.

الغيلزاي لم يثقوا في العهود البريطانية ، فلم يكد ماك جريجور يعود الى المعسكر البريطاني في تزين حتى أغار الأفغان عليه وأحدثوا فيه الفوضى والاضطراب وكبدوا البريطانيين ما يقارب من مئة قتيل وجريح ، ولقد بذل الضباط البريطانيون مجهودات ضخمة لاعادة الثقة والنظام بين صفوف جنودهم[1] في حين تقدم سالي نحو جنداماك حيث وصلها في ٣٠ اكتوبر[٢].

ثورة كابل اول نوفمبر ١٨٤١ :

امتدت الثورة الى العاصمة كابل وكانت هذه المرة قوية في وجه شجاع الملك والقوات البريطانية فقد اجتمع عدد من الزعماء الأفغان في أول نوفمبر وكان على رأسهم عبد الله خان زعيم قبائل أشاقزاي احدى العصبيات القبلية الكبرى في افغانستان ـ في منزل سادات خان ، وكان من بينهم زعماء طوائف التجار والحرفيين التي انضمت الى صفوف الثورة[٣]. عرض عبد الله خان اثناء الاجتماع الأمر الذي اصدره شجاع الملك بقتل جميع غير المخلصين له من الزعماء الأفغان ، كما أخبرهم بأن الكسندر بيرنس سوف يقبض على عدد منهم ويرسلهم الى لندن ، فقرروا جميعاً بناء على ذلك الثورة ضد شجاع الملك وحلفائه (الفرنجيس) الأجانب وفي الصباح الباكر من ٢ نوفمبر بدأت جماهير الشعب في التجمع وسط المدينة وكان تعدادها يتزايد مع ساعات النهار ، وارتفعت أصوات النيران والضجيج في المدينة[٤] واسرع جون كونوللي ـ أحد أقارب المندوب البريطاني ـ الذي كان يعد ترتيبات عودة ماكناجتين الى الهند لتولي منصبه الجديد كحاكم لبومباي ـ ليخطر القيادة بالحادث .

وفي نفس الوقت أرسل الكسندر بيرنس مذكرة الى المندوب البريطاني أكد

---

(1) Sykes, P.: Hist. of Afghanistan v.2 p.25.

(2) Norris, J.: The F.A. war p.364.

(٣) ضم الاجتماع الى جانب عبد الله خان سادات خان ، حاجي علي هاشم زعيم التجار وقاقا حسين ، وعبد الرحيم خان ومحمد حسين خان وهم من زعماء القبائل والحرفيين . انظر .

Kohzad , Ahmed. : In the Nighlight of Modern Afghanistan. p.56.

(4) Ibid. p.59.

فيها قيام تمرد خطير في المدينة خصوصاً في المناطق المجاورة لسكنه وطالب بارسال تعزيزات عسكرية لحمايته . أسرع ماكناجتين الى القائد العام لمناقشة المشكلة معه[١]وفي هذه الأثناء زحفت جماهير الثوار نحو منزل بيرنس وحاصرته ، كما حاصرت أيضاً منزل كابتن جونسون ـ رئيس مالية شجاع الملك والذي كان محتماً في تلك الليلة في الثكنات البريطانية ـ ولم يستمع بيرنس لنصائح عدد من الأفغان حلفاء الانجليز الذين نقلوا اليه ما دار بين الزعماء الأفغان في اليوم السابق ، وكان من الممكن ان يهرب قبل ان يصله الثوار الا انه اعتقد بضرورة انه يستطيع إخماد ثورة الشعب الأفغاني وبث روح الفرقة في صفوف ابنائه عن طريق الرشوة والمال ، ولم يدرك أنه بسلوكه هذا قد دفع نفسه الى الدمار .

حاول الكسندر بيرنس تهدئة الثوار الأفغان فأرسل اثنين من اتباعه الى عبد الله خان زعيم الثوار وحملا اليه رغبة بيرنس في النظر في تظلماتهم ، الا أن الزعماء لم يلتفتوا الى ذلك بل قتلوا احد الرسولين[٢] . وحينما لم تصله الامدادات التي طلبها من المندوب البريطاني ، صعد بيرنس الجزء الأعلى من منزله وخطب في الجماهير الثائرة وكان هدفه من ذلك امتصاص سخط الثوار بالكلمات المعسولة الا أن أصوات الثوار تعالت تطالب بالانتقام منه ومن القوات البريطانية فأمر بيرنس بإطلاق النار على الأفغان وبادله الثوار النار بالمثل[٣]بل اندفعوا على

---

(١) قال ماكناجتين (في صباح ٢ نوفمبر علمت ان كابل في حالة تمرد، وبعد ذلك بوقت قصير تلقيت مذكرة من الليفتنانت كولونيل بيرنس يخبرني فيها بأن منزله قد حوصر ويلتمس المساعدة ، ولقد ذهبت مسرعاً الى الجنرال الفنستون).
أما الجنرال الفنستون فيقول (في الساعة السابعة والنصف من صباح ٢ نوفمبر أخبرني الكولونيل أوليفر بأن البلاد في حالة عصيان ، وبعد ذلك حضر المندوب وأخبرني الكولونيل أوليفر بأن البلاد في حالة عصيان ، وبعد ذلك حضر المندوب وأخبرني ان كابل في حالة عصيان ولكنه لم يفكر فها كثيراً لأنه يعتقد أنها سوف تقهر بعد ذلك بوقت قصير) . من أوراق ماكناجتين والفنستون انظر :

Kaye, J.: F.A. war v.2 p.169.

(2) Ibid. p.160.

(3) Hamed , Kohzad : Men and Events p.121.

بيت جونسون وغنموا الخزانة الملكية التي كـان بداخلهـا ١٧ ألف جنيه استـرليني بعـد ان قتلوا حرس المنـزل(١). اقتحم عدد آخـر من الثوار حـديقة بيت بيـرنس الذي حاول استمالتهم عن طريق الأموال والرشوة ، إلا أنهم أصروا على المطالبة بنزوله فـأطلق اتباعـه النار عـلى الثوار . حـاول أحد أهـالي كشمير التـوسط بين الثوار والسلطات البريطانية وتكفل بتوصيل بيرنس أمناً الى قلعة القزلباشي اذا ما أوقف النار وهذا يوضح ان القزلباشي لم ينضموا الى هذه الثورة الوطنية بل كانوا عنصراً مستقلاً لهم مصالحهم الخاصة .

رضخ بيرنس الى مطالب المواطن الكشميري الذي قام بالوساطـة ولكنه لم يكد يخطو عدة خطوات حتى هجم عليه الثوار فقتلوه وأشعلوا النار في منزله(١) .

وصلت أخبار ثورة المدينة الى شجاع الملك وكل ما فعله لمواجهة الثورة أنه أرسل كتيبة من الهندوسانيين بصحبة الأمـير فتح جنـح ـ حاكم كـابل ـ والـوزير عثمـان خان ولكن الثـوار تعرضـوا لهم وقتلوا ما يقـارب من ٢٠٠ منهم وتقهقـر الباقون تحت حماية القوة البريطانية التي قدمت من الثكنات(٢) .

موقف القيادة العسكرية :

كـانت خطا مـاكناجتـين ان يزحف البـريجادير شيلتـون(٣)الى بـالاحصـار

---

(1) Sale, lady: AJ. of the disast. R from Cabul p.35.

(2) Ahmed , k. :Men and Events p.122.

(3) Sykes, p. :Hist. of Afghanistan v.2 p.28.

(٣) ذكر شيلتون احد القادة البريطانيين قال « في صباح ٢ نوفمبر حوالي الساعة السابعة مررت تحت اسوار العاصمة واخبرني قاطعو اعشاب الخيل الذين تعودوا الذهاب عبر المدينة لجمع الحشائش أن بوابة المدينة قد أغلقت وأنهم لم يستطيعوا الدخول وكان الجميع في هذا الوقت هادئاً وركبت عائداً الى البيت وظننت أن بعض أعمال السرقة قد ارتكبت وان البوابة أغلقت لمنع هروب اللصوص ، ما بين الساعة التاسعة والعاشرة تسلمت مذكرة من الجنرال الفنستون يخبرني فيها أن هناك تمرداً في المدينة ويريدان اعد العدة للسير الى بالاحصار مع ٣ فصائل من كتيبة المشاة الوطنية ٥٤ ، ٦ فصائل من مشاة الشاه ، ٤ مدافع على أن أبقى في المعسكر بقية لوائي ثم تسلمت مذكية طلب مني الا أذهب حسبما يهدف اليه الشاه ، ولقد أجبت على هذه المذكرة انه إذا ما كان هناك تمرد في المدينة فان الأمر لا يتطلب التردد =

للتعاون مع قواتها على أن تبقى باقي القوات في الثكنات للدفاع عنها . وأن ترسل قوات لانقاذ الكسندر بيرنس اذا أمكن . وحينما وصل شيلتون الى بالاحصار كانت المدينة قد وصلت الى درجة أصبح من المستحيل معها التقدم الى نجدة بيرنس[١] كما أن الأفغان في المقاطعات المجاورة اندفعوا الى كابل وساعدوا في تصعيد عملية المد الثوري[٢] وامتلأت المنطقة التي تقع بين الثكنات البريطانية وأسوار العاصمة بالثوار الأفغان وفشل الميجور سويني في مواجهة الثوار الأفغان[٣] وزاد من معنوية الثوار سحب ماكناجتين لأسرته من العاصمة[٤] .

وجدت القيادة نفسها أمام تيار وطني جارف تعجز عن مواجهته فأرسل المندوب البريطاني الى ماك كريجور يحثه على ارسال سالي لنجدته ، كذلك طالب بوقف القوات البريطانية التي كانت على وشك مغادرة قندهار عائدة الى الهند ، على أن ترسل فوراً لنجدته . وبالرغم من طلبات النجدة هذه لم يأت احد لنصرة قوات كابل وبدأ الأفغان يتقدمون نحو الثكنات البريطانية وحاصروا مخزن تموين البريطانيين الذي كان يقع في قلعة صغيرة تبعد ٤٠٠ ياردة في الجنوب الغربي للثكنات وكان عليها ٨٠ حارساً .

أرسل قائد حامية التموين اللفتنانت وارين في ٤ نوفمبر الى الجنرال الفنستون يطلب منه تغزيرات[٥] الا أن الأفغان الذين تمركزوا في قلعة محمد

= وطلبت منه ان يقرر ما الذي سيفعله فوراً ، وأجاب ، التقدم فوراً الى بالاحصار وهناك سألقى مزيداً من التعليمات من السكرتير الحربي الذي سأجده في بالاحصار . وحينما تحركت جاءت لي مذكرة فيها أمر بالتوقف وانتظار مزيد من الأوامر . فطلبت من أحد الضباط المهندسين أن يرى السبب ولكنه قتل على أيدي الثوار وبعد ذلك جاء المندوب نفسه ومعه أمر بالتقدم » أنظر :

Kaye, J.: F.A. war v.2 p.182 - 3.

(1) Ibid. p.181.

(2) Farlane, M. : Hist. of Brit. India p.548.

(3) Kaye, J. :F.A. war v.2 p.188.

(4) Sale, Lady : A J. of the Disast. R.From Cabul p.58.

(5) Kaye, J.: F.A. war v.2 p.190.

شريف[١] قطعوا عليها طريق الاتصال وبالتالي فشلت جميع المحاولات التي بذلتها القيادة العسكرية لمساعدة اللفتنانت وارين[٢] وتمكن الأفغان من السيطرة على مخزن التموين في ٥ نوفمبر .

أدى هذا الحادث الى انخفاض الروح المعنوية للقوات البريطانية ، وحاولت القيادة العسكرية القيام بعمل حاسم فقررت ارسال قوة للسيطرة على قلعة محمد شيف وتفجيرها الا أن الأفغان قهروا تلك المحاولة بعد أن كبدوا القوات البريطانية خسائر جسيمة[٣] لجأ الانجليز بعد ان عجزوا عن استخدام القوة في القضاء على الثورة الى بث الفرقة في صفوف الأفغانيين فحاولوا استمالة القزلباشي لضرب الثوار الأفغان ووعدوا زعيم القزلباشي بعشرة آلاف جنيه استرليني نظير قتل او القبض على زعماء الثورة الا أن محاولتهم هذه لم تنجح ، فقد انضم القزلباشي مع العناصر الأفغانية الأخرى معاً ضد اعداء الوطن والدين فلجأت القيادة الى محاولة تعميق العداء المذهبي بين السنة والشيعة اذا ما إستولى السنة وهم الغالبية على السلطة العليا في العاصمة فانهم سيقومون بالانتقام من الشيعة[٤] ولكن هذه المحاولة باءت هي الأخرى بالفشل .

بدأ الجنرال الفنستون يردد فكرة مفاوضة الثوار والتسليم بمطالبهم الا أن مندوب حكومة الهند لم يوافق على ذلك لأنه لا يزال حتى هذا الوقت يعتقد أنه يستطيع بواسطة المال شراء حماسة الثوار[٥] ولو فكر المندوب البريطاني جدياً في هذا الوقت المبكر في مفاوضة الثوار لكان من الممكن أن يحصل على شروط مشرفة ولتجنب الكارثة التي ستنزل بالقوات البريطانية في كابل والمقاطعات الشرقية ولأنقذ نفسه من الموت ، ويبدو أنه لم يتخذ من حادث الكسندر بيرنس

---

(١) وهي قلعة تقع في ضواحي كابول تقع بين مخزن التموين والثكنات البريطانية .

(2) Sale, Lady : AJ. of the Disast.R. From Cabul. p.51.

(3) Kaye, J. :The F.A. war V.2 p.197.

(4) Ibid. p.201 - 2.

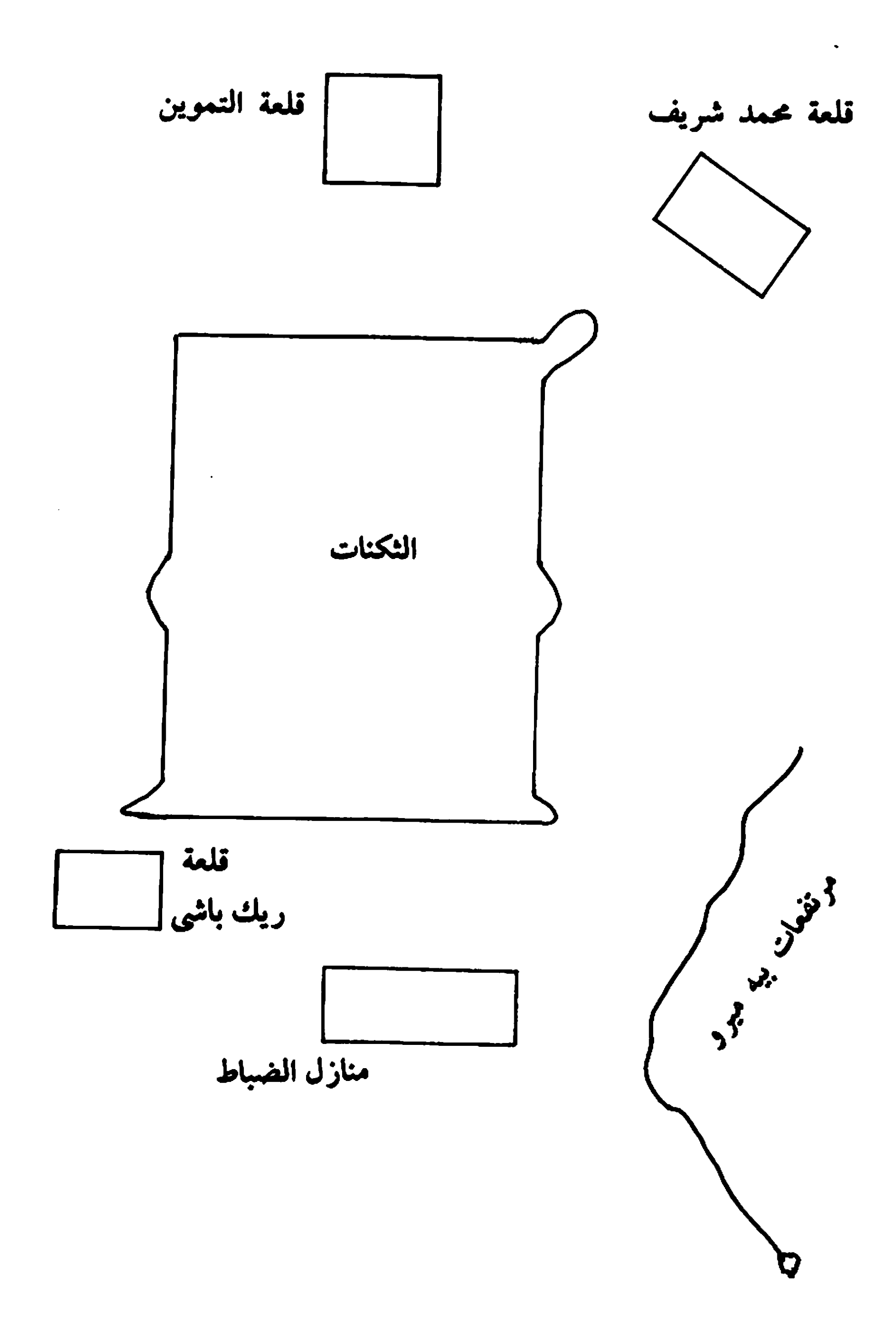
(5) Ibid. p. 207.

عظة له فسار في نفس الطريق حتى لاقى نفس النتيجة .

أقنع ماكناجتين الجنرال الفنستون في طلب شيلتون منه بالاحصار في ٩ نوفمبر[١] كما أرسل الى ماك كريجور يحثه مرة أخرى على دفع سالي لنجدته من جندا ماك فكتب اليه في ٩ نوفمبر « لقد أرسلت لك عدة رسائل احثك على القدوم مع لواء سالي بأسرع وقت لنجدتناولكني أخشى انك لم تتسلمهم ، ان موقفنا سيزداد بؤساً اذا لم تأتوا لأننا لا نستطيع ان نتراجع في أي اتجاه أو ان نترك الثكنات ونذهب الى بالاحصار وإذا ما استطعنا الحصول على مساعدة قواتكم سنصبح قادرين على الاستيلاء على المدينة . . » .

---

(٣) من أوراق شيلتون يقول فيها « في حوالي الساعة الرابعة من صباح ٩ نوفمبر تلقيت مذكرة من الفنستون يطلب عودتي الى الثكنات ويرغب في ان آخذ معي كتيبة المشاة السادسة ، مدافع قذائف تزن ٦ ارطال ـ ترك بالاحصار بين الساعة السادسة والسابعة وتقدم مع الشروق بدون أي محاولة من قبل العدو لتعطيل سيري ولقد أعددت نفسي لأي مقاومة ممكن أن تواجهني وفي الثكنات استقبلت استقبالاً ودياً ولاحظت علامات القلق التي تعتري كل فرد من القوات وكان ما يدعو للأسف ان أجد القوات في روح معنوية منهارة . . . Ibid p.108 .


قلعة التموين
قلعة محمد شريف
الثكنات
قلعة
ريك باشى
منازل الضباط
مرتفعات بيه ميرو

في الـوقت الذي كـان فيه المنـدوب البريـطاني يحاول تقـوية مـركزه تجمـع الفرسان والمشـاة الأفغان بـأعداد هـائلة على المـرتفعات التي تـطل على الثكنـات البريطانية وبدأوا يقذفون الثكنات بنيران بنادقهم ، وتمركـز جزء منهم في سلسلة من القـلاع تقع في السهـل المنخفض بالقـرب من الثكنـات . ومن القـلاع التي استولى عليها الثوار قلعة ريك باشي . Rick B وتقع شمال شرقي الثكنات وبدأ الأفغان يطلقون نيرانهم التي أحدثت خسائر فادحة في صفوف البريطانيين .

قررت القيادة العسكرية ارسال قوة ضد الثوار في ريك باشي ، وبعد تردد وافق الجنرال الفنستون وكان في صحة سيئة منذ ٩ نوفمبر[١]وتكـونت هذه القـوة من ألفـين من جميع الأسلحـة واستطاعت السيـطرة على القلعـة بخسائـر جعلت انتصار البريطانيين اقرب ما يكـون الى الهزيمـة . نتيجة لسقـوط ريك بـاشي تخلى الأفغـان عن سلسلة الحصون والقـلاع المجاورة وتـراجعوا الى كـابـل[٢]انتهـزت القوات البريطانية عدم قيام الثوار بأعمال هجوميـة ضدهـا في ١١ ، ١٢ نوفمبـر لأجل شراء المواد التموينية ، كما عمد الى استمالة قبائـل الغيلزاي لجانبـه محاولاً بذلك ، تفتيت وحدة القبائل الثائرة إلا أنه فشل في ذلك[٣]وفي ١٣ نوفمبر أقـام الثوار الأفغان مدفعين على مرتفعـات بيه ميـرو Beh Meru المطلة عـلى الثكنات البريطانية .

أصبح من الواضح أمام القيادة العسكرية البريطانية انه اذا ما ترك الأفغان متمركزين عـلى هذه المـرتفعات فـان نيران مـدافعهم ستكون مؤثـرة في الثكنات البريطانية وسيكون الاعتراف الكامل بعجزها وبالتالي فقدان مركزهـا[٤]. رفض الجنرال الفنستون المغامرة بارسال قوات بريطانية الى مرتفعات بيـه ميرو ، الا أن المنـدوب أصر على إرسـال القوات الى تلك المـرتفعات ، وتحمـل مسؤولية ذلـك

---

(1) Farlane , M.: Hist. of Brit. India. p.549.

(2) Kayek J.: F.A. war v.2 p.214.

(3) Ibid. P.216.

(4) Ibid. p.220.

العمل فأرسل في ٢٢ نوفمبر الميجور سويني ، الا أن الأفغان ردوه على أعقابه بعد أن كبدوه خسائر فادحة بالرغم من الهزيمة التي لاقاها سويني أصر ماكناجتين على إحتلال مرتفعات بيه ميرو ، فعقد مجلس الحرب في ٢٢ نوفمبر . وبعد مناقشات حادة تقرر إرسال قوات كبيرة في ٢٣ نوفمبر من جميع الأسلحة[١] بقيادة شيلتون . وبالرغم من الأسلحة الخفيفة التي كان يحملها الثوار الا أنهم استطاعوا إلحاق خسائر فادحة بالقوات البريطانية فكانوا ينقضون على المشاة البريطانية من خلف المرتفعات ، الأمر الذي دفعهم الى الفرار ، ولم تفلح نداءات الضباط الانجليز في إيقاف فرار الجنود .

وبالرغم من الانتصار الذي احرزه الأفغان الا أن الفوضى انتشرت بين صفوفهم نتيجة مقتل عبد الله خان قائد الثورة فتراجع الجميع الى العاصمة .

كان ماكناجتين والفنستون يتابعان الأحداث من فوق اسوار الثكنات واقترح المندوب إرسال قوة لمطاردة الأفغان ، رفض الفنستون ذلك واعتبره تهوراً[٢] ولم يلبث الأفغان ان عادوا ثانية وزادوا من عنف هجومهم على القوات البريطانية وانقضت مجموعات من الغازيين ـ مجموعة من الأفغان اطلقت على نفسها غازيس أي أنصار الدين الذي انتهك حرمته شجاع الملك بتعاونه مع أعداء البلاد (الانجليز) ـ على المشاة البريطانية واشتبكت معها[٣] وفقدت مدفعية الثكنات التي كانت تقذف بمدافعها على الأفغان فاعليتها لأنه أصبح من الصعب التمييز بين القوات المشتبكة . وبعد هذا الانتحار الذي حققه الثوار ترراجعوا الى المدينة وهم يهتفون بأغنيات النصر[٤] .

---

(1) Ibid. p.244.

(2) Ibid. p.248.

(3) Salo, Lady: A Journal of the diast. R. From . Cabul. p.131.

(4) Kaye, J.: F.A. war v.2 p.250.

الثورة في كوهستان :

لم تقتصر الثورة على كابل وحدها بل انتشرت الى جهات عديدة ففي كاردواراة - في الشرق - ثار الأفغان ضد اللفتنانت مولى Maule وفتكوا بقواته[1] وفي كوهستان ، قطع الكوهستانيون الاتصال بين القوات البريطانية المتمركزة في شاريكور والعاصمة فأصبح من الصعب وصول قوات النجدة الى شاريكور من كابل هذا اذا ما كان في مقدور القوات البريطانية في كابل ان ترسل تعزيزات فهي حقيقة تحتاج الى من يرسل لها العون ، ولهذا فشلت نداءات بوتنجر - قائد القوات البريطانية في شاريكور - وحينما لم تصله التعزيزات حاولت استمالة الزعماء الأفغان ولكنه فشل في ذلك وبدأ الثوار يوجهون نيرانهم على المعسكر البريطاني في ٣ نوفمبر[2] وتمكنوا في ٦ نوفمبر من حصار القوات البريطانية في شاريكور حصاراً محكماً ، فأصبح الماء داخل المعسكر البريطاني نادراً ، بالاضافة الى الاعداد الكبيرة من الجرحى[3] واضطر بوتنجر الى محاولة التفاوض مع الأفغان في ٨ نوفمبر . قدم الأفغان الشرط الأساسي لقبول التفاوض وهو استسلام جميع القوات البريطانية في شاريكور ، حاول بوتنجر استعطاف الأفغان بقوله . . « لقد حضرنا الى هذا البلد لمساندة ملك مسلم في استعادة حقوقه فنحن بذلك في حظيرة الاسلام . . . »[4] الا أن الأفغان أصروا على استلام القوات البريطانية .

قرر بوتنجر في ١٣ نوفمبر الانسحاب من شاريكور ، وحتى لا يراهم الثوار تراجع اثناء الليل ولكنهم أخطأوا الطريق وسرعان ما وجدوا أنفسهم وسط الثوار الأفغان ، ولم يصل من جميع هذه القوات الثكنات البريطانية في كابل غير بوتنجر وضابط آخر وقتل الباقون[5].

---

(1) Ibid. p.197.

(2) Kaye, J.:F.A. war v.2» p.226.

(3) Sale, Lady: A Journal of the disast.R. From Cabul p.70.

(4) Kaye, J.F.A. war v.2 p.231.

(5) Ibid. p.234.

أما قوات روبرت سالي فلم تستطع التحرك من جنداماك حيث كانت معسكرة وكان من بين أفرادها ٣٠٠ جريح ومريض ولم يكن لديها الأسلحة أو المؤنة التي تمكنها من الوصول الى كابل بالإضافة الى هجمات القبائل الأفغانية كل ذلك دفع سالي الى عدم تلبية نداء المندوب البريطاني بالتقدم الى كابل[١]، أما بقية الأجزاء الأخرى من أفغانستان ، قندهار ، جلال آباد وغزنة فقد ظلت تتمتع بفترة من الهدوء النسبي ، ولكنها سرعان ما ثارت في وجه قوات الاحتلال وبعد انتصار ثورة كابل وانسحاب القوات البريطانية منها وهذا ما سنوضحه بعد قليل .

موقف شجاع الملك :

سبق القول بأن شجاع الملك أرسل كتيبة من الهندوستانيين بصحبة ابنه فتح جانج والوزير عثمان خان لمواجهة ثوار العاصمة الا أن الثوار كبدوا تلك القوة ما يقارب مئتي قتيل ، وتقهقر باقي أفراد الكتيبة تحت حماية البريجادير شيلتون الذي قدم من الثكنات البريطانية وبعد هذه المحاولة الفاشلة أغلق شجاع الملك أبواب بالاحصار على نفسه وأخذ يراقب مجرى الأحداث من داخل حصنه ، الا ان العرب الذين يكونون قطاعاً كبيراً من سكان بالاحصار ثاروا ضد شجاع الملك وعزموا على فتح أبواب الحصن للثوار . فأمر شجاع الملك بالقبض على زعمائهم ، ومنع مغادرة السكان العرب بالاحصار . أدى هذا الى سخط العرب فتظاهرت السيدات والأطفال العرب أمام منزل الوزير الأفغاني الذي ذهب الى الملك ، وطلب منه قبول مغادرة العرب بالاحصار الا أن شجاع الملك أصر على عدم خروج أية أسرة عربية من المكان[٢]، لم نجد تفسيراً واضحاً لوجود (العرب) في بالاحصار ويبدو انهم كانوا من أتباع شجاع الملك

(1) Sale, Lady: A Journal of the disast. R.From Cabul. P.45.

(2) Kaye, J.F.A. war v.2 p.242 - 3.

انظر أيضاً :

Sale, Lady: A Jour. of the disast .R.From. Cabul p. 75 .

وكان يثق فيهم والهندوستانيين أيضاً أكثر مما يثق في الأفغانيين كما لا نستبعد أن يكون بينهم عدد من التجار الذين اعتادوا ارتياد هذه المناطق وسنرى انهم قد انضموا بعد قليل الى الثورة الوطنية .

المفاوضات :

رأيت كيف حقق الثوار عدة انتصارات ضد قوات الاحتلال فأبادوا القوات التي كانت متمركزة في شاريكور ، وقيدوا حركة سالي في جنداماك ، ووجهوا عدة ضربات مؤثرة للقوات المعسكرة أمام كابول . كما فشلت محاولات المندوب البريطاني لتفتيت وحدة الثورة بواسطة الرشوة .

في هذه الأثناء اشتدت الثورة في كابل بدرجة مكنتها من زعزعة أركان الاحتلال البريطاني في كابل ، وكان على القيادة البريطانية أن تتحرك سريعاً ، الا انها أخطأت الطريق فدفعت بنفسها وبقواتها الى الدمار .

ازاء الهزائم التي نالتها القوات البريطانية في كابل فكر ماكناجتين في حماية بقية القوات عن طريق التراجع الى بالاحصار ـ الحصن الذي يقيم فيه شجاع الملك داخل العاصمة ـ الا ان الجنرال الفنستون عارض ذلك بحجة ان التقهقر الى بالاحصار سيفتح مجالاً للاشتباك مع الأفغان في حين أن القوات البريطانية لديها ٧٠٠ جريح ومريض بالاضافة الى انهيار الروح المعنوية بين الجنود البريطانيين وبالتالي فان الدمار سيصيب البريطانيين في أي مواجهة مع الأفغان كما أن بالاحصار لا تتسع لكل جنوده[١] .

اضطر المندوب البريطاني الى محاولة التفاوض مع الثوار فطلب استشارة الجنرال الفنستون في الشروط التي يراها مناسبة لتكون أساساً للمباحثات مع الأفغان . أبدى الفنستون مخاوفه ازاء تدهور الأوضاع وتعاظم قوى الثوار ولذلك طالب المندوب بانتهاز الفرصة لمفاوضة الثوار بأسرع وقت ممكن . أرسل

---

(١) رسالة الفنستون الى ماكناجتين في ٢٤ نوفمبر ١٨٤١ .

ماكناجتين الى الثوار معرباً عن رغبته في مناقشة الشروط التي تقضي بالانسحاب وطالبهم بإرسال مبعوثين من طرفهم .

قبل الأفغان هذه المبادرة وفي اليوم التالي ٢٥ نـوفمبر اجتمـع سلطان محمد خان وميرزا علي قزلباشي ـ وهذا يوضح ان التفتت والإنقسام الوطني الذي عانت منه أفغانستان طويلاً قد تلاشى تدريجياً وأصبح الشعب الأفغـاني بجميع طـوائفه يداً واحدة ضد العدو المحتل ـ اجتمعا كمنـدوبين من قبـل الزعـماء الأفغان مـع الكـابتن تريفـور من قبل قـوات الاحتلال لمنـاقشة شـروط الانسحاب . استمـر الاجتماع بين الطرفين مـا يقرب من سـاعتين ولم يتـوصل الجـانبان الى اتفـاق ، فطالب سلطان محمد خـان بالاجتمـاع مع مـاكناجتـين شخصياً[١]وكـان الأفغان يـرون أنه بحكم انتصـارهم عـلى الانجليـز فمن حقهم امـلاء الشـروط وهي : استسلام القوات البريطانيـة دون قيد أو شـرط وتنازلهـا عن ذخائـرها بـاعتبارهـا غنائم حرب .

رفض المندوب البريطاني شروط الأفغان واعتبرها مجحفة بحق امته ، وكان رد الأفغان « اننا سنتقابل في ميـدان المعركـة . . . » ولما كـان المندوب البـريطاني يـدرك الخطورة التي ستـواجهها قـواته من جـراء تجـدد القتـال ارسـل الى الثوار بـالشروط التي يمكن ان يـوافق عليها ، ولكن الثـوار انـذروه أمـا الاستسـلام أو القتال[٢] .

في هذا الوقت وصـل محمد اكبـر خان ـ ابن دست محمـد ملك أفغانستـان الذي كان اذ ذاك في الهنـد ـ ولقد عـزز وصولـه من عزيمـة الثوار الـذين كان لا يزالون ينظرون باحترام لدست محمـد ، واحتفلوا بقدوم محمـد اكبر خـان . كان البريطانيون يعتقدون ان وصول محمد اكبر خان سيزيد من الثورة اشتعالاً[٣].

---

(1) Kaye J.: F.A. war. v.ç p.254.

(2) Sykes, p. Hist. of Afghanistan v.2 p.30.

(3) Sale, Lady. A Journal of the Disast.R.From Cabul p.136.

الضغط الأفغاني :

رفض الثوار الاعتراف بشجاع الملك ملكاً عليهم فقد اتهموه بالخروج عن الدين وملأ البلاد بأعداء الاسلام ، وعينوا نواب محمد زمان ـ ابن عم دست محمد ـ ملكاً على البلاد وأصبحت الأوامر والخطب تقرأ باسمه . أرسل نواب محمد زمان ـ الملك الجديد ـ الى المندوب البريطاني في ٢٥ نوفمبر بخطره بأنه قبل العرش لا بدافع وعن رغبة شخصية ، ولكن لكي يضع حداً للفوضى[١] وبذلك أصبح في كابل ملكان ، ملك أسير أغلق على نفسه بالاحصار ضد سخط الشعب الأفغاني وملك آخر عيّنه الثوار ، هذا ما عدا الملك السابق دست محمد في المنفى . عين نواب محمد زمان ابن أخيه عثمان خان مندوباً له لمفاوضة البريطانيين[٢]. أرسل عثمان خان الى ماكناجتين في ٢٦ نوفمبر طلب منه انسحاب القوات البريطانية من الأراضي الأفغانية حتى يحكم الأفغان أنفسهم بأنفسهم طبقاً لقوانينهم الخاصة في ظل الملك الذي يختارونه .

رحب الفنستون بهذه الفرصة تمهيداً للانسحاب . الا أن المندوب البريطاني ظل يراوغ ، وكان لا يزال يأمل في تفتيت وحدة الثوار الأفغان[٣] ولكنه فشل في ذلك فقد سرت في الشعب الأفغاني روحاً جديدة غير تلك الروح التي كان قد واجهها من قبل اثناء تقدم القوات البريطانية ١٨٣٩ ، فلقد أمسك الشعب والزعماء على السواء بمصير بلادهم فرفضوا الملك الذي حمله الانجليز اليهم وأختاروا ملكاً آخر يرعى مصالحهم لا مصالح أعداء بلادهم .

طالب كابتن جونسون المندوب البريطاني باتخاذ قرار سريع بشأن الانسحاب لأنه لم يعد هناك وقت يضيعه ولكن ماكناجتين أثر الانتظار لمدة يومين عن أن يحدث ما يكون فيه مصلحة بريطانيا ولكن الأحداث اثبتت عكس ما تمناه المندوب ففي ٥ ديسمبر احرق الأفغان الجسر الذي أقامه الانجليز على نهر

(1) Kaye, J. F.A. war v.2 p.259.

(2) Ibid. p.260.

(3) Farlane ; M.: Hist. of Brit. India p.550.

كابل ، كما أنهم تمكنوا من الاستيلاء على قلعة محمد شريف في ٦ ديسمبر .

اضطر ماكناجتين الى مفاوضة الثوار وبالفعل عقد في ١١ ديسمبر اجتماعاً بين الجانبين على بعد ميل من الثكنات على شاطىء نهر كابول . وكان الوفد الانجليزي يتكون من ماكناجتين والكابتن لورانس وتريفور وماكنزي ، وكان الوفد الأفغاني يتكون من محمد أكبر خان ـ ابن دست محمد ـ ، عثمان خان ، سلطان محمد خان محمد شريف ، محمد شاه خان ، وخودا خان[1] .

وفي بداية الاجتماع عرض المندوب البريطاني على الوفد الأفغاني مشروع اتفاقية مكتوبة باللغة الفارسية ، برر فيها قدوم الإنجليز الى أفغانستان فهم جاءوا على حد تعبير المندوب البريطاني لسلامة وسعادة أفغانستان ، ولكن الأحداث الأخيرةأثبتت ان الأفغان غير راضين عن وجودهم وبالتالي تحطم الهدف الذي تقدم الانجليز من أجله وأوضح ماكناجتين في مشروعه عدة شروط للمفاوضة وهي : انسحاب القوات البريطانية الموجودة في كابل الى بشاور ومنها الى الهند بأسرع ما يمكن ، وأن يتعهد الزعماء بعدم تعريض القوات البريطانية لأية مضايقات في انسحابها وان تقدم لها المساعدات الممكنة سواء في العربات او المؤن . تصدر الأوامر الى القوات البريطانية في جلال أباد بالتراجع في الوقت الذي يقتنع فيه المندوب . تغادر القوات البريطانية غزنة في الوقت الذي تنتهي فيه من إعداد الترتيبات . تتراجع جميع القوات البريطانية سواء في قندهار أو في بقية أجزاء أفغانستان بمجرد ان تنتهي الترتيبات الضرورية لذلك ، وحينما تسمح لها الظروف المناخية بالسير سواء عن طريق كابل ممر بولان . ترد جميع ممتلكات دست محمد . تحفظ بعناية كل ممتلكات الضباط التي تترك في أفغانستان على أن ترسل للهند في الوقت المناسب . تترك الحرية لشجاع الملك أما البقاء في أفغانستان على أن يخصص له دخل لا يقل عن عشرة آلاف جنيه استرليني أو يصحب القوات البريطانية الى الهند وإذا ما قرر شجاع الملك العودة الى الهند

(1) Kaye, J.: F.A. war v.2p.278.

نص المشروع انظر :

يقدم الاحترام والرعاية لبعض من أفراد أسرته غير القادرين على صحبته ، ويسمح لهم بالإقامة في بالاحصار إذا ما وصلت القوات البريطانية سالمة الى بشاور تعد الترتيبات فوراً لعودة دست محمد وأسرته المحتجزين في الهند ، وحينما يصل دست محمد وأسرته بشاور يسمح لشجاع الملك وحاشيته بالذهاب الى الهند . ومن أجل ضمان تنفيذ الجانب البريطاني الشروط المتفق عليها يقدم ٤ ضباط كبار كرهينة على أن يسمح لهم بالعودة الى الهند فور وصول دست محمد وأسرته بشاور . يصحب القوات البريطانية الى بشاور السردار محمد أكبر خان ، ومحمد عثمان خان ، وبعض الزعماء من ذوي النفوذ . تستمر علاقات الصداقة والود بين الأفغان والإنجليز ولا يعقد الأفغان أي تحالف مع أية دولة أجنبية دون موافقة الإنجليز على أن تقدم حكومة شركة الهند الشرقية المساعدات للأفغان وقت الحاجة . تُعين بريطانيا مقيماً لها في كابل للحفاظ على الصلات الودية بين الدولتين دون التدخل في الشؤون الداخلية .

لا يصاب أحد بسبب الأحداث الأخيرة في كلا الجانبين بأي أذى والسماح لأي شخص يرغب في الذهاب الى الهند أو الإقامة في أفغانستان في حالة الموافقة على البنود السابقة، يقدم الزعماء الأفغان المؤمن للقوات البريطانية على أن تدفع هذه القوات ثمنها فوراً. يبقى الجنود والضباط البريطانيون غير القادرين على الانسحاب الى الهند على أن يعاملوا باحترام حتى تسمح لهم حالتهم والظروف المناخية بالعودة(١).

والواقع ان هذا المشروع يعتبر استمراراً لسياسة المراوغة التي اتبعها المندوب البريطاني فلم يحدد موعد انسحاب القوات البريطانية من أفغانستان ، بل أعطى نفسه حق تحديد ذلك الموعد ، وكان هدف المندوب من هذا هو كسب الوقت حتى يتمكن من توجيه ضربة قاصمة للثوار وان كان المشرع في مجموعه اعترافاً من بريطانيا بانتصار الثوار الأفغان ، اذ أقر المشروع حق الأفغان في تقرير مصيرهم بأنفسهم في ظل الملك الذي يختارونه ، ولكنه حرص في

(1) Kaye, J.:F.A. war v.2 p.278 - 80 .

الـوقت نفسه عـلى استبقاء النفـوذ البـريـطاني في أفغـانستـان ، وتقييـد سيـاسـة الأفغانيين الخـارجية حتى لا تكـون أفغانستـان قاعـدة لأي تهديـد من قبل دولـة اجنبية للوجود البريطاني في الهند .

استمـر النقاش بـين الجانبـين وأعلن المندوب للزعـماء الأفغان ان القـوات البريطانية ستنسحب الى الهند خلال ثلاثة أيام . وقُدم الكابتن تريفور رهينـة في أيدي الثوار وكان هدفه الحقيقي من ذلك الحصول على المؤن لقـواته التي كـانت في أشد الحاجة اليها[1] على الرغم من مـوافقة الـزعماء عـلى مشروع الاتفـاقية الا انهم ظلوا متشككين في صحة نوايا البريطانيين فلم يرسلوا اليهم المؤن .

وفي ١٣ ديسمبر اخليت بالاحصار من القوات البريطانية ونظر الأفغان الى هـذه الخطوط عـلى أنها محاولـة من قبل المنـدوب لتجميع القـوات البريـطانية في الثكنات على ان يقوم بعد ذلك بتوجيه ضربـة قويـة للثورة[2] تقـدم أحد الـزعماء الأفغـان باقتـراح قدم في اليـوم التالي الى المنـدوب البريـطاني ويقضي بـأن يبقى شجـاع الملك على العـرش على أن يـزوج بناتـه الى كبار الـزعـماء ، وأن يشغـل البـاركـزاي منصب الـوزارة ، وأن يُعفي شجـاع الملك من بعض السلطات التي كانت تثير سخط الزعماء . وكان هدف الـزعماء من هـذا هو التسـتر وراء شجاع الملك حتى يتم جلاء القوات البـريطانيـة فيصبح المجـال متسعاً أمـامهم لمواجهـة شجاع الملك . وبالرغم من موافقة المندوب البريطاني عـلى هذا الاقتـراح الا أن شجاع الملك رفض الموافقة بحجة ان كبرياءه يأبى عليه ان يتعامل مع الزعـماء ، أو أن يعكر صفاء الدم الملكي بتزويج بناته من هؤلاء الزعماء ، وفوق هـذا فانـه كان لا يثق بالزعماء بعد انسحاب القوات البريطانية[3] .

في هـذا الوقت بـدأت كميات المؤن داخـل الثكنات البـريطانيـة تتنـاقص

(1) Kaye, J. :F.A. war v.2 p.280.

(2) Ibid. p.286.

(3) Ibid. p.290.

تـدريجياً فـأرسلت القيادة البـريطانيـة تطالب الـزعماء الأفغـان بإرسـال كمية من المؤن . رفض الزعماء الأفغان هذا الطلب وطالبوا بانسحاب القوات البريطانية . وتسليم جميـع القلاع والحصـون المحيطة بـالثكنات التي يحتلهـا البـريـطانيـون ، وبـالفعل بـدأت القوات البـريطانيـة اخـلاء سلسلة القـلاع والحصـون المحيـطة بالثكنات وسلم الأفغان كمية قليلة من المواد التموينية وقدموا شقيق نواب زمـان شاه رهينة من قبلهم[١] .

مقتل ماكناجتين :

ظل المندوب البريطاني يعتقد انه بطول البقاء في أفغانستان يستـطيع تفتيت قوة وتماسك الزعـماء الأفغان عن طـريق استمالـة بعضهم بالمـال والوعـود . وفي ٢٣ ديسمبـر طلب الثوار الاجتمـاع مع المنـدوب البـريـطاني عـلى بعـد ميـل من الثكنات البريطانية[٢] . عزم محمد أكبر خان على القبض على مـاكناجتـين ليكون رهينة في أيدي الأفغـان لضمان انسحـاب القوات البـريطانيـة وعودة أبيـه دست محمد ، ولم تتخذ القيادة البريطانية وسائل امن احتياطية لمصـاحبته . عمـل محمد أكبـر خان عـلى القبض على المنـدوب البريـطاني الا انه حـاول الفـرار[٣] فبـادره برصاصة من مسدس كان ماكناجتين قد أهداه إياه في صباح اليوم نفسه[٤] .

ألقى الـزعماء القبض عـلى المـرافقـين الثـلاثـة للمنـدوب البـريـطاني وهم لـورانس وتريفـور وماكينـزي ، حاول تـريفـور الهـرب ولكنـه لقى نفس مصـير ماكناجتين وحُمل الاثنان الآخران أسرى الى العاصمة . وكانت حجتة محمد أكبـر خان في قتل ماكناجتين أن المندوب البريطاني حاول خداعه طويلاً وكان يخشى اذا ما وصلت القوات البريطانية جلال أباد ان تشترك مـع القوة المتمـركزة في المـدينة لتحطيم الثوار ، وأن ماكناجتـين عارض فكـرته في تـوقف قوات كـابل في وادي

(1) Kaye, J.:F.A. war. v.2 p.291.

(2) Sykes, p.: Hist. of afghanistan. v.2. p.31.

(3) Macmunn, G.: Afghanistan From Darius to Amanullah. p.142.

(4) Kaye, J.: F.A. war v.2 p316.

تزين Tezeen حتى تخلى قوات جلال أباد المدينة[1].

سمعت صرخات المندوب بوضوح داخل الثكنات البريطانية ولم ترسل القيادة أية قوة لتقصي الحادث وربما يفسر سلوك القيادة الى رغبتها في التخلص من سلطته المطلقة عليها . تولى الكولونيل بوتنجر سلطات المندوب البريطاني .

وفي مساء ٢٤ ديسمبر ١٨٤١ تلقى بوتنجر في حضور كل من الجنرال الفنستون والبريجادير شيلتون رسالة من محمد أكبر خان ، محمد زمان خان ، أمين الله خان وعثمان خان وهم من زعماء الثوار رسالة تتضمن عدة شروط لتحقيق انسحاب البريطانيين وهي : اخلاء كل من كابل وجلال أباد وغزنة وقندهار في الحال . عودة دست محمد وجميع الأسرى الآخرين في حين تكون الحرية لشجاع الملك أما البقاء في أفغانستان أو مغادرتها ، وإذا ما قرر البقاء ، تدفع له عشرة آلاف جنيه استرليني معاشاً سنوياً له ، يترك عدد من البريطانيين كرهائن لضمان انسحاب القوات من البلاد على أن يتعهد الزعماء الأفغان مقابل ذلك بتوصيل القوات المنسحبة بدون اعتراضات الى الحدود الهندية . تقديم الأموال الموجودة في الخزانة البريطانية الى الزعماء ، وأن تسلم القوات جميع مدافعها ما عدا ٦ مدافع وجميع البنادق الزائدة عن استعمال القوات البريطانية . يترك الجنرال سالي وزوجته وابنته وجميع السيدات الانجليزيات وأطفالهن في أيدي الأفغان حتى عودة دست محمد والأسرى الأفغان من الهند[2].

ولعل هذه الشروط تعكس درجة القوة التي وصلت اليها الثورة الأفغانية فهي تعرض شروطاً قاسية ومهينة على المحتلين البريطانيين الذين وصلوا الى درجة من الضعف بحيث كانوا لا يستطيعون القيام بأعمال حربية لاثبات وجودهم أو على الأقل الدخول في مفاوضات لنيل شروط مشرفة تكفل لهم الانسحاب الى الهند دون مضايقات من قبل الأفغان . أعلن الجنرال الفنستون انه يستطيع تسليم الضباط الانجليز (الرهائن) ولا يستطيع تقديم السيدات

(1) Sykes, p.: Hist. of Afghanistan v.2. p.31.

(2) Kaye, J.F.A. war. v.2 p.434 - 5.

الإنجليـزيات لأنهن لا يخضعن للتنـظيم العسكـري وأن هـذا الأمـر يـرجـع الى الضباط أنفسهم أصحاب الشأن[1].

الاتفاقية النهائية ـ ديسمبر ١٨٤١ :

عقـدت هذه الاتفـاقية بـين الكولـونيل بـوتنجر والـزعماء الأفغـان لتنـظيم انسحـاب القوات البـريطانيـة من أفغانستـان وأهم ما تضمنتـه هذه الاتفـاقية : انسحاب القوات البريطانية من كابل بعد ٢٤ سـاعة من تسلمهـا العربـات التي ستنقلها الى الحدود وألا تعود ثانية . لا تتعرض القوات البريطانية لأية مضايقات وأن يقوم عدد من الزعماء الأفغـان بضمان ذلـك . تتحرك القـوات المتمركـزة في جلال أباد الى بشاور قبل وصول قوات كابل الى المدينة يتسلم مندوبون من قبـل الـزعماء الأفغـان ادارة الأراضي التي تحتلها القـوات البريـطانية وأن يقـوم هؤلاء المندوبون بإرسال مبعوثين من طرفهم لتزويد القوات البريطانية بالمؤنة والحماية .

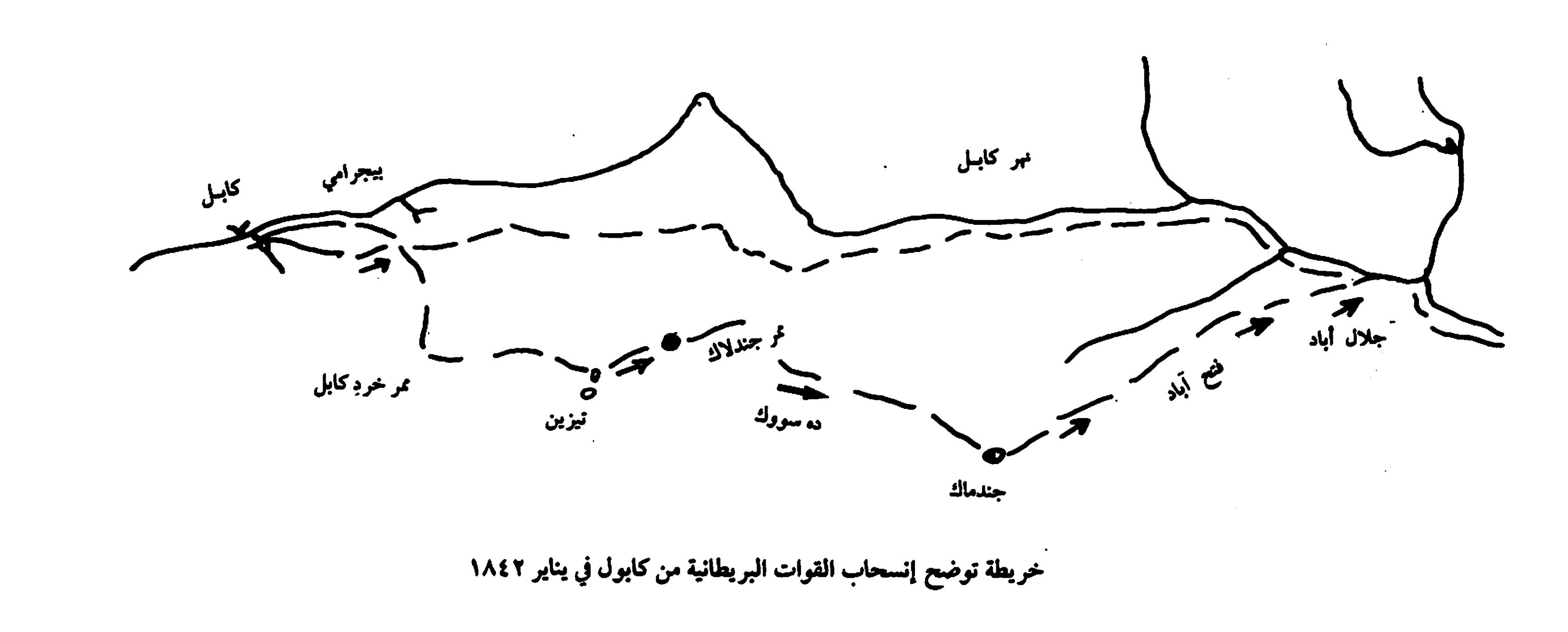
استـرداد ممتلكات دست محمـد وترك ٦ أشخـاص رهائن يعـاملون معاملة حسنة حتى وصول دست محمد بشاور ، يسمـح لهم بالعـودة الى الهند بعـد ذلك تقدم بريطانيا المساعدات للأفغان ضـد الأخطار الأجنبيـة ، وإذا لم تقم بريـطانيا بذلك تكون الحرية المطلقة للأفغان في تحركهم . . تترك جميع القوات البريـطانية كافة أسلحتهـا الزائـدة عن استعمالهـا ما عـدا ستة مـدافع لـلأفغان تعبيـراً عن صداقة الانجليز لهم أن يعامل الجرحى والمرضى الانجليز العـاجزون عـلى العودة معـاملة حسنة حتى يتمـاثلوا للشفاء ، وتكـون لهم الحريـة بعد ذلـك للعودة الى الهند[2]تعتبر هـذه المعاهـدة حلاً وسـطاً بين مـطالب الزعـماء الأفغان بـاعتبارهم الجانب القوي المنتصر ومطالب البريطانيين في أن تكـون شروط الانسحـاب أقل اذلالاً لهم وحققت هذه الاتفاقية رغبة محمد أكبر خان في انتظار قوات كابل حتى انسحاب قوات أبـاد خشية ان تقـوم بعمل حـاسم ضد الأفغـان اذا ما انضمت

---

(1) Sale, Lady: A Journal of the disast.R. From Cabul. p.201.

(2) Kaye, J.: F.A. war. V.2. p.438 - 40.

قوات كابل الى قوات جلال أباد . الا أن هـذه الاتفاقيـة لم تذكـر مصير شجـاع الملك ، ويبـدو أنه تقـرر أن يتولى شجـاع الملك العرش الأفغـاني في حين يتـولى الزعماء الأفغان ادارة المملكة الأفغانية ولكن الزعماء الأفغان لم يكونوا واثقين منـه فسرعان ما قام شجـاع الدولـة بن نواب زمـان خان كـما سنرى بـاغتيال شجـاع الملك . وحقيقة ان الجانب البريطاني نفذ كافة التزاماته وبدأ الانسحاب فعلاً الا أنه لم يكن في مقدور الزعماء الأفغان منع الجماهير من الانتقام من أعدائها ، فقد شنوا الغارات على القوات المنسحبة وألحقوا بها الدمار .



خريطة توضح إنسحاب القوات البريطانية من كابول في يناير ١٨٤٢

الفصل الثامن

١ ـ الأفغان يدمرون قوات الاحتلال في كابل
٢ ـ الموقف في جلال أباد .
٣ ـ الموقف في قندهار .
٤ ـ الموقف في غزنة .

لم يمضي على وجود القوات البريطانية في أفغانستان الا عامان حتى انفجرت البلاد في ثورة وطنية عارمة ، وتوحدت قوى الشعب بجميع طوائفه وطبقاته وفشلت القيادة العسكرية البريطانية في إخماد انتفاضة الشعب الأفغاني ، كما فشل المندوب البريطاني في تفتيت الوحدة الوطنية ودفع حياته ثمناً لتلك السياسة الفاشلة واضطرت قيادة الاحتلال الى مفاوضة الثوار ورضخت لمطالبهم في أواخر ديسمبر ١٨٤١ بالانسحاب من كابل وبالفعل أعدت ترتيبات الانسحاب الى الهند ، وبدأ بوتنجر في تسليم الأسلحة الى الأفغان وقدم لهم الرهائن المتفق عليها .

وبالرغم مما أظهره البريطانيون من صدق النية في الانسحاب الا أن جماعات من الغازيس (المجاهدين) احاطوا الثكنات البريطانية وأخذوا يقذفون قوات الاحتلال بالشتائم وسلبوهم المؤن التي قدمت لهم من المدينة ولم يستطع الزعماء الأفغان السيطرة على الجموع الثائرة[1]، أرسل موهان ـ احد المستخدمين الهنود ـ يحذر بوتنجر من عدم وفاء الزعماء الأفغان بالعهود والمواثيق التي قطعوها على أنفسهم وأن القوات البريطانية ستواجه هجمات الأفغان إذا لم يصحب الزعماء الأفغان القوات البريطانية أثناء العودة للهند . ورد بوتنجر « ان الزعماء الأفغان قد وقعوا الاتفاقية وان ابناءهم سيصحبوننا ، أما من جهة الهجوم اثناء الطريق فاننا بين يدي الله واننا نثق به . . . »[2]ولعل هذا الرد يعكس مدى الضعف الذي وصلت اليه قوات الاحتلال فقد أصبحت غير قادرة على درء الأخطار عن نفسها .

الأفغان يدمرون قوات الاحتلال في كابل :

أصدر الجنرال الفنستون أوامره في ٥ يناير باعداد ترتيبات الإنسحاب نحو جلال أباد في اليوم التالي كما أمر بفتح ثغرات جانبية في السور لتيسير خروج

---

(1) Sale; Lady: A Journal of the disast. From Cabul p.208 - 9.

(2) Kaye, J.: F.A. war.v.2 p.328.

القوات[1] وفي اليوم التالي وفي تمام الساعة ٩١/٢ من صباح ٦ يناير بدأت القوات البريطانية في كابل التي بلغ تعدادها في هذا الوقت ٤٥٠٠ مقاتل منهم ٧٠٠ ، أوروبي ، ١٢ ألف من الاتباع تقهقرها الى جلال أباد[2] وكان كل ما لديها من المؤنة لا يكفيها الا لمدة ٥ أيام فقط[3].

تعقب الأفغان وباعداد كبيرة القوات البريطانية وأطلقوا نيرانهم عليها . وكان الجنود البريطانيون من وقت لآخر يرمون أسلحتهم[4] فكان السير على الجليد صعباً بالنسبة لهم وبدأوا يتخلصون من امتعتهم وعتادهم ، وتساقط الكثير منهم نتيجة الإعياء الشديد وزرعوا الطريق بجثثهم[5] وحينما أضنى الجوع والتعب الكثيرين من أفراد الجيش ، أصدر الفنستون أمراً بوقف السير في حين كان الجنرال بوتنجر شديد الرغبة في مواصلة التقدم ، وكان يعتقد ان سلامة جيشه تتوقف على سرعة التقهقر . ويصف البريجادير شيلتون وضع القوات في هذا الوقت بقوله « حينما انتهيت من تشكيل القوات بالقرب من بوتخاك لمقاومة الهجوم المحدق بنا ، وتحركنا ثانية الا أنني سمعت ان الجنرال قد أمر بالتوقف فذهبت مسرعاً اليه وطلبت منه استمرار السير وأكدت له أن التوقف على الجليد بدون خيام أو طعام سوف يدمر القوات ، ولكنه رفض التحرك . وتحدث عن وعود الزعماء ، وأخبرني بأنه أرسل الى كابل لمعرفة سبب عدم ارسال الحراس وهنا أمضينا يوماً آخر . وكان العدو يجتمع بأعداد كبيرة . . »[6] وأثناء توقف القوات البريطانية ظهر محمد أكبر خان مع ٦٠٠ من فرسانه وبرر محمد أكبر خان موقفه بأنه حضر لحمايتهم من خطر المجاهدين وطالبهم بالمزيد من الرهائن لضمان انسحاب قوات جلال أباد من المدينة على أن تتوقف القوات في بوتخاك

---

(1) Asiatic J. :N.S.v.39 p.63.

(2) Roberts, p. :Hist. of Brit. India p.321.

(3) Sale, Lady: A Journal of the disast.R. From Cabul. p.230.

(4) Asiatic J.: N.S. v.3964.

(5) Sykes, p.: Hist. of Afghanistan v.2 p.33.

(٦) من أوراق البريجادير شيلتون انظر : Kaye, J.: F.A. war. v.2 p.369.

وتعهد بتقديم جميع احتياجاتها حتى قيام سالي بإخلاء جلال أباد . ولعل هذا يعكس الغرض الحقيقي الذي دفع محمد اكبر خان الى الحضور الى ممر بوتخاك وهو الحيلولة دون وصول القوات المنسحبة من كابل الى جلال أباد حتى لا تنضم الى قواتها ، وكان لا يزال قليل الثقة في صدق نية البريطانيين . وفي مساء ٧ يناير اتصل سكينر Skinner مبعوث بوتنجر بمحمد أكبر خان ونقل اليه رغبة القيادة العسكرية في التحرك الى تزين لانتظار مغادرة سالي لجلال أباد ، لأنه أصبح من الصعب البقاء بالقرب من ممر خرد كابل ، طلب محمد أكبر خان ٤ رهائن لضمان انسحاب سالي على أن يكون منهم شيلتون ولورانس ، الا ان شيلتون رفض تسليم نفسه للأفغان ولم يجبره الفنستون على ذلك[١] تطوع بوتنجر لتسليم نفسه ولكن ماكينزي وضع مكانه ، واكتفى محمد اكبر خان بثلاثة رهائن فقط[٢].

استأنف الجيش في ٩ يناير الزحف نحو ممر خرد كابل ولكن الأفغان وباعداد كبيرة قد عسكروا بالقرب من مدخل الممر فتوقف الجيش على أمل ان يذهب محمد اكبر خان ليفرقهم[٣] أبعد محمد أكبر خان الأفغان عن مدخل الممر ودخل الجيش البريطاني الممر بشكل غير منتظم فأطبق الثوار على مؤخرته ، ولعل ذلك بتدبير من محمد أكبر خان[٤] وتمكن الأفغان من الفتك بثلاثة آلاف من القوات البريطانية[٥].

لكن البريطانيين ظلوا على ما هم عليه من سوء حال لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً ازاء هذه الكارثة . اتصلت القيادة البريطانية واقترح الزعيم الأفغاني أن يقوم بتوصيل السيدات الإنجليزيات وحمايتهن ضد أخطار هجمات الأفغان

---

(1) Kaye, J.: F.A. war. v.2 p.369.

(2) Ferrier, John Philip: Afghanistan. p.358.

(3) Asiatic J.; N.S. v.39. p.65.

(4) Sykes, p.: Hist of Afghanistan v.2 p.34 - 5.

(5) Doodwell The comb. Hist of Brit. India v . 5 . p.510.

الى بشاور وكان هدف محمد أكبر خان أن يضع يده على أكبر عدد ممكن من الأسرى حتى يضمن تنفيذ البريطانيين لشروط الانسحاب[١]، شقت القوات البريطانية طريقها ثانية وسط هجمات الأفغان وفي ١٠ يناير وصلت الى جاجلاك التي تبعد ٢٤ ميلاً عن تزين[٢] وفي نفس اليوم عقد الفنستون وشيلتون ومحمد أكبر خان اجتماعاً مع زعماء الغيلزاي وعرضوا عليهم ٢٠ ألف جنيه استرليني نظير عدم تحرشهم بالقوات البريطانية[٣] وبالفعل وافق زعماء الغيلزاي على العرض الذي قدم لهم الا ان موافقتهم كانت مجرد مراوغة ، فلقد القى محمد أكبر خان القبض على الفنستون وشيلتون ومنعهما من العودة الى المعسكر البريطاني كضمان لإخلاء جلال أباد .

بدأ الثوار يتأهبون للهجوم على القوات البريطانية التي فقدت حتى هذا الوقت ما يزيد عن نصف قواتها ، ولذلك وجد البريجادير ازكيوتيل الذي تولى القيادة بعد الفنستون ـ انه من الضروري السير قدماً لانقاذ بقية القوات من خطر هجوم الأفغان[٤] وفي ١٢ يناير بدأت القوات البريطانية اختراق ممر جاجلاك[٥] في طريقهم للهند دون نظام ولم يلتفت الضباط لصيحات الجنود بالتوقف[٦] وتمكن الثوار من الفتك بأز كيوتيل وعدد من الجنود البريطانيين[٧] . واصل الباقون الانسحاب للوصول الى جنداماك ولحماية أنفسهم من القتال في ميدان مفتوح مع الثوار صعدوا المرتفعات التي كانت في طريقهم ولم يكن لديهم من السلاح سوى ٢٠ بندقية و٤٠ طلقة . حاول الميجور شارلز كريفث ـ قائد القوات الجديد الاتفاق مع الثوار ، ولكن احدى رصاصات الأفغان قتلته[٨] . واصلت بقية

---

(1) Kaye, J.: First Afghan war v.2 p.374 - 5. (2) Sykes, p.: Hist of Afghanistan v.2 p.35 - 6.

(2) Sykes, p.: Hist. of Afghanistan. v.2. p.35.

(3) Same, Lady: A Journal of the disast.R. From Cabul p.267.

(4) Walker, Philip: Afghanistan. p.41 .

(٥) وهو ممر يع بين جبلين يبلغ ارتفاعها ٦٤٢٠ قدماً ويبلغ طوله ميلين وهو ضيق ومظلم نتيجة ارتفاعه الشديد .

(6) Asiatic J.: N.S. v.39 p.244.

القوات السير الى جنداماك وهبط تعدادها في ذلك الوقت الى ٧٠ شخصاً . وفي الطريق هاجمهم الثوار ولم يبق منهم غير ٦ أفراد وبالقرب من فتح أباد التي تبعد ١٦ ميلاً عن جلال أباد هاجم الثوار الجنود الستة ـ بقية قوات كابل ـ ولم يصل منهم الى جلال أباد غير واحد هو دكتور بريدون Dr. Brydon في ١٣ يناير ١٨٤٢[1].

ازاء هذه الكارثة التي أصابت القوات البريطانية في كابل ارتفعت الأصوات في الهند ولندن تطالب بالإنتقام والثأر لسمعة وشرف البريطانيين اللذين داسهما الأفغان بأقدامهم ، وتطلب هذا الأمر إرسال قوات جديدة الى أفغانستان ليس بدافع الرغبة في احتلال البلاد ولكن لفك حصار القوات البريطانية في جلال أباد وإطلاق سراح الرهائن ، وهذا ما سنذكره في الفصل التالي .

أما على الجانب الأفغاني فعلى أثر هزيمتهم للقوات البريطانية ارتفعت روحهم المعنوية ، واندفعوا بالآلاف للإنتقام من بقية القوات المتمركزة في جلال أباد وقندهار وغزنة .

الموقف في جلال أباد :

سبق القول بأن الجنرال سالي لم يستطع مساعدة ماكناجتين نظراً لوجود العديد من الجرحى والمرضى بين قواته ، ونقص المؤن التي تمكّنه من الوصول الى كابل بالإضافة الى هجمات القبائل المتوقعة عليه وخصوصاً عند ممر خرد كابل ولذلك توجه الى جلال أباد في ١٢ نوفمبر ١٨٤١ وبدأ في تحصين المدينة[2]وظل يتابع بقلق بالغ أنباء المفاوضات التي كانت تجري بين القيادة العسكرية في كابل والثوار الأفغان وفي ٢٩ ديسمبر حمل عبد الغفار خان ـ الذي عينه الثوار الأفغان حاكماً على جلال أباد ـ تعليمات من الجنرال الفنستون والكولونيل بوتنجر بشأن إخلاء المدينة والإنسحاب ثانية إلى الهند ولكن محمد أكبر خان كان يحرض عن

---

(1) Walker, philip: Afghanistan p.42.

(2) Kohzad, A: In the Nighlight of modern Afghanistan p.97.

طريق مبعوثية سكان المناطق المجاورة لجلال أباد على تحطيم القوات البريطانية الأمر الذي دفع بسالي الى عدم الإلتزام بطلب الجنرال الذي يقضي بالإنسحاب وآثر الإنتظار لمزيد من التعليمات[١] ولما وصل بريدون ونقل نبأ الكارثة التي حلّت بقوات كابل طالب جورج برود فوت - أحد ضباط المهندسين سالي بالتمسك بجلال أباد حتى النهاية أو الإنسحاب فوراً الى بشاور عن طريق ممر بولان وكان هدف برودفوت هو أن يتخذ سالي قراراً سريعاً حتى لا تواجه القوات البريطانية المتمركزة في جلال أباد المصير الذي لاقته قوات كابل . قرر سالي البقاء في جلال أباد وبدأ المهندسون في تقوية تحصينات المدينة .

بعد فشل محاولة ويلدWild [٢] للتقدم الى أفغانستان تقدم محمد أكبر خان في ٢٢ يناير على رأس قوات كبيرة من الأفغان لمحاصرة جلال أباد بعد أن قطع اتصالات المدينة عبر ممر خيبر[٣] .

في هذه الأثناء دفع محمد أكبر خان بأعداد هائلة من الأفغان لمحاصرة جلال أباد[٤] . تعقد الموقف أمام سالي وكان يخشى أن تتكرر كارثة كابل ، وطالب بانعقاد مجلس الحرب الذي كان يتكون من ضباط وحداته المختلفة في ٢٦ يناير[٥] وحضر ماك جريجور المندوب السياسي الإجتماع وأوضح سالي وجهة نظره أمام المجلس ذلك ان شركة الهند الشرقية تعمل القليل من أجل إنقاذهم ورأى أنه من الأفضل وجوب التفاوض لإخلاء البلاد وعرض على أعضاء المجلس الشروط التي اعتبرها مناسبة وهي : تسليم ٤ رهائن من الإنجليز

---

(١) رسالة سالي في ٩ يناير الى بوتنجر انظر :

Kaye , J. :F.A. war. v.2 p.354.

(٢) قرر الحاكم العام للهند ارسال لواء بقيادة ويلد الى أفغانستان ، الا أن القبائل الأفغانية في الممرات الشرقية وقفت في وجه هذه المحاولة وسنذكر هذا في الفصل التاسع .

(3) Kohzad , Ahmed: In the Nighlight of modern Afghanistan p.98.

(4) Farlane, M.: Hist. of Brit. India. p.553.

(5) Kohzad, Ahmed: In the Nighlight of modern Afghanistan p.98.

لإثبات اخلاصهم . ارسال حامية أفغانية لحماية قوات جلال أباد برئاسة محمد أكبر خان على أن يزود الأفغان القوات البريطانية بالعربات والمؤن[1]، يسحب محمد أكبر خان قواته المتمركزة في لوغمان .

ويقدم الأفغان سلطان جان وابن أمين الله خان ، وابن نواب زمان خان وبعض الزعماء القبليين رهائن قبل تحرك القوات البريطانية من جلال أباد على أن يتم التبادل بين كلا الطرفين في بشاور .

كان من الواضح أن غالبية أعضاء المجلس يرغبون في الإنسحاب ولكن برودفوت أعلن أنه من المستحيل أن تتركهم الحكومة وحدهم وتقف ساكنة لضياع سمعتها الحربية في أفغانستان وخصوصاً أن هناك حاكماً عاماً جديداً للهند في الطريق وهو يعني بذلك النبرة Ellenbaurgh الذي عين خلفاً لأوكلاند . وفي اليوم التالي عقد مجلس الحرب ثانية وكانت غالبية أعضاءه في جانب الإنسحاب[2]ولكن برودفوت عارض ثانية وفي تلك الأثناء وقف ماك جريجور وأعلن أن الجيش البريطاني في أفغانستان قد تحطم[3]وأبدى قلقه لوجود رهائن إنجليز في أيدي الأفغان ولكن سالي قاطعه بأنه سوف يقتل أحد الرهائن الأفغان إذا ما حاول الثوار نقض الإتفاقية ووقف برودفوت قائلاً : « ماذا ستفعل إذا ما هدد الأفغان بقتل اثنتين من السيدات الإنجليزيات أمام عيوننا مقابل ما قتلته ؟ »[4]وبعد مناقشات حامية أقرّت شروط الإنسحاب أما من ناحية الرهائن ، فلقد تطوع ماك جريجور أن يكون أحدهم ولكن برودفوت تشكك في صحة نوايا محمد أكبر خان بشأن الإنسحاب وطالبهم بوجوب تسليم جميع الأسرى الإنجليز الموجودين في أيدي الأفغان كشرط لإخلال جلال

---

(1) Kaye, J.: F.A. war v.3. p.57.

(2) Ibid. p.58 - 9.

(3) Ibid. p.60.

(4) Ibid. p.61.

أباد[1] واستطاع بـرودفوت ان يستميـل الى جانبـه كل من مـانتيث Manteath ، داني Danny ، أبوت Abbot وهم أعضاء في المجلس . وأخيراً أجبرت القيـادة العسكـرية عـلى رفض الإنسحاب وبـدأت القوات البـريطانيـة في جلال أبـاد في تقوية دفاعاتها على أمل انتظار تقدم الجنرال بولاك ـ قائـد قوات الإنقـاذ[2]. إلا أنـه حدث في ١٩ فبـراير زلـزال حـطم جميـع الإستحكـامـات التي كـان الجنـود البريطانيون قد أقاموها خلال الفترة الماضية وأخذوا يعيدون بناءها من جديـد في أواخر فبراير[3] في هذه الأثناء تجمع الثوار الأفغان حـول المدينـة وأخذوا يـطلقون النـار من خلف الحدائق ، فتحـرك داني في ١١ مارس من بـوابة بشـاور لمحاولـة دحر الأفغان من مواقعهم ، إلا أنه تراجع سريعاً إلى داخـل المدينـة فقد اكتشف ان الأسلحة التي في حوزته لا تكفيه إلا للدفاع عن النفس . بدأت كميـة المؤن في التناقص داخل المعسكر البريطاني[4] وكان سـالي يتوقـع وصول الإمـدادات في ٢٠ مارس وحتى ٢٧ مارس لم تصله المؤن[5] حاول محمد أكبر خـان فرض حصـار قوي على المدينة فخرج سالي على رأس قوات كبيرة تسانده نيران المدفعية لمواجهة الأفغان ، وكان الزعيم الأفغاني مستعداً لملاقاته فقد وضع قواته التي بلغ تعدادها ستة آلاف مقاتل أمام المعسكر البريطاني وعلى يمينه إحدى القلاع الأفغانيـة وعلى يسـاره نهر كابـل ، طلب سالي من داني مهـاجمة القلعـة الصغيرة ولكن داني لقي حتفه وتأخر الهجوم . انتهز الأفغان تلك الفرصة وسددوا عدة ضـربات شـديدة الى القوات البريطانية[6] ولكن سالي أصدر أمراً بالهجوم العام على الثوار وخـاض الثـوار الأفغـان حـربـاً عنيفـة ضـد سـالي الا أنهم اضـطروا للتـراجـع الـى لوغمان[7] لتفوق البريـطانيين بـأسلحتهم الحديثـة ، واستمر الـوضع هكـذا حتى

---

(1) Ibid. p.63.

(2) Kohzad, Ahmed : In the Nighlight of modern Afghanistan. p.98.

(3) Hansard's. p. Debates v.64. p.963.

(4) Kaye , J.: F.A. war. v.3 p.71.

(5) Ibid. p.72.

(6) Ibid. p.95 - 7.

(4) Ibid. p.98.

وصلت حملة الإنقاذ التي يقودها الجنرال بولاك .

الموقف في قندهار :

ظلت القوات البريطانية في قندهار تابع مجرى الأحداث في كابل دونما حراك وبعد الإتفاقية التي عقدها بوتنجر مع الثوار الأفغان أرسل مدير مكتب الجنرال الفنستون في ٣ يناير الى الجنرال نوت - قائد القوات البريطانية في قندهار - يطلبنه التقدم الى كابل في طريق عودته الى الهند بدلاً من شيكاربور[١] .

أرسل الزعماء الأفغان محمد عطا خان لإشعال الثورة ضد الإنجليز في أفغانستان الغربية ، وبالفعل انضمت جميع القبائل الى صفه ووجد الجنرال رولنسون - المسؤول السياسي - ضرورة إتخاذ إجراءات فعالة لكبح جماح الثوار والحفاظ على استقرار الأوضاع في الأراضي المجاورة لقندهار[٢] .

جمع رولنسون زعماء المدينة وطالبهم بأداء قسم الولاء لشجاع الملك ولابنه تيمور كما أجبر علماء الدين أيضاً على تقديم فروض الطاعة وألقى القبض على أسر زعماء المدينة واعتبرهم رهائن لدى الضباط البريطانيين . أما الزعماء أنفسهم فقد صحبهم ابن تيمور خان الى الحدود الشمالية لإثارة قبائل تلك المناطق ضد الباركزاي والمجاهدين .

وبهذه الطريقة نجح رولنسون في تهدئة الأوضاع في قندهار والمناطق المجاورة[٣]إلا أنه لم يستطع القضاء على المقاومة الأفغانية فلم يلبث الجنباز - (الذين كانوا يشكلون بقايا فرقة زيمندار التي ثارت ضد نظام الضرائب التعسفي وأشعلت ثورة السادوزاي في أفغانستان الغربية في أواخر ١٨٤٠ - ، أن

---

(1) Ibid. p.125.
(2) Ibid. p.125.
(3) Ibid. p.131.

هاجموا مدينة قندهار ثانية إلا أن رولنسون تمكن من صدهم ، ولكنهم تقدموا نحو جيرسك وكان رولنسون يخشى أن يستولي الجنباز على الأموال والذخيرة البريطانية الموجودة في تلك المدينة واعتزم السير الى جيرسك إلا أن الجنباز كانوا أسرع منه واستولوا على الخزينة البريطانية . انضمت قبائل الغيلزاي للثوار ، وأصبحت قوات الإحتلال في قندهار أمام خطر يوشك أن يزعزع أركانها ، فمواقع الثوار لا تبعد عن قندهار إلا خمسة أميال فقط ولذلك قرر الجنرال نوت التحرك على رأس قوات ضخمة لمواجهة الثوار ، ويقول (نوت) في مذكرته الى السكرتير العسكري لقندهار (بعد السير مدة ٤ ساعات فوق بلاد صعبة أصبحت على مرأى من جيش الثوار الذي كان يتراوح تعداده بين ١٥ ـ ٢٠ ألف والذي تمركز في كيلاتشوك Killachuk على الجانب الأيمن لنهر أرغنداب)[١] .

عبر نوت نهر ارغنداب ولم تستطع قوات الثوار الصمود في وجه المدافع البريطانية فأضطروا الى التقهقر في الجانب الآخر . حاول محمد عطا خان ـ مبعوث زعماء كابل ـ المقاومة داخل كيلاتشك إلا أن القوات البريطانية اقتحمت القلعة وقتلت جميع سكانها . أرسل محمد عطا خان في طلب إمدادات لدحر البريطانيين إلا أن الإمدادات لم تصله من كابل في الوقت المناسب[٢] .

حاول رولنسون بث روح الفرقة والإنقسام بين صفوف الثوار وخصوصاً بين السادوزاي ، والباركزاي باعتبارهم أكبر عصبيتين قبليتين فإذا ما اشتعلت الحرب بينهما فإن قوة الثوار سوف تضعف ان لم تتلاشى . طالب رولنسون السادوزاي بنصرة شجاع الملك الذي أجبره الثوار على حد قوله على الخشوع لسيطرتهم وحثهم لنصرته باعتباره أحد أبنائهم[٣] ولكن السادوزاي كانوا يشعرون

---

(١) انظر مذكرة الجنرال نوت الى السكرتير الحربي لقندهار .

Kaye, J.: F.A. war v.3 p.137.

(2) Ibid. p.138.

(3) Ferrier, John Philip: Afghanistan p.378.

بكراهية نحو شجاع الملك نتيجة نظام الضرائب المتعسف الذي فرضه عليهم ، وحرمانهم من الإمتيازات التي تتمتع بها الأسر المالكة بالإضافة الى معاملة شجاع الملك السيئة لزعماء السادوزاي الذين ثاروا ضده في أواخر ١٨٤٠ كما رأينا في الفصل السابق .

ولما فشلت سياسة رولنسون في إشعال نار العصبية القبلية[١] تحرك سريعاً لمواجهة خطر الأفغان فعمل على توطيد إقدامه داخل قندهار فأصدر أمراً في ٣ مارس يقضي بإخراج جميع الأفغان من داخل المدينة ما عدا بعض التجار المسالمين ، واستمرت عملية الطرد حتى ٦ مارس حيث تم إخراج ما يقارب من ألف أسرة تراوح عددها من ٥ : ٦ آلاف نسمة[٢]. وفي ٧ مارس خرج الجنرال نوت لمواجهة الثوار الأفغان بقيادة صوفتر جانج Sufter Jung - إبن شجاع الملك الذي انضم الى صفوف الثوار ضد أبيه شجاع الملك بعد أن أغلق جميع بوابات المدينة ما عدا بوابة حيرات وجزءاً من بوابة شيكاربو وحمل معهن جميع المدافع وضمت صفوفه الجزء الأعظم من القوات البريطانية في المدينة . إزاء تلك القوات الضخمة تراجع الثوار الأفغان ، وطاردهم نوت حتى نهر أرغنداب . تجمع الأفغان في ٩ مارس على المرتفعات المطلّة على نهر أرغنداب ،[٣]وأخذوا يقذفون البريطانيين بنيرانهم . قررت القيادة القيام بحركة التفاف من حول المرتفعات فتقدم الكابتن وايت White على رأس كتيبتين من المشاة من على يمين المرتفعات واللفتنانت ويكفيلد Wakefield من على شمالها ، وتمكّنا بالفعل من دحر الثوار[٤]. عاد الثوار إلى الظهور مرة أخرى في ١٠ مارس وتمكنوا من الإستيلاء على مدينة قندهار القديمة ثم اتجهوا نحو مدينة قندهار الجديدة وأشعلوا النار في بوابة حيرات ، وبالرغم من النيران القوية التي

---

(1) Kaye, j.: First. A. war. v.3 p.147 - 8.

(2) Ibid.p.149.

(3) Hansard's: p. Debates. v.66 p.963.

(4) Kaye, J.: F.A. war. v. 3 p.151.

كانت تصبها مدافع الحامية والتحصينات البريطانية إلا أن الثوار واصلوا الزحف بل واندفعوا بقوة عبر البوابة وهم يرددون الأناشيد الحماسية الدينية (وصاح بعضهم مطالباً الأمير تيمور بالإنضمام اليهم) .

بعد هذا النجاح تراجع الثوار من تلقاء أنفسهم خارج المدينة دون سبب واضح[1] وبدأ الثوار الأفغان من قبيلة السادوزاي الذين تمركزوا في كيلاتشوك يشنون غاراتهم على القوات البريطانية وفي ٢٥ مارس اشتبكوا مع قوة بريطانية بقيادة الكولونيل ويمبر وكبدّوه خسائر فادحة اضطر بعدها الى طلب النجدة من قندهار تقدم الجنرال نوت على رأس التعزيزات ولكن السادوزاي انسحبوا قبل وصول نوت[2] .

الموقف في غزنة :

بعد الانتصارات التي أحرزها الثوار في كابل أرسلوا المبعوثين من قبلهم الى مختلف مقاطعات أفغانستان لإثارة سكان تلك الجهات ضد البريطانيين فأرسلوا شمس الدين خان الى غزنة . وحينما سمع الوطنيون بقدوم رسول الثوار شددوا ضرباتهم على البريطانيين في غزنة ، فأغلقت الحامية التي بلغ تعدادها ٤٠٠ جندي أبواب القلعة على نفسها بعد أن طردت الأفغان الذين كانوا بداخلها وتمكن الثوار من دخول القلعة ودار اشتباك عنيف مع قوات الإحتلال البريطانية دام ٤ أيام انتصر فيها الأفغان وأسرع الجنود البريطانيين الى بالاحصار (غزنة) محتمين فيها.

أرسل الثوار الأفغان الى القائد البريطاني طالبوه بالإنسحاب الى الهند دون اعتراض منهم وإلا فإنهم سيفجرون القلعة . طلب القائد البريطاني إرسال مذكرة بهذا الشأن الى القيادة في جلال أباد على أن يتوقف إطلاق النار بين الجانبين حتى يتلقى الرد من قيادته ، وأن يدفع مقابل ذلك ألف جنيه

---

(1) Ibid. p.153.

(2) Ibid. p. 156 - 63.

استرليني . . تسلم شمس الدين المذكرة من قائد الحامية وبدلاً من إرسالها إلى جلال أباد قام بتسليمها بنفسه الى الزعماء في كابل وتأخرت عودته لغزنة بسبب سقوط الجليد[1] ولما عاد الى المدينة فوّضه سكانها بعقد تسوية مع الحامية البريطانية . انتشرت في هذا الوقت المجاعة بين جنود الحامية البريطانية فكانوا يتناولون غذاء الخيول . أما بالنسبة للمياه فكانوا يذيبون الجليد للحصول عليها . أرسل شمس الدين خان الى قائد الحامية أمراً من شجاع الملك يقضي بإخلاء الإنجليز لغزنة والإنسحاب الى الهند . وكان شجاع الملك تحت ضغط الزعماء الأفغان يرسل الأوامر الى القوات الإنجليزية يطالبهم بترك البلاد إلا أنه في الوقت نفسه كان يرسل رسائل أخرى مع نفر من اتباعه الى القواد الإنجليز يخبرهم أنه مضطر الى ذلك ولا يعني أنه يحقد على الإنجليز أو يرغب في مغادرتهم البلاد .

أصر بالمير Palmer قائد حامية غزنة على رؤية أمر شجاع الملك واعتبر شمس الدين خان أن هذه حيلة سياسية فصمم على القبض على أفراد الحامية وسلبهم ممتلكاتهم[2] وبالفعل استطاع الأفغان في ٦ مارس دخول بالاحصار في غزنة[3] وسلم الكولونيل بالمير ٣٠ ألف جنيه استرليني وكل مخازن بالاحصار لشمس الدين خان وحينها وجد ثوّار غزنة أنهم لم يغنموا شيئاً انقضوا على أفراد الحامية وسلبوهم ممتلكاتهم وساقوا العديد منهم الى بيوتهم واستخدموهم في للعمل في الحقول وتنظيف الإسطبلات ، وسلم بعض الضباط الإنجليز أنفسهم الى شمس الدين خان خوفاً من انتقام الثوار منهم . بدأ شمس الدين في تنظيم ادارة غزنة والمناطق المجاورة لها[4] استعداداً لمواجهة قوات الإنقاذ البريطانية التي قدمت إلى أفغانستان بقيادة الجنرال بولاك .

---

(1) Kohzad, Ahmed: In the Nighlight of modrn Afghanistan p.72.

(2) Ibid. p.73.

(3) Farlane, M. Hist. of Brit. India. p.556.

(4) Kohzad, Ahmed: In the Nighlight of modern Afghanistane p.74.

الفصل التاسع

حملة الانقاذ والانسحاب النهائي من أفغانستان

١ ـ موقف حكومة شركة الهند الشرقية .
٢ ـ وضع القوات في بشاور .
٣ ـ النبره والحرب الأفغانية .
٤ ـ تقدم بولاك نحو جلال أباد .
٥ ـ تقدم انجلند الى قندهار .
٦ ـ بولاك يعارض الإنسحاب ويصر على التقدم نحو كابل .
٧ ـ الموقف في قندهار .
٨ ـ تراجع نوت .
٩ ـ نوت يسلب ضريح محمد سلطان .
١٠ ـ الأوضاع في كابل .
١١ ـ فتح جانج .
١٢ ـ دخول الإنجليز كابل .
١٣ ـ إعلان سيملا . اكتوبر ١٨٤٢ .
١٤ ـ انسحاب القوات البريطانية من أفغانستان .
١٥ ـ أسباب فشل الحرب الأفغانية .
١٦ ـ نتائج الحرب .

موقف حكومة شركة الهند الشرقية :

حينما وصلت أنباء الكارثة التي حلّت بالقوات البريطانية المنسحبة من كابل الى أوكلاند الحاكم العام للهند ، شعر بخيبة أمل وكان يفزع من إتخاذ أية إجراءات عسكرية جديدة لإعادة الإستقرار البريطاني في أفغانستان[1] رغم الطلبات العاجلة التي كانت تبعثها قيادة كابل ، ففي أوائل ديسمبر كتب الى جاسبير نيقولس القائد العام للقوات البريطانية في الهند يقول (من الواضح لي أننا لا نفكر في إرسال جيوش جديدة لإعادة غزو ما نحب أن نفقده ، ان الصعوبة لن تكون في القتال وإحراز الإنتصار ولكن في الإمدادات والتحرك والعربات . . . . . . ان القوات في أفغانستان بأعداد كافية ولكن يجب امدادهم بالمزيد ، ولا تستطيع التعزيزات أن تصل في الوقت المناسب وستكون في النهاية كارثة فهي ستزيد فقط في حجم الكارثة)[2]، ومع ذلك فكر أوكلاند في إرسال لواء فقط لنجدة قوات سالي في جلال أباد وإنقاذ ما يمكن إنقاذه والإنسحاب باسهل الطرق وأسرعها ، وقد عكس ذلك في رسالته الى القائد العام بقوله (يجب أن تتحرك سريعاً وتجمع قواتنا في بشاور ، إن قواتنا للنجدة محدودة للغاية وسيعطي تقدمنا الى جلال أباد الأمان لسالي ، ان لواء واحد مع مساندة السيخ سيكون كافياً ، وإزاء ما أصابنا في كابل فاننا لا نستطيع ان نجازف مرة أخرى . . .)[3].

تقدمت القوات المقترح إرسالها لأفغانستان الى بشاور في يناير ١٨٤٢ وبلغ تعدادها ٣ ـ آلاف جندي بقيادة البريجادير ويلد الا أن هذه القوات كانت تنقصها المدفعية[4].

زحف الكولونيل موسلي Mosley على رأس كتيبتين في ١٥ يناير نحو علي

---

(1) The Brit. Mus.:PS. 2096. ADD. 37702.

(٢) رسالة اوكلاند الى القائد العام في ٢ ديسمبر ١٨٤١ انظر المرجع السابق نفس الملف .

(3) The Brit. Mus. :P.S. 2096. ADD. 37706.

(4) Kaye: J.: F.A. war p.34 - 5.

مسجد ، وتمكن من السيطرة على هذا الحصن في اليوم التالي بعد قليل من الصعوبات[1]قرر ويلد في ١٩ يناير الإلتحاق بالقوات البريطانية في علي مسجد لتقديم المؤن لها ، إلّا أن السيخ رفضوا التقدم واشتبكوا مع القوات البريطانية وقد جرح خلال الإشتباك البريجاديرويلد[2]. تراجع السيخ الى بشاور إلا أن الجنرال آفيتابل ـ حاكم بشاور ـ أغلق أبواب المدينة في وجه القوات السيخية المتمردة ، وتمكن ويلد من إعادة النظام بين قواته وتحرّك بها إلى علي مسجد ولكن الأفغان ظهروا على المعتدين الأمر الذي أدّى الى إضطراب النظام بين القوات البريطانية التي أخذت في إطلاق النيران دون هدف محدد ، وفشلت نداءات الضباط والبريجادير لحث القوات على التقدم ، في الوقت الذي أخذت فيه المدافع البريطانية تتحطم الواحد تلو الآخر نتيجة قصف الأفغان وأضطرت القوات البريطانية الى التراجع[3].

أما القوات التي كانت موجودة في علي مسجد فقد قرر الكولونيل موسلي في ٢٣ يناير تحت وطأة المناخ القاسي ونقص المؤن إخلاء الحصن والتراجع الى بشاور[4].

وضع القوات في بشاور :

عينت حكومة شركة الهند الشرقية الجنرال بولاك قائداً لقوة الإنقاذ الى أفغانستان ، ووصل بشاور في ٥ فبراير ١٨٤٢ ووجد عدداً كبيراً من لواء ويلد قد أصيب بالملاريا ، كما أن اعداداً كبيرة منهم كانت تخشى التقدم عبر الأراضي الأفغانية . اجتمع بولاك بأفراد اللواء وحثهم على مزيد من الجرأة والإقدام ، وفي نفس الوقت كانت رسائل سالي وماك جريجور تطالبهم بالتقدم السريع[5]، ولم يستطع بولاك التحرك فمحاولات لورانس للحصول على مساعدة القوات

(1) Ibid. p.37.

(2) Sykes, p.: Hist. of Persia. v.2 p.39.

(3) Kaye, J.: F.A. war v.3 p.39 - 40.

(4) Walker, Philip: Afghanistan p.43.

(5) Hansard's: p. Debates. v.66 p.959.

السيخية في بشاور قد فشلت[1] بالرغم من الإجتماعات التي عندها مع غولاب سينغ - أمير السيخ - الذي وصل بشاور في ١٤ فبراير ، وكتب لورانس الى حكومة الهند يقول «انني اعترف ليس عندي احتمال لأي مساعدة من القوات السيخية »[2] ولذلك تقرر إرسال كليرك Clerk - المندوب البريطاني في بشاور الى طلب المعونة من حكومة السيخ ووصل في ٢ مارس أمرتور Umritsur[3] وفي ٥ مارس عقد اجتماع بين كليرك ودهيان سينغ Dhyan Singh - زعيم السيخ - وطالب كليرك مساعدة السيخ من أجل إنقاذ لواء سالي، وأجاب المهراجا أن السيخ يرغبون في مساعدة الحكومة البريطانية ولكن ذلك الأمر يتطلب تفكيراً ، إلا أن كليرك كان يرى ان الأمر لا يحتاج إلى دراسة فهي مسألة حياة أو موت للحامية في جلال أباد[4] ولكن دهيان أوضح لكليرك أنه ما دام الأمر كذلك فلماذا لم ترسل بريطانيا قواتها لإنقاذ حاميتها وانتهى الإجتماع على أن يرسل المهراجا تعليمات الى غولاب سينغ في بشاور للتعاون السريع والثابت مع الجنرال بولاك ، وقد اتخذ أمير السيخ هذا القرار حتى يتجنب عداء بريطانيا ولكن السيخ لم يثبتوا حسن نيتهم وإخلاصهم وتعاونهم مع بريطانيا[5] .

النبرة والحرب الأفغانية :

وصل النبرة - الحاكم الجديد للهند - كلكتا في ٢٨ فبراير ١٨٤٢ ، ولم يكن غريباً عن الأوضاع في وسط آسيا ، فقد كان رئيس مجلس إدارة شركة الهند الشرقية منذ عام ١٨٢٨ [6] وكانت وجهة نظره ان الحكومة البريطانية ليست مجبرة لأن تخاطر بجيوشها لدعم معاهدة يونيو ١٨٣٨ [7] وطالب الجميع بأن يمنحوه

(1) Kaye, J.:F.A. war v.3 p.75. (2) Ibid. p.76.

(3) Ibid. p.78.

(4) Ibid. p.18.

(5) Kaye, J.: F.A. war v.3 p.81.

(6) Mersey, viscount: The vicevoys and Gov. Generals of India. 1757 - 1947. p.43.

(٧) عقدت هذه المعاهدة بين شجاع الملك ورانجيت سينغ وحكومة شركة الهند . الشرقية ، راجع الفصل الرابع .

التأييد من اجل إنقاذ الهند ، ولكن النبرة لم يكن حازماً في قراراته بل كان في كثير من الأحيان متردداً . أوضح النبرة المهمة التي تقوم بها قوات الانقاذ في رسالته الى القائد العام في ١٥ مارس ١٨٤٢ حين قال « لقد واجهنا عداء عام من قبل شعب افغانستان واتخذ عدائهم لنا الطابع الديني الى جانب الطابع الوطني ، ان مما يجب اتخاذه يعتمد في المكانة الأولى على سلامة أفراد الحامية . . . وأخيراً الى إعادة سمعتنا العسكرية عن طريق تسديد بعض الضربات البارزة والحاسمة الى الأفغانيين والتي تظهر لهم ، ولرعايانا ، ولحلفائنا أننا نملك القدرة على توجيه العقوبة لأولئك الذين يرتكبون أعمالاً وحشية ، وأننا سننسحب أخيراً من أفغانستان ليس لنقص في وسائل المحافظة على مواقعنا ولكن لاقتناعنا بأن الملك الذي أجلسناه ليس لديه ـ كما تصورنا على نحو خاطىء ـ تأييد الأمة التي سوف يحكمها (يقصد بذلك شجاع الملك) . . »[1] .

تقدم بولاك نحو جلال أباد :

وصلت قوة الانقاذ بشاور في ٢٩ مارس وكانت تتكون من قوات سيخية وبريطانية الى جانب لواء ويلد الذي كان في بشاور من قبل ، ووضع بولاك ترتيبات دخول ممر خيبر اذ عقد اتفاقية مع قبائل الفريدي تقضي ببقاء ممر خيبر مفتوحاً نظير مبلغ من المال ولكن ظهور محمد أكبر خان بالقرب من علي مسجد دفع قبائل الفريدي الى نقض الاتفاقية[2] . وصل بولاك جوم رود في ٤ ابريل وواصل سيره الى ممر خيبر في الصباح التالي[3] . وبالرغم من الأمطار الشديدة وتأخر قوات السيخ وهروب العديد من الجنود من صف ويلد وعدم وجود العربات الكافية لنقل الذخيرة زحف بولاك الى ممر خيبر حيث أقام أهل المنطقة حاجزاً قوياً من الحجارة الكبيرة وفروع الأشجار الضخمة[4] إلا أنهم لم يبذلوا

---

(١) رسالة النبرة الى القائد العام في ١ مارس انظر :

Sykes, p.: Hist. of Afghanistan v.2 p. 39 - 40.

(2) Kaye, j.: F.A. war v.3 p.84.

(3) Walker, Philip : Afghanistan p.43.

(4) Kaye, J.: F.A. war v.3 p.88.

الثوار الأفغان قاموا بالهجوم عليها وكبدوها خسائر في الأرواح(1) .

تقدمت بقية القوات بعد ذلك الى ممر خيبر في ٥ ابريل بعد أن صعدت بعض القوات لتطهير المرتفعات من القبائل الأفغانية . سلكت القوات السيخية درباً آخر غير الذي سلكه بولاك ولاقت في طريقها الى علي مسجد بعض المقاومة من جانب رجال القبائل ، ولما كان بولاك يشك في إخلاص السيخ له فقد عسكر في علي مسجد بعيداً عن القوات السيخية(2) . وفي ٨ ابريل تقدم بولاك نحو لوندي Lundi التي تبعد عن علي مسجد بعشرة أميال ، وفي ١٨ أبريل وصل الى جلال أباد وأطلقت المدفعية البريطانية في المدينة ١٧ طلقة تحية له(3) أما القوات السيخية فقد بقيت في علي مسجد حتى أوائل مايو ثم رجعت ثانية الى جوم رود دون مواصلة السير الى كابل(4) .

تقدم انجلند الى قندهار :

تقرر زحف البريجادير انجلند England لتعزيز قوات نوت في قندهار عن طريق الجبهة الغربية . تقدم انجلند من دادور في ٧ مارس وكان من المقرر أن يصل الى كويتا في نهاية الشهر على ان يترك فيها جزءاً من قواته ويواصل الجزء الباقي التحرك لمساندة نوت في قندهار(5) . وفي ٢٨ مارس وصل الى قرية هيكلزاي بالقرب من ممر بولان ، وكان انجلند يجهل طبيعة البلاد وتحركات الثوار الذين تمركزوا بقيادة محمد صادق خان على مرتفعات هيكلزاي ولم يرسل نوت مساعدة لانجلند تمكّنه من اجتياز الممر . تقدم انجلند وألقى بقذائفه على الثوار الذين خاضوا وبشجاعة حرباً عنيفة ضده وكبّدوه ما يقرب من مئة قتيل وجريح(6) ، وكتب من معسكره الذي يبعد ١٣ ميلاً غربي هيكلزاي الى

(1) Ibid. p.90.

(2) Ibid. p.91.

(3) Sykes, p.: Hist. of Afghanistan. v.2 p.46.

(4) Farlane, M.: Hist. of Brit. India p.558.

(5) Sykes, p. Hist. of Afghanistan v.2 p.47.

(6) Kaye, J.:F.A. war v.3 p.168.

(1) Ibid. p.170 - 2.

هـامرسكي Hammrsky ـ سكـرتـير الكـولـونيـل مـارشـال Marshall الحـربي يقول . . «عزيزي هامرسكي ، اريد ان تخبر الكولونيل مارشال أنه لما كـان الثوار قد عززوا أنفسهم كثيراً من قندهار ولم يحموا أنفسهم بالمتاريس بسبب كشفهم لنا عـلى هذا الجـانب فانني سـأتراجـع الى هيكلزاي فوجـودي هنا لا فـائـدة منـه ، وسيجلب لي إهاناتهم ، ومن المحتمل إذا لم يكن الموقع في هيكلزاي حسناً ، لأنه يوجد بها أراض رملية ناعمة في المؤخـرة فسأتـراجع الى كتشـلاك فعندي الكثـير الكثير من القتلى والجرحى بفعل الأعداء وزادت امتعتي ، في حين وسائـلي للدفاع عنهـا نقصت . إذا ما كان الكـولونيـل عن طريق معـرفتك يعتقـد ان ممر كتشـلاك قد احتل ، أرجو أن يقـوم بالعمـل للاحتفـاظ الممر مفتـوحاً فـالعدو أقـوى مما كـان يتوقعه أحد ولذلك سأنتظر التعزيزات حتى أحاول التقدم مرة اخرى . . . »(١) .

وفي ٢٨ أبريل وبعد انقضاء شهر كامـل لهزيمتـه أمام الثـوار في هيكلزاي ، تحرك انجلنـد بعد ان وصلت اليـه التعزيـزات ، كان الثـوار متحمسين لانتصـارهم . قسمت القوات البريطانية الى ثلاثة أقسام الأول بقيادة الميجور سيمون Simmon وكان عليه اقتحام المرتفعات من الجهة الشمـالية ، الثـاني بقيادة الكـابتن ودبيرن وكان عليه مهاجمة المرتفعات من الجهة اليمنى حيث كانت نكسـة الشهر المـاضي أما القسم الثالث الذي تولى قيـادته بـراون Browne فهو قـوة احتياطيـة . وفي صبـاح ٣٠ ابريـل دخلت قوات انجلنـد ممر كـوجـك(٢) بعـد ان دحـرت قـوات الثـوار ، ولكن انجلند قـرر التوقف في حـين حثه الضـابط السياسي الكـولونيـل ستاكي Stacy على التحرك(٣). وفي هذه الأثناء وصلت قوة المسـاندة التي كـان نـوت قد بعث بهـا لانجلند من قنـدهـار وعبـر ممـر كـوجـك ودخـل المـدينـة في ١٠ مايو(٤) .

بولاك يعارض الانسحاب ويصر على التقدم :

اصـدر النبرة في ٢٨ أبـريـل أمـراً الى بـولاك يقضي بسحب كـل جنـدي

(1) Ibid. p.174.
(2) Ibid. p.179.
(3) Ibid. p.180.
(4) Doodwell : The camb. Hist . of Brit. India v.5 p.515.

بريطاني في أفغانستان الى بشاور ، ولكنه سمح بتأخير الإنسحاب إذا ما كانت هناك مفاوضات لإطلاق سراح الأسرى البريطانيين أو مهاجمة الأفغان لهم ، وقال لبولاك صراحة « ان الظرف الوحيد الذي أسمح لك به في التأخير هو إذا ما كانت هناك مفاوضات من أجل إطلاق سراح الأسرى البريطانيين أو إرسال قوات لفك أسرهم ، وإذا كان العدو في كابل يقوم بالتحرك لمهاجمتكم . . »[1] .

كان هذا القرار مصدر دهشة للقادة العسكريين البريطانيين في أفغانستان فاعتبره بولاك غير حكيم وأرسل له في ١٣ مايو يقول « أما بالنسبة لانسحابنا من كابل في هذا الوقت ، أخشى أن تترك أثراً سيئاً وتؤدي في النهاية الى هزيمة وبالتالي ، فان شخصيتنا كأمة قوية ستفقد في هذا الجزء من العالم . . . » وطالب بولاك النبرة بأن يسمح لنوت بالانضمام اليه ثم يسيران الى كابل لأنه يخشى اذا ما تقدم وحده أن يلقى مقاومة عنيفة من الأفغان[2] كما أرسل انجلند الى النبرة يحيطه علماً بأن الرجال الذين انتصروا على الأفغان لا يرغبون في الإنسحاب ويتركوا السيدات والأطفال الأبرياء في أيدي الأفغان[3] . إزاء هذا الوضع اضطر النبرة الى تغيير آرائه ووافق بولاك في وجهات نظره[4] .

من الأسباب التي أدّت الى عدم تقدم بولاك على الفور الى كابل هو نقص ما عنده من العربات ، ومع نهاية يوليو كانت معه العربات اللازمة لزحفه[5] . ولقد تعرض بولاك أثناء توقفه في جلال أباد لهجمات القوات الأفغانية التي سلبته جزءاً من ماله وعتاده فأرسل قوة في منتصف يونيو الى وادي شينواري Shinwaree واقتحمت هذه القوة قرية علي بوغان Ali Boghan وأطلقت النار على سكانها وسلبتهم ممتلكاتهم[1] وواصلت القوة البريطانية الزحف الى قرية ده سوروك Deh Surruck على أمل استعادة أحد المدافع التي سلبها الأفغان منهم وفي ٢٠ يونيو نصبت المدافع البريطانية على المرتفعات المطلّة على

(1) Sykes, p.; Hist. of Afghanistan v.2 p.47.

(2) Ibid. p.48.

(3) Kaye, J.: F.A. warv.3 P.284.

(4) Symes, p.: Hist. of Afghanistan v.2 p.48.

(5) Doodwell . The camb . Hist. of Brit. India v.5. p.518.

(6) Kaye, J.: F.A. war v.3 p.290.

القرية[1] وبدأت تقصف منازلها واضطر زعماء القرية إزاء هذا التهديد الخطير الى تسليم المدفع ودفع ما يعادل ألف جنيه استرليني ، وسلبت القوات البريطانية سكان وادي شينواري كميات كبيرة من القمح ، وعادت الى جلال أباد في ١٣ أغسطس [2].

بعد وصول العربات الى بولاك بدأ في الاعداد للتقدم الى كابل وفي ٢٠ أغسطس تحرك من جلال أباد في اتجاه العاصمة[3]. في هذه الأثناء تمركز الأفغان في قرية ماموخايل Mammokhail على بعد ميلين من جندامـاك لقطع الطريق بولاك ، وفي ٢٤ أغسطس كان بولاك بالقرب من ماموخائيل ولم يبذل الأفغان معارضة قوية بل انسحبوا الى قرية قوشلي خايل. Koochlee K وتجمعوا على التلال المحيطة بها وهاجموا الإنجليز الا ان ميمنة وميسرة بولاك ردتا الهجوم الأفغاني وتراجع الثوار في اتجاه كابل[4] ودمرت القوات البريطانية كلتا القريتين تدميراً تاماً وعاد بولاك الى جندامـاك[5] وفي اوائل سبتمبر استقبل فتح جانج ـ الذي تولى العرش بعد حادث اغتيال ابيه شجاع الملك على يدي شجاع الدولة بن نواب زمان[6] ظل بولاك في جنداماك حتى ٧ سبتمبر وهو يجمع قواته المتفرقة التي أرسلها لمواجهة القبائل الأفغانية الثائرة[7] ثم بدأ في صباح نفس اليوم السير نحو كابل وفي ٨ مارس اقترب من ممر جاجلاك[8] ولكنه وجد ان الأفغان قد احتلوا مرتفعات الممر وبدأوا في توجيه نيرانهم لقواته . بدأت القوات البريطانية في قصف مراكز تجمع الأفغان بالمدافع الا أن الثوار من قبائل الغيلزاي صمدوا في مواقعهم فاستخدم البريطانيون مدافع أكثر فعالية (هاوتزر) ، وظل الأفغان متمسكين بأماكنهم فاضطرت القيادة البريطانية الى دفع مشاتها لمواجهة الثوار[9]، وخاض الأفغان حرباً عنيفة ضد البريطانيين الا

---

(1) Ibid. p.292.

(2) Sykes, p.: Hist. of Afghanistan v.2 p.49.

(3) Kaye, J.: F.A. war v.3 p.298.

(4) Hansard's: p. Dehates. v.64. p.966.

(5) Kaye, J.: F.A. war v.3 p.290.

(6) Kaye, J.: F.A. war v.3 p.303.

(5) Sykes, p. :Hist. of Afghanistan v.2 p.50.

(6) Kaye, j.: F F.A. war v.3 p.304.

انهم تقهقروا في النهاية لعجزهم بأسلحتهم التقليدية والخفيفة عن مواجهة أسلحة البريطانيين الحديثة . حاول البريطانيون تعقب الأفغان الا انهم فشلوا في ذلك لوعورة الأرض. تجمع الأفغان على المرتفعات المقابلة وأثار ذلك قلق بولاك[١]فأرسل قوات ضخمة تحت غطاء من قصف المدافع فاضطر الثوار الى التخلي عن مراكزهم . وفي ١١ سبتمبر وصل بولاك الى مشارف تزين وسط غارات الثوار الأفغان ولذلك قرر بولاك وقف تقدم القوات في ١٢ سبتمبر .

في هذه الأثناء وجد محمد أكبر خان ان الخطر البريطاني قد اقترب منه ويجب التحرك السريع لمواجهته ، فأرسل الرهائن الانجليز الى هندوكوش بعيداً عن كابل وأخذ يعد العدة لمواجهة البريطانيين[٢]، فتحرك بقواته في ٦ سبتمبر الى بيجرامي Begramee التي تبعد ٦ أميال عن بالاحصار (كابل) ، وعقد اجتماعاً مع عدد من الزعماء الأفغان وتقرر إرسال الكابتن تروب Troup ـ أحد الرهائن الانجليز ـ الى بولاك وحمل معه موافقة محمد أكبر خان والزعماء الأفغان على شروط البريطانيين نظير ان ترجيء تلك القوات زحفها نحو العاصمة . الا أن هذه المحاولة فشلت وأصبحت الحرب الطريق الوحيد أمام محمد أكبر خان فتقدم بجميع قواته لمواجهة زحف الجنرال بولاك عبر ممر بوتخاك[٣]وتقابلت القوات البريطانية والأفغانية في وادي تزين ، وكان الأفغان قد احتلوا مرتفعات هذا الوادي فأرسلت القوات البريطانية مشاتها لدحر الأفغان [٤] ودارت اشتباكات عنيفة بين الطرفين مما اضطر الأفغان الى التراجع ، الا أنهم حصنوا أنفسهم خلف الصخور وبدأوا يقذفون القوات البريطانية بوابل من نيرانهم[١]واضطرت المدفعية البريطانية الى قصف جميع المرتفعات بقذائفها[٢].

وجد محمد أكبر خان ان الكفة في جانب البريطانيين فقرر الهروب الى وادي بيجرامى Begramee ، وبذلك فقدت الثورة اكبر قوادها وأصبح الطريق الى كابل مفتوحاًأمامبولاك حيث وصلها في ١٥ سبتمبر[٣].

---

(1) Kaye, J. :F.A. war v.3 p.306.

(2) Ibid. p.307.

(3) Sykes, p.: Hist of Afghanistan v.2 p.50.

(5) Kaye, J.: F.A. war v.3 p.309.

(6) Ibid. p.310.

(3) Ibid. p.316.

الموقف في قندهار :

كانت تعليمات النبرة لنوت في ١٩ ابريل تقضي بسحب حامية كيلات غيلزاي وتحطيم جميع المدافع التي لا يستطيع إحضارها معه وتسليم قلعة قندهار بعد تحطيم أسوارها الى الأمير تيمور بن شجاع الملك اذا كان لا يزال على إخلاصه للبريطانيين ، بالاضافة الى سرعة الانسحاب وقد اضطر النبرة ، كما سبق القول الى تغيير رأيه أمام إصرار قادة القوات البريطانية في أفغانستان .

تحرك ويمر في ١٩ مايو نحو كيلات غيلزاي لتحطيم تحصينات القلعة وإطلاق سراح الأسرى الإنجليز ـ وقد رأينا كيف تمكن شمس الدين خان من القاء القبض على عدد من الجنود البريطانيين الذين كانوا متمركزين في كالات غيلزاي[١] ـ وتمكن بالفعل من تحطيم قلعة كيلات غيلزاي في ٢١ مايو[٢]. بدأ الأفغان يفكرون في الإغارة على قندهار ولقد أحسنوا اختيار وقت هجومهم ، فقد انتهزوا فرصة غياب فرقة ويمر في كيلات غيلزاي وفرقة الفرسان التي ذهبت الى ممر كوجك لإحضار العربات[٣] وبدأوا يتحرشون بالقوات البريطانية في قندهار واستولوا على الماشية وكان تعدادهم يزداد مع مرور الوقت وخرج الكولونيل ستاكي لمواجهة الثوار إلا أن الأفغان أجبروه على التراجع واحتلوا المرتفعات التي تقع غرب الثكنات[٤]، وبدأوا يطلقون نيرانهم على القوات البريطانية فاضطر نوت الى الخروج لمواجهة الثوار تحت غطاء المدفعية واقتحم المرتفعات وتقهقر الأفغان الى ممر بابا والي[٥] وأقاموا المتاريس والستائر الدفاعية وبدلاً من استخدامها لحماية أنفسهم خلفها وقفوا في مقدمة تلك الستائر لأنهم كانوا يعتقدون بأن القوات البريطانية ضعيفة جداً ولا تقوى على القتال خارج

---

(١) Allen, J.N. :Diary of a march through Scinde and Afghanistan p.190.

(٢) Kaye, j. :F.A. war v.3 p.315.

(٣) Ibid. p.316.

(٤) Ibid. p.317.

الأسوار[1]. تراجع نوت الى ثكناته دون الدخول في اشتباك حاسم على الأفغان .

عقد الزعماء الأفغان اجتماعاً في ٣٠ مايو ودارت خلاله مناقشات عاصفة وكانت المشكلة التي عرضت على بساط البحث هي هل يبقى الثوار في قندهار لمقاومة القوات الأجنبية ؟ لم يذهبوا الى كابل ويتابعون الأحداث عن كثب في العاصمة ؟ واستقر الرأي أخيراً على الذهاب الى كابل[2]. وهكذا لم تواجه قوات الاحتلال أية صعوبة تذكر من جانب الأفغان حتى تقهقرها من المدينة .

تراجع نوت :

بدأ نوت الإنسحاب من قندهار في شهر اغسطس ووصل في ٢٧ من نفس الشهر الى موكور بعد ان قطع ١٩٠ ميلاً لم تطلق قواته خلالها أية طلقة ، ولقد حاول شمس الدين خان حاكم غزنة أن يحرض القبائل الأفغانية التي تقطن بين غزنة وقندهار على مهاجمة القوات البريطانية الا أنه لم يتلق ردوداً إيجابية فتراجع الى المنطقة المجاورة لأويا واجتمع بزعمائها وأثار عاطفتهم الوطنية والدينية ضد المحتلين[3]. ولقد استجاب زعماء تلك المنطقة لنداء شمس الدين خان فهاجم الثوار مؤخرة القوات البريطانية في موكور ، وبالرغم من تعرض الفرسان البريطانيين للمهاجمين ، الا أن الأفغان شنوا غارة أخرى وألحقوا بالقوات المنسحبة خسائر فادحة ، وانقضت بعض مجموعات منهم على المعسكر البريطاني وسلبوه بعض الأمتعة والذخائر[4] ولذلك قرر نوت الخروج لمواجهة الأفغان بنفسه . وكان شمس الدين خان قد تمكن من جذب الغيلزاي الى صفوفه عن طريق تقديم رؤوس ثلاث ضباط انجليز أو ادعى أن رأس نوت احدى الرؤوس

---

(1) Ibid. p.318.

(2) Ibid. p.319.

(3) Ibid. p.326.

(4) Ibid. p.328.

الثلاث[1]. تقدم نـوت الى القرى المجـاورة على أمـل العثور عـلى بعض الأمتعة المسلوبة الا أن الأفغان اطلقوا النار على رجاله ، فقام البريطانيون بعمل انتقامي وذبحوا ما يقارب مئة من الأفغـان[2]جمع شمس الـدين خان اتبـاعه ووقف يمـين معسكر نوت ، وكان الاعتقاد السـائد بـأن شمس الدين سـوف يهاجم القـوات البريطانيـة في بدايـة سيرهـا. تقدم نـوت الى غويـاني Ghoaine ، وسار شمس الدين خان في خط مواز له ، وكان اتباعه يزدادون كل لحظة وبلغ تعدادهم حتى ظهر ٣٠ سبتمبر ١٠ آلاف مقاتل[3]. ولما كان الطريق الذي قطعه نوت قد انهك قوى جنوده قرر التوقف بضع ساعات حتى يستعيدوا نشاطهم وحيويتهم . تمركز الأفغان في قلعة الى الشرق من المعسكر البريطاني[4]عزم نوت عـلى مهاجمـة تلك القلعة في الساعة الثالثة من ظهر نفس اليوم . أعد شمس الـدين خان تـرتيبات مواجهة نوت فوضع مدافعه على المرتفعات القريبة من المعسكر البريطاني وبدأت قواته بـإطلاق نيـرانها على البـريطانيـين وأجبرتهم عـلى التراجـع[5]، وأعاد نـوت المحاولة مرة أخرى وسلك طريقاً آخر يمين القلعـة التي كان يتمـركز فيهـا شمس الدين خان . وكانت تعززه قوات الفرسان والمدفعية ، وتحرك شمس الدين خان على الجانب المقابل لتقدم القوات البريطانية وأمطرها بوابل من نيرانـه مما اضـطر نوت الى التراجـع للمرة الثـانية وسـار نوت للمـرة الثالثـة في صف واحد تعـززه المـدفعية وتمكن في هـذه المرة من إقتحـام تمركـز الأفغان رغم نيـرانهم التي كانت موجهة عليه .

بعـد درء خطر شمس الـدين خان استـأنف نوت سيـره نحو غـزنة حيث وصلها في ٥ سبتمبر . وفي هذا الوقت وصلت تعزيزات أفغانية من كـابل بقيـادة جـان خان واستـطاع شمس الدين خـان بهذه التعـزيزات الاستيـلاء على بعض

(1) Sykes, p. :Hist. of Afghanistan v.2 p.51.

(2) Kaye, J.: F.A. war v.3 p.329.

(3) Ibid. p.331.

(4) Sykes, P.: Hist. of Afghanistan v.2 p.51.

(5) Kaye, J.: F.A. war v.3 p.332.

المـرتفعات في شمـال شرقي المعسكـر البريـطاني في غزنـة . قـرر نـوت تنـظيف المرتفعات المجاورة للمعسكر من بقايا المقاومة الأفغانية[1] ويبـدو أنه لم يتمكن من اكتشـاف موقـع شمس الدين خـان وبعد لحـظات من رجـوعـه قـذف المعسكـر البريطاني بـ ١٤ قذيفة[2]. قـرر نوت نقـل معسكره الى مكـان آخر بـالقرب من قرية روزا التي تبعد بميلين عن غزنة وانتهز الأفغان هذه الفرصة وألحقوا بالقوات الأجنبية بعض الخسائر[3].

نوت يسلب ضريح محمد سلطان :

طلب النبرة من نوت سلب ضريح محمد سلطان وقال لـه « يجب ان تنزع من ضريح محمد سلطان في القلعة هراوته المدلاه فوقه ، وأن تخلع بـوابة ضـريحه التي كـانت بوابـة معبـد سـومنـاتـا Somnauth [4]. نفـذ نـوت هـذه المهمـة في ٨ سبتمبـر وسط بكاء الأفغـان وسخط علماء الدين[5]، واصـل نوت بعـد ذلـك زحفه نحو كابل ولكن شمس الـدين خان وجـان خان اعتـرضـا طـريقه في ممـر ميـدان Mydan في ١٣ سبتمبر واستـطاعا إلحاق بعـض الخسائـر بنوت . الا أن الهزيمة التي لحقت بمحمد أكبر خان في تزين هبطت من عزم شمس الـدين خان فتراجع الى أرغنداب على بعد عدة اميال من العاصمـة . وفي ١٧ سبتمبر وصـل نوت الى مشارف كابل[6].

الأوضاع في كابل :

رأيت كيف تطورت الأمور في كـابل ، وكيف تـولى شجاع الملك العـرش

---

(1) Ibid. p.333.

(2) Sykes, p.: Hist. of Afghanistan v.2 p.52.

(3) Kaye, j.: F.A. war v.3 p.333.

(٤) قام الأفغان قبل هذا التاريخ بثمانية قرون بالهجوم على معبد سومنـاتا الهنـدوسي وسلبوه هـذه الأشياء والتي زينوا بها ضريح محمد سلطان .

(5) Kaye, J.: F.A. war v.3 p.337.

(6) Ibid. P.339 - 40.

الأفغاني في حين تولى الزعماء الأفغان السلطة الادارية ، وكان الزعماء يفضلون ذلك اعتقاداً منهم بأنه قادر على ان يجنبهم انتقام القوات البريطانية العائدة الى أفغانستان[١]الا أن العملة بقيت تسك باسم نواب زمان الذي كان الثوار قد نصبوه على العرش وبعد المفاوضات بين الزعماء والملك قبل نواب زمان منصب الوزير وعين أمين الله خان نائباً له . وبالرغم من تلك التسوية ظل الود مفقوداً بين الملك والثوار ، هذا بينما كان نفوذ محمد أكبر خان يتعاظم فهو ابن دست محمد (ملك البلاد الوطني) الذي نفى بضغط من قوات الاحتلال الى الهند وعاد ابنه ليقود الثورة .

وحينما تقدمت قوات الانقاذ البريطانية عبر ممر خيبر طالب الزعماء الأفغان شجاع الملك بإعلان الحرب ضد (الكفار)[٢]. وكان تنفيذه لرغبتهم تلك مجرد مراءاة ، فرسائله الى كونولي والحاكم العام ووكليرك وماك كريجور أوضحت أنه يعاضد البريطانيين قلباً وقالباً[٣]. وكانت المدينة على النطاق الشعبي قد بدأت استعدادها لمواجهة الزحف المرتقب ، فالحوانيت أغلقت أبوابها وحمل كل رجل سلاحه وجمع كل سردار اتباعه ، في حين كانت أبواب بالاحصار نصف مغلقة .

ثار الباركزاي والسادوزاي على حد السواء ضد شجاع الملك واتهموه بالتواطىء مع البريطانيين[٤]وطالبوه بالإلتحاق بصفوفهم في جلال أباد . ترك شجاع الملك بالاحصار في ٤ أبريل ومعه قوة صغيرة متوجهاً للجيش الذي كان معسكراً بالقرب من بالاحصار[٥]الا أن شجاع الدولة بن نواب زمان خان اغتاله انتقاماً منه لتعاونه مع الانجليز[٦] .

---

(1) Kaye, J.: F.A. war v.3 p.103.

((2)Ibid. p.104.

(٣) نشرجون كي طائفة من هذه الرسائل .

(4) Kaye, J.: F.A. war v.3 p.107.

(5) Sykes, p. :Hist. of Afghanistan v.2 p.45.

(6) Kohzad, Ahmed: In the Nighlight of modern Afghanistan p.125.

فتح جانج :

بدأت فترة من الاضطرابات بعد موت شجاع الملك ففتح جانج ـ حاكم كابل ـ الذي خلف أباه كان ضعيف الشخصية ، قليل الفطنة والحذق ، مخلصاً كل الإخلاص للبريطانيين وكان يخشى الباركزاي[1] فأغلق على نفسه ومعه ما يقرب من ألف من (العرب) أبواب بالاحصار[2] وألقى بثقله على أمين الله خان الذي سانده على الوصول الى العرش .

رفض الباركزاي الاعتراف بفتح جانج ملكاً عليهم وأعادوا نواب زمان خان ـ الملك السابق ـ الى العرش ، وبذلك أصبح في كابل ملكان . وحقيقة ان هذا الإنقسام يرجع الى الأطماع الشخصية وليس الى عصبيات قبلية ، فالسادوزاي لم يقدموا التأييد القبلي الى فتح جانج ، وكان أولى بهؤلاء المتنازعين أن يكونوا يداً واحدة ضد العدو الزاحف عليهم كما حدث في نوفمبر ١٨٤١ .

تحول العداء بين الباركزاي وفتح جانج الى اشتباكات بين الجانبين ، وكان فتح جانج وأمين الله خان أول من بدأ الأعمال العدوانية . وكانت كابل في أول مايو ١٨٤٢ تعيش في اضطراب وفوضى نتيجة الاشتباكات بين الطرفين ولكن رجحت كفة الباركزاي في اليوم التالي ، وحاول امين الله خان تهديد الباركزاي عن طريق القاء القبض على أكبر زعيم ديني في المدينة ولكن سكان المدينة ثاروا ضده وحرقوا بيته وسلبوه ممتلكاته ، وألقوا القبض على اتباعه فاضطر أمين الله خان الى إطلاق سراح ذلك العالم . وتقدم ثوار المدينة وأطلقوا المدافع على بالاحصار .

حتى هذا الوقت كان محمد أكبر خان خارج كابل وفي ٤ مايو تقدم الى

---

(1) Sal, Lady : A Journal of then Disast. R.From Cabul. p.336 - 7.

(2) Ferrier, John Philip: Afghanistan p.364.

مسرح الأحداث فانضم الى جانبه القزلباشي وجموع سكان المدينة[1]وأقام محمد أكبر خان بعض الاستحكامات حول بالاحصار ، ولكن فتح جانج تمكن من إزالة تلك الاستحكامات عن طريق رشوة الحراس . وبدأت الاشتباكات بين محمد أكبر خان وفتح جانج ، واستخدم محمد أكبر خان الكولونيل بوتنجر[2]في تنظيم قواته ضد فتح جانج[3]بدأت جموع الغيلزاي والكوهستانيين وأهالي كابل الهجوم على استحكامات فتح جانج واستولى على بعض منها ، وتخلى حراس فتح جانج وأتباعه عنه وانضموا الى صفوف الباركزاي[1]وسقطت جميع التحصينات المحيطة ببالاحصار وأصبح فتح جانج في حصار تام . وفي هذه الأثناء قام محمد شاه خان زعيم الغيلزاي بمحاولة لحقن الدماء الأفغانية وتقدم لفتح جانج بعدة شروط منها : أن يتولى محمد أكبر خان منصب الوزارة على أن يكون أمين الله خان نائباً له ، تجند جميع القوى الأفغانية لمواجهة الانجليز[2].

أرسل فتح جانج الى ماك كريجور في جلال أباد يطلب إرسال قوات لنجدته وأنه انفق ما لديه من الأموال والفضة لبث روح الفرقة بين الزعماء وما تبقى معه من الأموال لا يكفيه الا لمدة ١٥ يوماً وحذره من سيادة الباركزاي وعدد له مواقف ود وصداقة أسرة شجاع الملك للإنجليز[3]وعندما تأخرت الامدادات البريطانية شعر بعجز عن صد الباركزاي فارتمى في أحضان أمين الله خان الذي عقد اجتماعاً مع محمد شاه وخان ووافقه على مقترحاته السابقة .

---

(1) Kaye, J.: F.A. war v.3 p.265 - 6.

(٢) تولى الكولونيل بوتنجر سلطان المندوب البريطاني بعدوفات ماكناجتين في ٢٣ من ديسمبر ١٨٤١ وعقد أتفاقية الانسحاب من كابول في ديسمبر ١٨٤١ وألقى محمد أكبر خان القبض عليه مع الجنرال الفنستون ، راجع الفصل السادس والسابع .

(3) Kaye, J.: F.A. war v.3 p.268.

(4) Ibid. p.270.

(5) Ibid. p.271.

(٦) خطاب فتح جانج في ١١ مايو الى ماك كريجور انظر المرجع السابق ص ٢٦٩

احتج على ذلك نواب زمان خان وعارض مفاوضة محمد أكبر خان للسادوزاي وصمم على تدمير فتح جانج[1] وهاجم بالاحصار ولكنه رد على اعقابه ، حاول محمد أكبر خان مصالحة زمان خان[2] كما أنه سعى للاجتماع بفتح جانج ، ولكن كبار (العرب) الموجودين في المدينة حرضوا الملك على عدم حضور مثل ذلك الاجتماع الى جانب عدم الثقة المتبادلة بين الاثنين ولم يحضر فتح جانج الاجتماع ، فقام الباركزاي بحصار بالاحصار .

استدعى فتح جانج عثمان خان (وزير أبيه القديم) وطالبه بالوقوف الى جانبه ، ولكن السردار أبدى معارضته ، وانتشر الاعتقاد بين جموع سكان كابل في ان فتح جانج لا يسيطر على كابل الا لخدمة البريطانيين وازداد شعور الكراهية ضده[3] وكتب الى بولاك في أوائل يونيو يقول « الليلة الماضية قام الباركزاي بغارة ، وبثوا الألغام في كل اتجاه ، وأن احوالي حرجة جداً . . وإذا لم تأتوا سريعاً فإنني سأفقد بالاحصار . . . » اذا لم تتقدموا بسرعة وفي خلال أربعة أيام الى جنداماك ، سوف تفقدون كل اسراكم ، وسيتولى الباركزاي على ثروات الشاه الراحل بالاضافة الى بالاحصار والمدفعية . . »[4] وفي اليوم التالي أحضر الباركزاي معدات حربية أرهبت المدافعين وبدا الهندوستانيين والعرب الذين يكونون جزءاً كبيراً من أتباع الشاه يرتعدون خوفاً ، وطالبوا فتح جانج بتسوية الخلاف مع محمد أكبر خان ، وهددوه بفتح أبواب بالاحصار للباركزاي اذا لم يرضخ لطلبهم ولم يكن امامه ما يفعله ، ووافق على دخول الباركزاي بالاحصار .

تقدم محمد أكبر خان ووقف أمام فتح جانج ، وأعلن عن استعداده لأن يكون الخادم الأمين للملك السادوزائي . لم يرض هذا العمل نواب زمان خان

---

(1) Ferrier, John Philip: Afghanistan p.364.

(2) Kaye, J, :F.A. war v.3 p.272.

(3) Ibid. p.273.

(4) Ibid. 3 p.274.

الذي كان لا يرغب في التنازل عن العرش الذي نصب عليه ، وأصبح ينظر بعين الغيرة لقوة محمد أكبر خان النامية[1] وقدم اقتراحاً بتولي محمد أكبر خان بمقتضاه قيادة الجيش وعثمان خان الوزارة . رفض محمد أكبر خان هذا الاقتراح وفشلت محاولة التسوية بين نواب زمان خان ومحمد أكبر خان ، فنشب في ٢١ يونيو نزاعاً بينهما هزم فيه نواب زمان خان وألقى القبض عليه وسلبت ممتلكاته. وفي ٢٩ يونيو اعتلى فتح جانج رسمياً العرش وتولى محمد أكبر خان الوزارة[2] ولم تلبث ان ساءت العلاقة بين الطرفين ، وسلب محمد أكبر خان ممتلكات فتح جانج ووضعه في إحدى القلاع على زاوية بالاحصار[3] .

وحينما سمع القزلباشي عن تقدم القوات البريطانية من جلال أباد رفضوا الإنضمام الى محمد أكبر خان ، بل أن أحدهم قدم المساعدة لهروب فتح جانج الى معسكر بولاك في أول سبتمبر[4] .

دخلو الإنجليز كابل :

بعد فرار محمد اكبر خان تقدم بولاك في ١٥ سبتمبر الى كابل ولم تعترض طريقه أية صعوبات ، وفي ١٦ سبتمبر سار موكبه المنتصر عبر كابل الى بالاحصار حيث رفع العلم البريطاني[5] وأعاد فتح جانج على العرش الأفغاني ، مارس فتح جانج سياسة انتقامية ضد الباركزاي لأنه كان يعتبرهم المنافسين له على العرش[6] ولكنه سرعان ما أدرك ان البريطانيين سوف يغادروا البلاد وبالتالي

---

(1) Ibid. p.275.

(2) Ibid. p.276 - 7.

(3) Ferricr, Jdin Philip: Afghanistan p.365.

(4) Kaye, J,: Hist. of Afghanistan .f.a. war v.3 P.301.

(5) Sykes, p.: Hist. of Afghanistan v.3 p.56.

(6) Doodwell. The Camb Hist of Brit. India v.5. p.519.

لن يستطيع الاحتفاظ بعرشه .

أما من جهة الأسرى الإنجليز فقد تمكن الكابتن شكسبير من خداع صالح محمد الذي كان مكلفاً من قبل محمد أكبر خان بحراسة الأسرى ، ووعده بعشرين ألف روبيه نظير إطلاق سراحهم على أن تدفع النقود في كابل[1] . وكان الأسرى يتكونون من ٢٠ رجل ، ١٤ طفل ، ٩ سيدات ووصل الأسرى الى العاصمة في ١٦ سبتمبر[2]

اعلان سيملا - اكتوبر ١٨٤٢ :

اصدر النبرة في أوائل اكتوبر ١٨٤٢ اعلان سيملا حاول فيه تبرير مسلك حكومة الهند البريطانية تجاه الحرب الأفغانية ، فان بريطانيا أرسلت جيوشها الى أفغانستان لتبعد عن العرش الأفغاني الملك الذي كانت تراه معادياً لمصالحها على أن تضع مكانه الملك الذي تعتقد انه يتمتع بحب وتأييد الشعب الأفغاني . وكان البيان يحمل ملاحظة النبرة بشأن المسؤولين عن الكارثة التي حدثت في كابل ، ولقد أثار هذا سخط أوكلاند واتهم النبرة بالجنون .

اهم ما تضمنه البيان رغبة الحكومة البريطانية في اقامة علاقات طيبة مع أفغانستان واعترافها بالملك الذي يختاره الشعب الأفغاني ، كما أثار البيان بشجاعة القوات الإنجليزية والهندية في أفغانستان .

انسحاب القوات البريطانية من أفغانستان :

بدأت القوات البريطانية انسحابها من كابل في ١٢ - اكتوبر ١٨٤٢ وأخذت معها فتح جانج وزمان شاه وأفراد اسرتهم الملكية ودمرت اثناء انسحابها تحصينات على مسجد وجلال اباد واستقبلت القوات في بشاور استقبالاً حافلاً

---

(1) Sykes, p.: H. of Afghanistan v.3 p.56.

(2) Kayes, J.: Hist. of Afghanistan. F.A. war v3 p.22p.

واستقبلها النبرة في فيوزيبور ، وعبر الجيش الهند وسط مظاهرات الفرح والابتهاج [1] .

وبذلك خلا العرش الافغاني للباركزاي من المنافسين ، وفي عام ١٨٤٣ بدأ دست محمد رحلة العودة الى أفغانستان ولقد استقبله زعيم السيخ استقبالاً ودياً في لاهور في ٢٠ يناير ١٨٤٣ واصل بعدها السير الى كابل وتولى العرش بتأييد من الشعب ، وبذلك استطاع الشعب الافغاني ان يثبت ارادته وأن يكون سيداً لنفسه دون وصاية احد .

أسباب فشل الحرب الأفغانية :

حاولت بريطانيا فرض شجاع الملك على الشعب الأفغاني بالقوة على الرغم من كره الشعب له ، فأدى هذا الى اثارة شعور الأفغان الوطني والديني فانتشرت الثورة في جميع افغانستان وتمكن الشعب الأفغاني من إثبات كلمته وطرد الاعداء خارج حدوده وجهل البريطانيين بدروب ومسالك وممرات أفغانستان ووضعهم في كثيرمن الأحيان فريسة سهلة للأفغان كما ان الجنود البريطانيون لم يعتادو الحرب في بلاد معقدة التضاريس كأفغانستان بالاضافة الى استبداد الانجليز في ادارة افغانستان الأمر الذي دفعهم للثورة .

وجود قيادة سياسية وعسكرية ومحاولة كل منهما الانفراد بالنفوذ والسلطان فأدى ذلك الى عدم تكوين سلطة مركزية قوية تستطيع ان تتحرك سريعاً لمواجهة الاخطار حين ظهورها . عدم توفير وسائل المواصلات والتموين للقوات البريطانية ، فأصبحت عاجزة عن التحرك وتوفي الكثيرين من افرادها نتيجة الجوع والبرد . عدم كفاءة القيادة العسكرية ، فالجنرال الفنستون كان مريضاً وسهل الاقتناع بأراء غيره بعكس صفات القائد الناجح التي من اهمها الثقة بالنفس واتخاذ القرارات السريعة لسلامة قواته . الوحدة الوطنية بين الأفغان ، ولعل هذه الروح سرت في نفوس الأفغان نتيجة لعودة شجاع الملك الى كابل

---

(1) Allen, J.N.: Diary of a march throvgh scinele and Afghanistan. p.350 - 7.

مدعماً بالانجليز ، فتناسوا عصبياتهم وخلافاتهم واصبح هدفهم الاول هو الانتقام من عدو بلادهم .

نتائج الحرب :

فشلت بريطانيا في تحقيق هدفها لعزل الباركزاي ، بل ان الحرب الأفغانية ساعدت للقضاء على منافسهم السادوزاي نهائياً ، وأصبح دست محمد في مركز اقوى مما كان فيه في السابق ، فأصبح سيد افغانستان .

استنزاف مالية الهند ، فقد بلغت تكاليف الحرب الافغانية ١٥ مليون جنيه استرليني [1] وحاولت بريطانيا تعويض هذا النقص عن طريق فرض الضرائب على الشعب الهندي . كما ادت الحرب الأفغانية الى تنمية الشعور القومي في الهند ، فإن اشتراك الهند جنباً الى جنب مع البريطانيين في الحرب فتح لهم المجال للمارسة قدراتهم القتالية واستطاعوا أن يثأروا لأنفسهم من الأفغان فاستعادوا بوابة معبد سامونتا ، فأدى هذا الى الشعور بالاغزاز والفخر بقواتهم . وان هزيمة بريطانيا في افغانستان كان له تأثير كبير في الهند ، فالشعب الهندي كان يتصور ان بريطانيا لا تقهر قد هزمت بالفعل على ايدي امة آسيوية مجاورة لها، كل هذا ساعد في دفع التيار الوطني في الهند الذي فجر ثورة ١٨٥٧ .

عداء السيخ لبريطانيا : كانت بريطانيا تنظر الى السيخ قبل الحرب الأفغانية كحليف مخلص لها في الهند بل انها آثرتهم على الأفغان ولكن السيخ اثناء الحرب أظهروا دلائل عدوانية لبريطانيا فرانجيت سينغ رفض مرور القوات البريطانية عبر أراضيه في البنجاب كما انه لم يقدم الاعداد المتفق عليها من القوات ، ورفض السيخ مواصلة السير مع الحملة بقيادة بولاك الى جلال اباد بل ان السيخ شاركوا في المؤامرة التي دبرت في العاصمة الافغانية ضد شجاع الملك ولاستعادة دست محمد . كل هذا ساعد في بث روح العداء والكراهية بين الطرفين . وانفجرت الحرب بينهما عام ١٨٤٥ .

---

(1) Sykes, P.: Hist of Afghanistan v.2 p.56.

تقارب السيخ والأفغان : أدت الحرب الأفغانية الى تقارب السيخ والأفغان ، فالأمير السيخي قدم الأموال للزعماء الأفغان لإشعال الثورة لصالح دست محمد كما انه استقبل دست محمد عام ١٨٤٣ استقبالاً ودياً وفي اثناء الحرب التي اشتعلت بين السيخ وبريطانيا قدم دست محمد المساعدات للسيخ ضد بريطانيا (١) .

---

(1) Walker, Philip: Afghanistan p.48.

الخاتمة

شهدت بلاد الأفغـان في النصف الأول من القرن الثـامن عشر أول تنظيم سياسي لها في تاريخها الحديث حينما نجـح احمد شـاه سادوزائي في تكـوين مملكة افغانستان عام ١٧٤٧ . ولم تلبث هذه المملكة الوليدة ان مدت سيطرتها ونفوذها على انقاض الأمبراطورية الصفوية في إيران والمغولية في الهند . وكانت افغانستان في النصف الثاني من القرن الثـامن عشر قوة مؤثـرة في منطقـة وسط آسيا بفضـل تمـاسك شعبهـا وقيادة أحمـد شاه ، الا أن هـذه المملكة القـوية وقعت في أواخـر القـرن الثامن عشر وأوائـل القرن التـاسـع عشر فـريسـة لـلأطمـاع الشخصيـة والعصبيات القبلية الكبيرة والصراعات الطائفيـة واشتعلت نيران الحـرب الأهلية في جميع مقاطعاتها ، مما أدى الى استنزاف طـاقاتهـا البشريـة والاقتصاديـة وتفتت وحدتها الوطنية . وكانت الوحـدات السياسيـة الصغيرة من أهم معـالم خريـطتها السياسية ،، فأصبحت مطمعاً سهلاً لجيرانها فانقض السيخ واستولـوا على عـدة مقاطعات منها ، وبرزت أطماع ايران لاستعادة أمجاد الأمبـراطوريـة الصفويـة أو بمعنى آخر السيطرة على معظم المملكة الأفغانية .

إشتد في هذا الوقت حدة التنافـس الروسي والانجليزي في وسط آسيا ومن سوء حظ افغانستان انها كانت بؤرة ذلك التنافس ، فهي من وجهـة نظر روسيـا قاعدة الإنقضاض على الهند سواء عن طريق خيوة او إيـران . وكانت من وجهـة نـظر بريـطانيا الـدولة الحـاجزة ضـد الأطماع الـروسية والإيـرانيـة من النـاحيـة

الغـربية ، ووجـدت ان السيطرة عـلى أفغانستـان ضرورة ملحـة لها ، فـانتهزت النزاع الداخلي في أفغانستـان وأخذت بيـد أضعف العناصر المتنـازعة الى عـرش كـابل وكـان هدفهـا الحقيقي أن تتخذ منـه ستاراً لسيـطرتها عـلى أفغـانستـان . وبالفعل شرعت في القيام بالحرب الأفغـانية الأولى ١٨٣٨ لـوضع شجـاع الملك على عرش أفغانستان ، وتمكنت من هزيمة الباركزاي نتيجة التفتت والانقسام بين الأفغانيين الا أنها مع ذلك لم تستطع قهر الشعب الأفغاني الذي سرعان مـا أدرك ان الوجود البريطاني إهانة دينية ووطنية وقام بالثورة في معظم المقاطعات الأفغانية ضـد قوات الاحتـلال الأجنبي الا أن حركتـه هذه كـان ينقصها التـرابط الوطني والأسلحة الحديثة .وتمكنت بريطانيـا من توجيـه عدة ضـربات نجحت في إخمـاد هذه الثورة . ولكن الشعب الأفغاني وخصوصاً في كابـل قام بـالثورة ضـد قوات الاحتلال وحليفهم شجاع الملك نتيجة إحساسهم بـالظلم والمهـانة وكـانت فعلاً حركة ثورية رائعة اتسمت بالتمـاسك والتـرابط القومي واستـطاعت بالفعـل ان توجه ضربة عنيفة زعزعت أركـان وجود الاحتـلال البريـطاني في أفغانستـان فقد حاصر الثوار الأفغان القوات البـريطانيـة في كابـل وقطعـوا عليها سبـل الاتصال والحقوا الدمار بالبريطانيين في المقاطعات الشرقية . واضطرت القيـادة العسكريـة الى مفاوضة الثوار وفرض الثوار عليها شروط المنتصر .

بدأت هذه القوات تراجعها الى الهند ، فانقض الثوار على أفرادها يصبون عليهم انتقـامهم وغضبهم وزرعت الـطريق من كـابـل الى جـلال أبـاد بجثث البريطانيين وصبغت دمائهم جليدها بالحمرة . لقـد نجح الثـوار الأفغان بـالفعل في الانتقام من أولئك الذين دنسوا أرضه وأبادوا جميع هذه القـوات الا واحداً ، نقـل اخبار مـا أصابهم الى قـوات جـلال أبـاد . انتقلت نيـران الثـورة الى بقيـة المقاطعات الأفغانية وألحقت بالقوات البريطانيـة الموجـودة فيها الهـزائم الا أنها لم تكن بنفس القدر الذي أصاب قوات كـابل واستـطاعت الصمود في وجـه الثوار الأفغان . كما أنها استنجدت بحكومة شركة الهند الشرقية ، وكـان الحاكم العام متردداً في إرسال قوات الى أفغانستان خشية ان تلقى المصـير الذي لاقتـه القوات في كابل .

وحينما جاء الحاكم الجديد للهند عـام ١٨٤٢ اضطر الى ارسـال قوات الى أفغانستان رغم عـدم تشجيعه لمشـروع غزو أفغـانستان أصـلاً ، ولم يكن هدفـه الاحتـلال بل إنقـاذ القوات المحـاصرة وتخليص الأسـرى الذين كـانوا في أيـدي الأفغان . وبالفعل تقدمت قوات الانقاذ ، الا أن الخـوف كان يعتـري كـل فـرد من جنودها فمع كل خـطوة كانـوا يتوقعـون هجمات الأفغـان عليهم ، وتمكنت قوات الانقاذ من الوصول الى القوات المحاصـرة في جلال أبـاد وقندهـار . وكان الحاكم العام يخشى ان يقـوم الأفغان بهجـوم عام عـلى هذه القـوات فأرسـل الى قائدها يطالبه بالعودة الى الهند الا أن القائد بـولاك أصر على الـذهاب الى كـابل لتخليص الرهائن الإنجليز .

لم يظهر الثـوار الأفغان الـروح الحماسيـة التي دفعتهم من قبل فقـد سيطر عليهم في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ ثـورتهم الأطماع الشخصيـة ، وحاول كل واحد منهم ان يحقق لنفسه نفوذاً عـلى حساب الـوطن والشعب فتمكنت قوة الانقـاذ من احتلال العـاصمـة ثـانيـة والثـأر من أولئـك الـذين فتكـوا من قبـل بقـواتهم . إلا أن هذا لا يعني انـه كان في مقـدور القوات البـريطانيـة البقـاء في أفغانستان ، فبعد تسليم الرهائن تراجعت في اكتوبر ١٨٤٢ الى الهند . ولم تفكر بريطانيا في إعادة احتلال أفغانستان بالرغم من الأسباب التي دفعتهـا عام ١٨٣٨ ظهرت في الأفق ثانية ١٨٤٩[١] ولكن بريطانيا قررت عدم الدخول في مغامرات عسكرية وفضلت تقديم المال والسـلاح الى الشعب الأفغاني . وفشلت بـريطانيـا في جعـل أفغانستـان دولة حـاجزة للخـطر الروسي بـل انها اعـادت الى العـرش الأفغاني الباركزاي الذين كـانت تتصور في وجـودهم مصدر تهـديد لـوجودهـا في الهند وحجر عثرة لتقدمها التجاري في المناطق التي تقع خلف نهر السند .

وفشلت بريطانيا في جعل افغانستان الدول الخاضعة لنفوذهـا فحينما اشتـد

---

(١) اشتعلت الحرب بين أفغـانستان وإيـران عام ١٨٤٩ بسبب النـزاع على حيـرات ولم تقم بريـطانيا بغزو أفغانستان كما حدث من قبل .

الخطر الروسي في وسط آسيا بغزو خيوة وبخارى قامت بريطانيا بالحرب الأفغانية الثانية ١٨٧٨ الا أنها مع ذلك لم تتمكن من البقاء في افغانستان . كذلـك قامت بريطانيا بحرب ثالثة ضد افغانستان ١٩١٨ . وعموماً يمكن القول بأن أفغانستان من الدول الاسلاميـة القليلة التي استطاعت المحـافظة عـلى وحدتهـا واستقلالهـا طوال تاريخها الحديث .

المصادر

مصادر من الدرجة الأولى :

أ ـ وثائق غير منشورة : Aukland's Papers وهي عبارة عن رسائل من الحاكم العام للهند لورد اوكلاند الى عدد من الشخصيات الرسمية . سواء في لندن أو الى حكام الولايات الهندية ، وتعكس هذه الرسائل سياسة بريطانيا من ١٨٣٦ ـ١٨٤٢ سواء في افغانستان . وهي مخطوطات نقلت عن الرسائل الأصلية عام ١٩٥٦ وتتكون من ١٨ ملف . ولقد تمكنت عن طريق المتحف البريطاني من الحصول على صور فوتوغرافية لهذه الوثائق .

ب ـ وثائق منشورة :

Aitchison : A Collection of Treaties, Engagements, Sannas % %. Relating to India . London . 1925 .

British and Foreign State Paper .

وهي وثائق تتعلق بالاتفاقيات والمعاهدات التي عقدتها الحكومة البريطانية مع الدول الخارجية منذ ١٨١٢ وطبعت ابتداء من عام ١٨٤١ .

London : Harrison and Sons , ST . Martin's Lane . 1841 .

Correspondence Relating to Persia and Afghanistan London 1870 .

وهي عبارة عن مراسلات بين السفير البريطاني في ايران واللورد

بالمرستون ، وحكومة شركة الهند الشرقية بشأن الموقف في حيرات .

Hansard's . Parliamentary Dehates.

جـ - مذكرات بعض من الذين اشتركوا في الحرب . . :

Allen , J . N . : Diary of a March Through Scinde and Afghanistan . London : 1843 .

Atkinson , J . : The Expedition into Afghanistan London : 1842 .

Burnes , Alexander : Cabul . London : John Murray : 1840

Havelock , Captain Henry : Narrative of the war in Afghanistan in 1838 - 9 2 Vols . London : John Murray . 1841 .

Sale Lady : Our Disaster With the Afghan 1841 - 2 London : John Murray .

د - مراجع من الدرجة الأولى :

Ali Mohamed : Afghanistan : Lahore the Punjab Educational Press : 1958 .

Bell , Herbert : Lord Palmerstone 2 Vols . U . S . A Archon Books First Edit . 1936 2 nd . 1966 .

Bellow , Surgeon , Major H . W . : The Races of Afghans . Calcutta : Thacker , Spin and Co . 1880 .

Boulger , D . : Central Asian Question , Essays on Afghanistan . London : 1885 .

Clodius , J . : A History of the Afghan wars with Persia Translated from latin By George Newham Mitford . London : James Ridgway 1840 .

Curtis , William Eleory : Turkestan « The heart of Asia » London : Hodder Stoughton 1862 .

Doodwell , H . : The Cambridge History of British India Calcutta : 1988 .

Dorman , Marcus : History of the British Empire in the 19 th century London : Kegan Paul , trendh and Co . 2 vols . 1904 .

Farlane , Mac : History of British India London : 1851 Ferrier , John Philip : Afghanistan . London : John Murray 1858 .

Habberton , William : Anglo - Russian Relations Concerning Afghanistan (1937 - 1907) Published by the university of Illinois at Urbana 1937 .

Hamed , Kohzad : Men and Events (Through 18th and 19th Century . Afghanistan) Historical Society of Afghanistan . No . 44 . Cabul .

Hamilton , Angus : Afghanistan . London : William Heimemen 1906 .

Kaye , John William : History of Afghanistan (the First Afghan war 3 Vols London : 4th Edit . 1878 . Ferst . Edit . 1851 , 2nd Edit 1855 3 RD . Edit 1870 .

Kohzad , Ahmed Ali : In the Nighlight of modern Afghanistan . Translated from Persain by Ikbal Ali Shah . London : 1952 .

L . Gen . Sir Macmunn , George : Afghanistan from Darius to Amanullah London : G . Bell , Sons LTD 1929 .

Malcolm , John : History of Persi , 2 Vols . London : John Murray .

Malleson , George : Afghanistan History 1825 - 1898 London Allen . 1878 .

Macrory , Patrick : The Story of the Disasterous Retreat from Cabul 1842 . London : Hodder and Stoughton 1966 .

Mersey , Viscount : The Viceroys and Governor - Genarals of India 1757 - 1947 London : John Murray 1949 .

Norris , J . A . : The First Afghan war 1838 - 42 Cambridge University Press 1967 . First Edit . 1927 .

Pares , Bernard : A History of Russia London : Definitive Edit . 1953 First . 1926 - 2nd Edit 1928 - 3rd 1937 4 th . 1944 5th . 1947 .

Popowski , Joseph : The Rival powers in Central Asia or the struggle Betwenn England and Russia in the East . Translated from the German by Aruther Baring Brabant and Editid by Charles E . D . Blank in charge of the Geographical Business of the India Office 1893 .

Pywkin , Michael : Russia in Central Asia New York : Coller Book 1963 .

Schuyier , Eugene : Turkestan 2 vols New York : Scribner , Armstrong 1876 .

Sykes , Persey , : History of Afghanistan : London: Malcolm 2 Vols . 1935 .

Sykes , Persey , History of Persia : London Malcolm 2 Vols . 1915 .

Roberts , P . E . History of British India Under the Company and the Crown . 3rd . Edit . 1952 First . 1921 2nd 1938 .

Trevor , Rev George : Russia Ancient and Present : London the Religious Tract Society 1862 .

Tytler , Fraser : Afghanistan . A Study of Political Devolopwent and Southern Asia 2nd Edit . 1953 . First . Edit . 1950 .

Vernadsky , George : A History of Russia : U .S.A . New Haven : Yale University 4th Edit . Agust . 1930 First Edit May 1929 2nd . Sept . 1929 . 3rd . Maech 1930 .

Walker , Philip : Afghanistan . Its History and our dealing 2 vols . London : 1888.

Watson , Hugh Seten The Russian Empire 1801 - 1917 London : Oxford university 1967 .

Wheeler , J . : Talboys : A short History of British India and Foreign States of Afghanistan London Malcolm and Co . 4th Edit . First 1880 2nd 1884 3rd . 1889.

مراجع من الدرجة الثانية :

Ali Shah Ikbal : Afghanistan of the Afghans London : Diamond Presse . First Edit . 1928 .

Fiorisky , Michael : Russia London : Macmilkn Company 2nd Edit 1969 . First . 1948 .

Griffith , John : Afghanistan . London : Pall Mall Press 1967.

Harcave , Sidney : Russian History : U . S . A .J . B . Lippincott Company . 3 rd Edit . 1956 First 1953 2 nd 1955 .

Marx , Karal : Notes on Indian History (664 - 1858) Second Impression Mosco .

Mosely , Philip : Russian Diplomacy and the Opening question in 1938 - 39 U. S. A. : 1934 .

Nolan , E . H . : The Illustrated History of the Brit - Empire in

INdia and the East . London : James and Vitrasarkar , Jadunath : Fall of the Mughul Empire 4 Vols . Calcutta : M .C . Sarkar and Sons LTD 2 nd . Edit .1 1949 .

Singh , Khushwant : The Sikhs London : George Allen and Unwin LTD First Edit . 1953 .

The Society For promoting chvistian Know ledge: History of the British Settelmnt in india to the Close of the sepoy Rebellion . London :

Sturley , D . M . : A Short of Hist of Russia . London : Longman 1964 .

Watkins , Mary : Afghanistan land and Transition U. S . A . : Lancaster Press 1963 .

مراجع باللغة العربية :

جمال الدين الأفغاني : تتمة البيان في تاريخ الأفغان . اعتنى بطبعه وتصحيحه علي يوسف الكردلي صاحب مجلة العلم العثماني الطبعة الأولى مطبعة الموسوعات بباب الخلق ١٩٠١ .

كتب مترجمة للعربية :

آسيا والسيطرة الغربية تأليف بانيكار ترجمة عبد العزيز توفيق جاويند دار المعارف ١٩٦٢ .

دليل الخليج العربي تأليف لوريمر ترجمة حكومة قطر الدوريات .

The Asiatic Journal and Monthly Register For British India and its Dependencies : London Coxand Baylis.

بدأ اصدارها منذ عام ١٨١٦ .

The Asiatic Journal and Monthy Register for Brèthishand Monthly Rgister Brit. India and its Dependencies. New Series.

وبدأ اصدارها في الثلاثينات ولم استطع الحصول على الجزء الأول والثاني .

الفهرس